المكتبة الأندلسية
٥

الإنصاف

في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم

«إنّ اختلاف المختلفين في الحق
لا يوجبُ اختلافَ الحقّ في نفسِهِ»

تأليف
الإمام النحوي اللغوي أبي محمّد عبد الله بن محمّد
ابن السّيد البطليوسي
رحمه الله

تحقيق
الدكتور محمّد رضوان الدّاية
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة دمشق

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنصاف

الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - برقياً : فكر
س . ت ٢٧٥٤ هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري : دار الفكر بدمشق
الإفشاء (أوفست) : المطبعة العلمية بدمشق

الكلمة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

رغب إليّ القائمون على (دار الفكر) الزاهرة بدمشق في إعادة طبع كتاب (الإنصاف) لابن السيد البطليوسي بعد أن نفدت طبعته الأولى ، فتريثتهم لأعيد النّظر في الكتاب ، وأضيف ما يمكن إضافته من تحقيق وتعليق ، ولعرض المطبوع على نسخة جديدة من الكتاب مخطوطة وصلت إليّ بعد طلب طويل .

وامتدّ بي الزمن دون تقديم الكتاب إلى المطبعة في ثوبه الجديد ، لاشتغالي بالتدريس أستاذاً زائراً في جامعة الإمارات العربية المتحدة بمدينة العين .

وفي أثناء النّظر في طبعتي السابقة ، اطلعت على طبعة من كتاب ابن السيّد البطليوسي نفسه صدرت في القاهرة سنة ١٩٧٨ أي بعد صدور كتابنا المطبوع في دار الفكر بستّ سنوات ، وقد صدر هذا المطبوع القاهري بعنوان : (التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم) . وهو عينه كتاب (الإنصاف بذكر أسباب الخلاف) الذي حققته .

وبحسب ما كتب على الغلاف ووراء المقدمة فإن الذي اضطلع بمهمة (التحقيق والتعليق !!) اثنان من المدرّسين المتلقبين بالدكترة : الدكتور أحمد حسن كحيل ، والدكتور حمزة عبد الله النشرتي . وقد علمت ـ كما أخبرني زميل في جامعة الإمارات ـ أنهما مدرّسان في جامعة الأزهر .

والذي يهمّني أن أثبته هنا أن هذين المدرسين الفاضلين سرقا ما صنعته في تحقيق كتاب الإنصاف ، وأخذا الحواشي والتعليقات كما هي ، أو باختصار مخلّ ، أو بتطويل مملّ .

وأعجب ما في سرقة هذين المدرّسين الجامعيّين أنهما لم يشيرا إلى طبعة دار الفكر من

بعيد أو قريب علماً بأنها وضعاها أمامها ، ونقلا كل ما فيها تقريباً . ثم زادا كلمة هنا وكلمة هناك تمويهاً وتضليلاً !

وكلّما أشار المدرسان المذكوران إلى نسخة (ط) فالمقصود هو طبعة دار الفكر التي حققتها ونشرت ـ كما هو مثبت سنة ١٩٧٢ ـ وقد زعما أنهما يقابلان على النسخة المطبوعة سابقاً في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ بمطبعة الموسوعات ، والتي أشرف عليها واعتنى بها : أحمد عمر المحمصاني ، والتي رمزت إليها برمز (ط) .

وقد ثبت لي أنهما لم يقابلا على نسخة المحمصاني ، واكتفيا بما قدّمته لهما جاهزاً ناضجاً . ويرى متابع صفحات الكتاب بطبعة المدرسين المذكورين إذا قابلها بطبعتنا أنهما كانا ينقلان الحواشي والتحقيقات والأرقام كما هي . كما يتنبه إلى :

١ ـ وقوعهما في الأخطاء المطبعية التي وقعت في طبعتنا (فقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ وأنا أستاذ زائر في جامعة وهران بالجزائر) .
٢ ـ نقلهما الأرقام ، وإن كانت خطأً ، كما هي !!
٣ ـ أخذهما التخريجات دون تمحيص ، ودون عودة إلى الأصول .
٤ ـ أنّهما نقلا الحواشي والإحالات ، وغفلا أن مصادرنا التي اعتمدنا عليها ، غير مذكورة أحياناً في ثبت المصادر والمراجع عندهما !!

وهذه نماذج تمتع القارئ الكريم :

ـ في الصفحة (٢٤) أورد ابن السيّد بيتاً نسبه لجرير . والصواب أنه من شعر لبيد بن ربيعة . فقالا في الحاشية ما نصه : « هكذا نسب البيت لجرير في جميع النسخ ، ولم نعثر عليه في ديوانه . وبالبحث وجد هذا البيت للبيد ... إلخ » .

وقد تنبه الأستاذ المحمصاني ـ رحمه الله ـ من قبل إلى أن البيت من شعر لبيد . ثم زدتُ أنا الإحالة على ديوانه . ولو رجعا حقاً إلى طبعة الموسوعات لتنبها إلى ذلك !

ـ في الصفحة (٦٥) رجز غير منسوب . وقد بحثت عنه في كنايات الجرجاني صفحة صفحة لأنه غير مفهرس ، وأثبت نسبته وشرحه . ثم نقل المدرسان المذكوران حاشيتي كاملة .

● وجه الملاحظة في أن كنايات الجرجاني ليس من مصادرهما !!

ـ في الصفحة (٧٣) شعر متنازع النسبة . وقد ذكرت أنا أسماء الشعراء الذين ينسب إليهم الشعر . وزاد المدرّسان : « ويرجح بعض العلماء أن الأبيات لشبل بن عبد الله إلخ .. » . ولو رجعا إلى المصادر حقاً لما زادا هذه العبارة غير الصحيحة . وهي زيادة يقصد بها التمويه والتعالم .

ـ في الصفحة (٩١) نقلتُ في طبعتي شرحاً لبيت النابغة من شرح عاصم بن أيوب البطليوسي على الديوان ، وأخذ المدرسان المذكوران الشرح نفسه ، وظنا أنه من شرح الأعلم .

● الملاحظة أنهما لم يعرفا شرح البطليوسي ، وليس في مصادرهما !

ـ في الصفحة (٩٣) إحالة ـ منقولة عني ـ على ديوان النابغة الجعدي . وهو من تخريجي وليس ديوان النابغة ـ المطبوع في دمشق ـ من مصادرهما !!

ـ في الصفحة (١٢٧) إحالة على ديوان جميل ص (٦٧٠) هكذا . والصواب (٦٧) ولكن الرقم صحّف في طبعة دار الفكر إلى ٦٧٠ سهواً ، فنقلا السّهو كما هو . وديوان جميل لا يتجاوز مئتي صفحة إلا قليلاً !!

ـ في طبعتنا عدد من الأخطاء في المقابلة على مطبوعة الأستاذ الحمصاني ، وقد نقلاها عنّي بأخطائها . ومن طريف الخبط وعدم المسؤولية قولهما في الصفحة ١٩٢ : إن المثل العربي « خش ذؤالة بالحبالة » قد سقط من المطبوع . وهذا غير صحيح لأنه ثابت في طبعة الحمصاني وطبعتنا ... إلخ !!

وعلى الإجمال فإن ما حقّقته وخرّجتُه قد أخذاه وأثبتاه ، وما تركته وأغفلته أو سهوتُ عنه تركاه ولم يزيدا عليه شيئاً تقريباً ، والقليل النادر لا يكاد يذكر .

وبعد .

فإنني إنما ذكرتُ هذا الكلام ـ وإن طال قليلاً ـ لسببين :

أحدهما : أن داء السَّرقة داءٌ تفشّى ، وصار كالمباح حتى في بعض أوساط

(الدكاترة) !! ، والآخذين أماكن بين الباحثين والمحقّقين . ولا بد من الإشارة إلى هؤلاء ، والتنبيه عليهم .

والثاني : أن هناك من يظن أننا نتزيّد على هؤلاء أو نتجنّى عليهم . وقد يكون البيان مفيداً عندهم ، مقنعاً لهم .

فهذه الكلمة إلى هؤلاء ، وإلى هؤلاء ، على حدٍّ سواء .

والحمد لله رب العالمين .

دوما ـ دمشق شباط ١٩٨٢ م
ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ

د. محمد رضوان الداية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة المحقّق

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاة والسّلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد : فهذا كتابٌ غريبٌ طريف ، على جانب من الأهمية ، بالرغم من صِغر حجمه ونسيانه بين مؤلّفات الأندلسيّين . والمؤلّف واحدٌ من كبار علماء الأندلس وأدبائها ، وهو ابن السّيد البطليوسي . وهذه نبذة سريعةٌ أقدّمها بين يدي الكتاب للتعريف بالمؤلف ، وعصره ، وآثاره ، وللحديث عن كتابه هذا وتحقيقه :

١ ـ كان عصر ابن السّيّدِ البطليوسي من أكثر عصور الأندلس حركةً ونشاطاً ومظاهرَ تنوُّعٍ وتغيُّر . فهو أدركَ مدّةَ دول الطوائف صدراً من شبابهِ ، وعاصرَ دولة المرابطين في إبّانها وتمكّنها . وهو على كل حال علامةٌ بارزةٌ من علامات عصره : في تقلّب أحوال حياتِه ، ومعيشته ، ونُشوبه في أطرافٍ من السياسةِ ؛ وهو نموذجٌ فذٌ للشخصيَّةِ الثقافيَّة الأندلسيّة بعد أن بلغت النضج والكمال .

قبل مولد ابن السّيّد ـ سنة ٤٤٤ ـ كانت الدولة الأمويّة قد أنهت مهمَّتها ، وصَعُبَ على أواخرِ أمرائها وخلفائها الاحتفاظُ بسلطانها . ومنذ أوائل القرن الخامس نبغت دول ودويلات صغيرة على أشلاء الدولة الأم ، وقام حكّام وأمراء ومتوثبون ممن يصلح للرياسة وممّن لا يصلح لها ، وصار أمر الجزيرة الأندلسية إلى فوضى سياسيَّة عارمة ، فتفرّقت دولاً ، وتمزّقت شيعاً ، وامتدّت أيدي الدول الإسبانية المجاورة إليها بالاحتلال والانتساف ، ودفع ملوك الطوائف غائلتها بالمال حيناً والتنازل عن شيء من البلاد حيناً آخر حتى تدارك المرابطون أمر الأندلس ، وقد أفلت الأمر من أيدي أهلها أو كاد .

ومنذ سنة ٤٨٣ بدأ المرابطون بجمع شمل الأندلس تحت رايتهم ، وأسقطوا معظم تلك

الـدّويـلات . وتـوفيّ ابن السّيـد ـ سنـة ٥٢١ ـ في عهـد أمير المسلمين علي بن يـوسف بن تاشفين .

٢ ـ كانت الحركـة الحضـاريـة في الأنـدلس ـ لهـذا العهـد ـ في عنفـوانهـا : في العلـوم والفنون والصنائع والآداب ، وكان الرخاء في المظاهر الاقتصادية والاجتماعية قد بلغ مداه . وتبلورت في هذه المدة الشخصية الأندلسية وتوضّحت خصائصها . لقد عـاش أعلام القرن الخـامس الهجري في ظـلالِ وارفـةٍ كان مَـدّهـا مَنْ سَبَقهم من العلمـاء والفقهـاء والأدبـاء ، وقطفوا ثمار الحركة العلمية الثقافية ، التي أنجزت في حياة الدولة المروانية العظيمة .

ويُعدّ ابن السِّيد واحـداً من أهم أعلام القرن الخـامس ، بل إنـه ليعـدّ في أبرز رجـال الأندلس على اختلاف عصورها .

٣ ـ وهو أبو محمد عبد الله بن محمـد بن السِّيْـد(☆) ولـد ونشـأ بمـدينـة بَطَلْيَوْس فنسب إليها ، وصار يُعرف بالبَطَلْيَوْسِيّ . وأصل أسرتـه من (شِلْب) بغرب الأنـدلس ، من أسرة مشهورة ، وكانت ولادته ـ كما سلف ـ سنة ٤٤٤ .

لا نعرف الكثير عن مراحـل حيـاة ابن السِّيْـد الأولى ، ولكنـه ـ كما يظهرُ من أسماء شيوخه ومن مؤلفاته ، وقرائن أخرى ـ بقي في بطليوس إلى أن حَصّل علومه ، وبلغ منزلـة مشهورة بين أقرانه . وقد أخذ علومه عن أخيه عليّ بن محمد ، وعن أبي بكر عاصم بن أيوب البَطَلْيَوسي ، ـ وهو مشهور بشروحه على الأشعار الستّة الجاهليّة ـ وعن أبي سعيد الورّاق ، وأبي عليّ الغسّاني وغيرهم . ونستطيع أن نقـدّر أبعـاد ثقـافتـه من خلال مـا نعرفـه لـه من

(☆) ترجمة ابن السيد في :

قلائد العقيان لابن خاقان (مصر ١٢٨٤) : ١٩٢ . الصلة لابن بشكوال (مصر ١٩٥٥) ١ : ٢٨٢ . المطرب لابن دحية (مصر ١٩٥٤) : ٢٢٥ . وفيات الأعيان لابن خلكان (مصر ١٩٤٨) ٢ : ٢٨٢ . المغرب (الطبعة الأولى) لابن سعيد ١ : ٣٨٥ . أزهار الرياض للمقري ٣ : ١٠١ . البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٩٨ . نفح الطيب للمقري (مصر) ٢ : ١٦٧ . الديباج المذهب لابن فرحون (مصر) ١ : ١٤٠ . فهرس الفهارس للكتاني ٢ : ٣٨٢ . بغية الملتمس للضبي : ٣٢٤ .

وانظر أيضاً : ظهر الإسلام لأحمد أمين (ط ١٩٦٢) ٣ : ٩٠ . تاريخ الفكر الأندلسي : ٣٢٤ . تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ١٧٩ . و Brock 1.547. S.1.758 .

مؤلفات متشعبّة الاتجاهات . فهو ضَرَب في الآداب من شعر وكتابة وتأليف ؛ وفي علوم اللغة ، وفي الأصول والفقه والحديث . كما اعْتَنى بقضايا الفلسفة والمنطق وعلم الكلام . وكان له بَصَرٌ بطرائق التدريس والتعليم ، وقد وصفه ابن بشكوال بأنه كان « حَسَن التعليم جيد التلقين »[1] .

ولم تكن شخصيةٌ عظيمة كابن السِّيد تخفى على أمراء عصره وأصحاب الدّول فيها ، لما حازه من براعة في الفنون المختلفة . كما كان هو نفسه طمّاحاً إلى المراتب ، كثير المعارف والصّلات . وتقلّب في خدمة عدد من دول عَصْرِه ، وتنقّل في البلاد الأندلسية دون أن يثبت في دولة واحدة ، من تلك الدول . وليس هذا مجال تفصيل وتوسُّع في دقائق حياة المؤلف ، ولكنها اللمحة العابرة الدالة . فهو خدم عند بعض ملوك الطوائف ومدح بعضاً منهم . وأبرز من نعرف له بهم علائق واتصالات : بنو رزين أصحاب السّهلة (شَنْتَمَريّة الشرق) ، وبنو ذي النُّون أصحاب طُلَيْطِلة ، وبنو هُود أصحاب سَرَقُسْطَة ، وبنو الأفطس أصحاب بَطَلْيَوْس .

ويبدو أنّهَ لزم الكتابة لعبد الملك بن رزين مدّة من الزّمن ، ثم غادره بَعْد أن خشي بوادره - كما يبدو - فلحق بالمستعين : أحمد بن هود صاحب سرقسطة . ونجد في شعره مدحاً للقادر ، والظافر من بني ذي النّون أصحاب طليطلة .

وسمحت له مراكزُه (الرسمية) هذه في الرياسة ، والوزارة ، والكتابة أن تكثر صداقاته مع المشهورين من رجال عصره في السياسة ، وفي الآداب والعُلوم . وتجد في الباقي من آثاره رسائل مختلفة إلى الوزير أبي عيسى بن لبون ، والوزير أبي عبد الله بن أبي الخصال ، والوزير أبي محمد بن الفرج ، والوزير أبي محمد بن سفيان .. إلخ . كما نجد في ديوان ابن خفاجة ترسّلاً بين الشاعر وصديقه ابن السِّيد .

ومن جهة أخرى فقد كان لابن السِّيد تلامذة تلقّوا عنه ، ومالوا إلى مناصرته والالتفاف حوله ، ونشروا كتبه في حياته وبعد وفاته[2] .

---

(١) الصلة ١ : ١٩٢ .

(٢) راجع فهرسة ابن خير الإشبيلي (ط بيروت) : ٣٥٧ ، ٣٨٣ ، ٤١٢ .

وقد نفض ابن السيد يده من مشاغل السّياسة بعد سقوط دول الطوائف ـ على الأرجح عندي ـ والتفت بكل جهوده إلى التعليم والتأليف ، والرّواية ، وما يلحق بذلك . وبقي على حاله مشهوراً ، مقدّماً إلى وفاته سنة ٥٢١ . وكان استقراره في المدّة الأخيرة من حياته في مدينة بلنسية ، في شرقي الأندلس .

٤ ـ كانت جوانب ابن السّيد البَطَلْيَوسي كثيرة ، متشعّبة ، تمثّل اتساع الثّقافة الأندلسية ، وعلى الرغم مما يستهلكه الانشغال بالسياسة من جهة ، والاشتغال بالتعليم من جهة ثانية ، فإن آثار ابن السّيد التي وصلت إلينا تدلّ على علو مقدرته في ضروب المعرفة التي مدّ يده إليها .

ومؤلفاته ـ التي نعرفها ـ هي :

١ ـ شرح سقط الزّند للمعرّي ، وشيء من اللزوميات . (طبع في القاهرة) ضَمّ شرحه على سقط الزند إلى شرحي التبريزي والخوارزمي في نَسَق . واستل شرحه على بعض اللزوميات فطبع في جزأين .

٢ ـ الفرق بين الحروف الخمسة وهي : السين والصاد والضاد والطاء والظاء ـ طبع في القاهرة (بتحقيق سريع) ثم طبع في دمشق .

٣ ـ المثلّث في اللغة ـ حققته مع الأستاذ هـ . حمودي في جامعة وهران ـ وقرأت أنه طبع أيضاً ببغداد . ثم اطلعت عليه مطبوعاً .

٤ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة (ط مصر) .

٥ ـ إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل (وطبع في القاهرة) .

٦ ـ الحلل في شرح أبيات الجمل (وطبع في القاهرة) . وكلاهما شرح وتنبيه على كتاب (الزجاجي) المسمّى (الجمل) .

٧ ـ الإنصاف بذكر أسباب الخلاف ـ وهو هذا الكتاب الذي نقدمه ـ .

٨ ـ شرح الموطأ . مفقود ، وذكره في (الصلة) و (وفيات الأعيان) .

٩ ـ الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة . نشره وقدم له الشيخ زاهد

الكوثري . مصر ١٩٤٦ من مطبوعات عزة العطار . (وانظر النقد الأدبي في الأندلس ٢٠١) .

١٠ ـ الانتصار ممّن عدل عن الاستبصار . وهو جزء ردّ فيه ابن السّيد على اعتراضات لأبي بكر بن العربي كان أوردها على شرح ابن السيد لشعر المعري (ط القاهرة) .

١١ ـ جزء فيه علل الحديث . ذكره ابن خير .

١٢ ـ كتاب فيه مسائل في العربية . ذكره ابن خير .

١٣ ـ وله (فهرسة) ذكرها ابن خير .

١٤ ـ وله كتاب (المسائل والأجوبة) . منه نسخ مخطوطة ، وطُبع جزء منه في بغداد ، نشره الدكتور إبراهيم السامرائي .

١٥ ـ الاسم والمسمّى . رسالة طبعت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

١٦ ـ شرح المختار من لزوميات أبي العلاء . طبع القسم الأول منه في القاهرة .

إلى كتب ورسائل أخرى لم تصل إلينا .

٥ ـ موضوع الكتاب :

أما موضوع الكتاب فغني عن الشرح والبيان ، وقد دلّ عليه مؤلفه رحمه الله بهذا العنوان الدقيق الذي التزم به في جميع صفحات الكتاب ، فلم يتجاوز رحمه الله (الإنصاف) وهو يسرد الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين أهل الملة الحنيفية ، حتى صار من فقهائهم : (المالكي ، والشافعي ، والحنفي ، والأوزاعي) ، ومن ذوي مقالاتهم : (الجبري ، والقدري ، والمشبه ... إلخ) . ولهذا لم يأت عنوان الكتاب ليدل على ضرب من ضروب السجع ، بمقدار ما جاء دالاً على (الموضوعية) التي تحلى بها المؤلف وهو يستعرض الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين .

وابن السّيد ـ رحمه الله ـ من العلماء القلائل الذين مكنتهم ثقافتهم الواسعة المتعددة الجوانب من الإسهام في هذا الباب بمثل تلك الموضوعية حتى جاء كتابه هذا في مقدمة الكتب التي تحدثت في موضوع أسباب الخلاف .

وكثير من الناس ـ وبخاصة أولئك الذين لم يأخذوا من العلوم الدينية بسبب ـ لا يملون من ترداد السؤال عن أسباب الخلاف بين الفقهاء والمتكلمين والمجتهدين ... وربما جهر بعضهم برغبته الملحة في (نسخ) هذه المذاهب والاجتهادات ظناً منه أنها قول بالهوى ، أو إهمال أو تجاوز لبعض مصادر الشريعة التي أجمعت عليها الأمة في جميع العصور ... وابن السيد ـ رحمه الله ـ يبين في هذا الكتاب أن الأمر ليس كذلك ، وأن للخلاف أسبابه التي لا يمكن دفعها أو إهمالها .. كما تدل على ذلك (لغة) العرب ، وطريقتهم في الكلام والخطاب .

ومن هنا تأتي قيمة هذه الدراسة (الموضوعية) الجادّة التي قدمها ابن السيد رحمه الله ، والتي رجع فيها الأسباب الموجبة للخلاف إلى ثمانية أوجه ، وهي : اشتراك الألفاظ والمعاني ، الحقيقة والمجاز ، الإفراد والتركيب ، الخصوص والعموم ، الرواية والنقل ، الاجتهاد فيما لا نص فيه ، الناسخ والمنسوخ ، الإباحة والتوسيع .

وقف ابن السيد ـ مطولاً إلى حد ما ـ عند الأسباب الأربعة الأولى ، وهي أسباب تعود إلى موضوع (اللغة) كما هو واضح ، ففصّل فيها القول ، واستشهد لها بما حضره ـ وهو كثير ـ من كلام العرب نثراً وشعراً . وإذا جاز لنا أن نعتبر هذه الأسباب الأربعة (قسيماً) للسبب الخامس ـ كما سنوضح ـ فإن موضوع (الرواية والنقل) ربما كان لا يزال فيه متسع للمزيد من القول في كتاب ابن السيد رحمه الله ، على دقة التقسيم والتعليل في هذا الباب .

وكأنّ الرسالة القيمة التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ تكمل هذا النقص وتسده[1] ، بل إن الشطر الأكبر من هذه الرسالة موضوعه الرواية والنقل . قال ابن تيمية رحمه الله : « وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يعتقد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل . فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله

---

(١) وانظر كتاب : الإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية . تأليف شاه وليّ الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي .
وكتاب أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء . للدكتور مصطفى الخن ومقدمته للكتاب وثبت مصادره ومراجعه .

ويترك إلا الرسول ﷺ » . ثم قال : « ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد من عذر في تركه ، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف :

أحدها : عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله .
الثاني : اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول .
الثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ » .

وعلى الرغم من أن ابن تيمية ، في شرحه لهذه الأصناف أو المبادئ ، قد مزج بين ما أظهره وأفرده ابن السيد بدقة ، فإنه أطال الوقوف عند الخلاف في الرواية والنقل ، وأسباب ذلك ، بما لا مزيد عليه .

ولعل موضوع (الرواية والنقل) وما قيل فيه وكتب عنه ، بالإضافة إلى أسباب الخلاف الأخرى التي تحدث عنها ابن السيد رحمه الله تجيز لنا أن نحصر هذه الأسباب في سببين رئيسيين تعود إليها سائر الأسباب الأخرى ، وهما : ١ ـ الخلاف في ثبوت النص . وهذا خاص بالحديث والرواية . ٢ ـ الخلاف في (فهم النص) بحسب قواعد اللغة وأوضاعها المعروفة ، وأن فيه دلالة على هذا الحكم أولاً . وهذا يشمل القرآن والحديث في آن معاً ..

يقول الأستاذ الشيخ علي الخفيف في كتابه (محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء) : « وإذا رجعنا إلى اختلاف الفقهاء في الأحكام الفقهية وأسبابه .. وجدنا أن اختلافهم هذا منه ما يرجع إلى اختلافهم في الأصل الذي بنيت عليه آراؤهم ، ومنه ما يرجع إلى اختلافهم في وسائل الفهم والنظر فقط مع اتحادهم في الأصل الذي رجعوا إليه » .

ثم يقول : « فجميع الأحكام المستمدة من القرآن إنما يرجع اختلافهم فيها إلى اختلافهم في (وسائل) فهمه وطرائقه ، لا إلى اختلافهم فيه ، أو في ثبوته ، أو في وجوب العمل به .

وكذلك الأحكام المستمدة من السنة لا يرجع اختلافهم فيها إلى اختلافهم في السنة من ناحية أنها الأصل الثاني الذي تقوم عليه الأحكام الشرعية وأنها مبينة للكتاب ، وإنما يرجع الاختلاف فيها تارة إلى الاختلاف في فهمها ، وتارة إلى عدم العلم بها ، وتارة إلى عدم

وثوق بعضهم بروايتها على حين وثق بعضهم الآخر بها . وهذا الضرب الأخير من الخلاف لا يعد في الواقع خلافاً في الأصل من حيث هو أصل يجب العمل به ، وإنما يعد خلافاً في وجوده وتحقيقه ، حتى إنهم كانوا جميعاً يصرحون بأنه إذا صح الحديث فهو الرأي والحكم الذي يجب الركون إليه وترك ما عداه » .

هذا ، مع العلم بأن كتاب ابن السِّيد رحمه الله لم يقصره على الفقه دون العقائد وأصول الدين ، فجاء كتابه دقيقاً شاملاً . وسوف يلحظ القارئ تحقيقين هامين ـ من نقاط كثيرة ـ في باب العقائد لم يسبق ابن السيد إلى مثلهما ، وهما تفسيره لحديث : « إن الله خلق آدم على صورته » ، (ومذهبه) في قضية الجبر والاختيار وخلق الأفعال[1] .

٦ ـ تحقيق الكتاب :

طبع هذا الكتاب ، قبل هذه الطبعة ، في مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٩ هـ ، بعنوان : (الإنصاف ، في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في آرائهم) . وقد كانت هذه الطبعة ـ في وقتها ـ ذات أهمية وأدَّت خدمةً للدارسين والباحثين . وصار لا بدَّ من إعادة طبع الكتاب مرة أخرى ، نشراً لفائدته من جهة ، وعنايةً به وبموضوعه من جهة ثانية .

اعتمدت في نشر كتاب (الإنصاف) وتحقيقه على نسختين خطيتين عاليتين . واستفدت أيضاً من النسخة المطبوعة في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ فقد لاحظت شيئاً قليلاً من الاختلاف فيها عما في النسختين المخطوطتين .

والنسختان المخطوطتان من التّراث العربي المحفوظ في خزائن الكتب في استانبول **إحدى النّسختين** أندلسيّة ، بخط أندلسي نفيس ، بآخرها قراءة ومقابلة ، غير أن تاريخ النسخ ذهب بأثر التصوير . والظاهر أن النسخة من كتب القرن الخامس تقريباً .

وتقع النسخة في ثلاثين ورقة من القطع المتوسط ، في كل صفحة نحو ٢٤ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٤ كلمة . وهي مضبوطة بالشكل ، جلية واضحة .

وقد ميز الكاتب الشعر عن الأصل النّثري بعلامات واضحة ، ولم يداخل بينهما . وإذا ما أراد أن يصلح كلمة أو يوضح رسمها أعاد كتابتها على حاشية الصفحة ، وهذا قليل جداً .

وملأ الناسخ نفسه بقية الصفحتين الأخيرتين من الكتاب بشيء من الشعر العربي . تفاريق لا يجمعها نظام ، ولا علاقة لها بالكتاب الأصلي . والشعر لمشارقة وأندلسيين . كما أدرج تحت عنوان الكتاب نقولاً من الشعر وفوائد لغوية .

وعنوان الكتاب في هذه النسخة : (كتاب التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم) تأليف الفقيه العلامة أبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيْد البطليوسي رحمة الله عليه .

والكتاب في مجموع ، ظهر فيه أيضاً جزء من كتاب (الاسم والمسمى) الذي سبقت الإشارة إليه .

وقد اعتمدت هذه النسخة النفيسة أصلاً ، ثم قابلت بنسخة (م) التي سأتحدّث عنها ، والنسخة المطبوعة (ط) . ورمزت للنسخة الأولى برمز (ن) .

والنّسخة الثانية تقع في ٣٣ صفحة من القطع الكبير . في الصفحة نحو ٢٨ سطراً ، وفي السطر نحو ١٦ كلمة .

والخط مغربي واضح ، بقلم دقيق . والكاتب متقن ، سليم النقل . والنسخة منقولة عن أصل مكتوب بآخره إنه نقل من نسخة مقروءة على المؤلف . وعنوان الكتاب في هذه النسخة : (كتاب الإنصاف بذكر أسباب الخلاف ، تأليف الإمام النحوي اللغوي أبي عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسي رحمه الله) .

وجاء في آخره :

« وافق الفراغ من كتابته بالمدينة المنورة على من تنوّرت به أفضل الصلاة والسّلام يوم الثلاثاء أواسط رمضان المعظم من عام إحدى وستّين وألف رزقنا الله خيره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً » .

وفي طرة الكتاب على الصفحة الأخيرة في مقابلة عبارة الختام ما نصه :

« انتهى كتابة ومقابلة من أصل مكتوب بآخره : بلغ مقابلة بأصل قرئ على المؤلف ، مكتوب عليه ما مثاله : انتهت القراءة على الفقيه الأستاذ أبي محمد البطليوسي ، أدام الله عزه ، بمدينة بلنسية في مستهل ربيع الأول سبعة وخمس مئة » .

وجاء بعد نسخة الإنصاف ، رسالة ابن السيد البطليوسي في (الاسم والمسمّى) .

ولم أعثر في القاهرة على نسخة مخطوطة من الكتاب ، ولعلَّ المطبوع نقل عن نسخة استهلكت في الطباعة ، أو ضاعت ، أو دخلت خزانة خاصّة لم يُنتبه إليها . ولهذا فإنَّ هذه النسخة (المطبوعة) ستظلّ بين أيدينا في أثناء التحقيق . ذلك أنني وجدت المؤلّف يزيد بعض الكلمات والجمل ، أو ينقص منها ، بين الحين والحين . وليس ذلك على سبيل إدراج أفكار جديدة أو العُدول عن أفكار سابقة ، ولكنَّ ذلك يأتي على سبيل الإيضاح أو الإسهاب أو التعليق .

وقد مرَّ أن ابن السّيد اشتغل بـ (التَّعليم) ، وأنه كان يُقرئ كتبه ومؤلفاته ويقرّرها على طلاّبه . ولا شكَّ في أن كتابه (الإنصاف) كان من مؤلّفاته التي طال تدريسه لها . فهو كتاب على جانب من الأهمية باعتباره كتاب أصول رفيع . وهو أيضاً كتاب طريف في موضوعه كما نبّه المؤلف في مقدمته ، فقد قال : « إنه كتابٌ قليل النظير ، نافع للجمهور ، عجيب المنزع ، غريب المقطع ، يُشبه المخترع وإن كان غير مخترع . ينتمي إلى الدين بأدنى نسب ، ويتعلّق من اللسان العربيّ بأقوى سبب ... » إلخ .

ولهذا كله أفَدْتُ من النسخة المطبوعة ، ونبهت على ما طرأ على النسخة المعتمدة من خلاف برمزي (ط) للمطبوع . وجعلت النصّ نصاً مختاراً ، وكانت الأفضلية دائماً لسياق النص المخطوط ، لثقة النسخة التي بين أيدينا أوّلاً ، ولئلا يضطرب العمل فيه من جهة أخرى .

وقد سلكت في تحقيق الكتاب منهجاً وسطاً . فلم أُسرف في الهوامش ، والتعليقات ، والشروح . ولم أتوغل في الوقوف عند مسائله التي طرحها ، فذلك بابٌ آخر ، أحرى أن يدخل في تأليف مختص ، لا أن يكون جزءاً من توثيق نص . أضف إلى ذلك أن المؤلف أكثر من الإشارات والأمثلة المتنوعة من مسائل الفقه وقضايا الحديث ، والكلام ، والفلسفة ، واللغة ، لا على سبيل التحليل والسَّرد ولكن على سبيل التمثيل والتدليل ، ومثل هذا لا يُستطاع ـ في هذا النطاق ـ السَّعي وراءه .

وتحدَّد عملي في الإحالة كما في تخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وفي التحقيق ، وبعض الشرح كما في الأمثال والأقوال ، والأشعار . وفي الشرح كما في بسط بعض

المصطلحات ، والتعريفات ، والتعليقات اللغوية بخاصة . والإشارات إلى الأعلام والرجال مما تقتضي الضرورة أن ينبّه إليهم . وكان من المنهج أن يترك المشهور المعروف ، مما لا تزيد ترجمته القارئ فائدة .

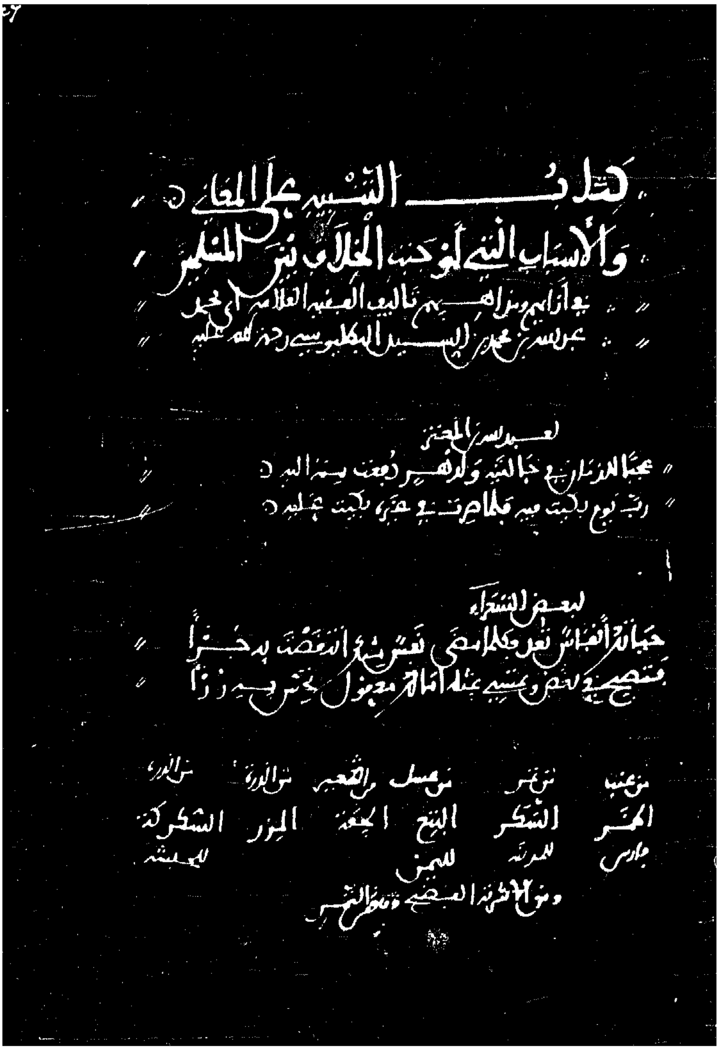
ولا شكّ في أن كتاباً كهذا يُدرج في اهتمامات متعددة ، فهو يرتبط بالأصول ومسائل الفقه ، كما يرتبط باللغة وجوانب الأدب ؛ وهو كتابٌ يمكن البسط فيه ، والتعليق عليه ، والاستدراك له ... وقد نبّه ابن السِّيْد إلى تداخل ما في هذا الكتاب من أمور ، واعتماده على عدد من الفنون ، في مقدمة كتابه ، إذ قال ما نصُّه :

« إني .. صرفت خاطري إلى وضع كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمّة ... ينتمي إلى الدّين بأدنى نسب ، ويتعلّق من اللسان العربيّ بأقوى سَبب ، ويُخبر مَنْ تأمَّل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهيَّة مفتقرةٌ إلى علم الأدب ، مؤسَّسة على أصول كلام العرب .. » .

وأرجو أن يكون في نشر هذا الكتاب ، ما يُفيد العاملين في أمور الشَّريعة ، وفي قضايا اللغة ، وأن يكون الإحسان في تحقيقه والتعليق عليه أكثر من الزَّلل . وسبحانَ الذي لا معقّب لكلماته .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

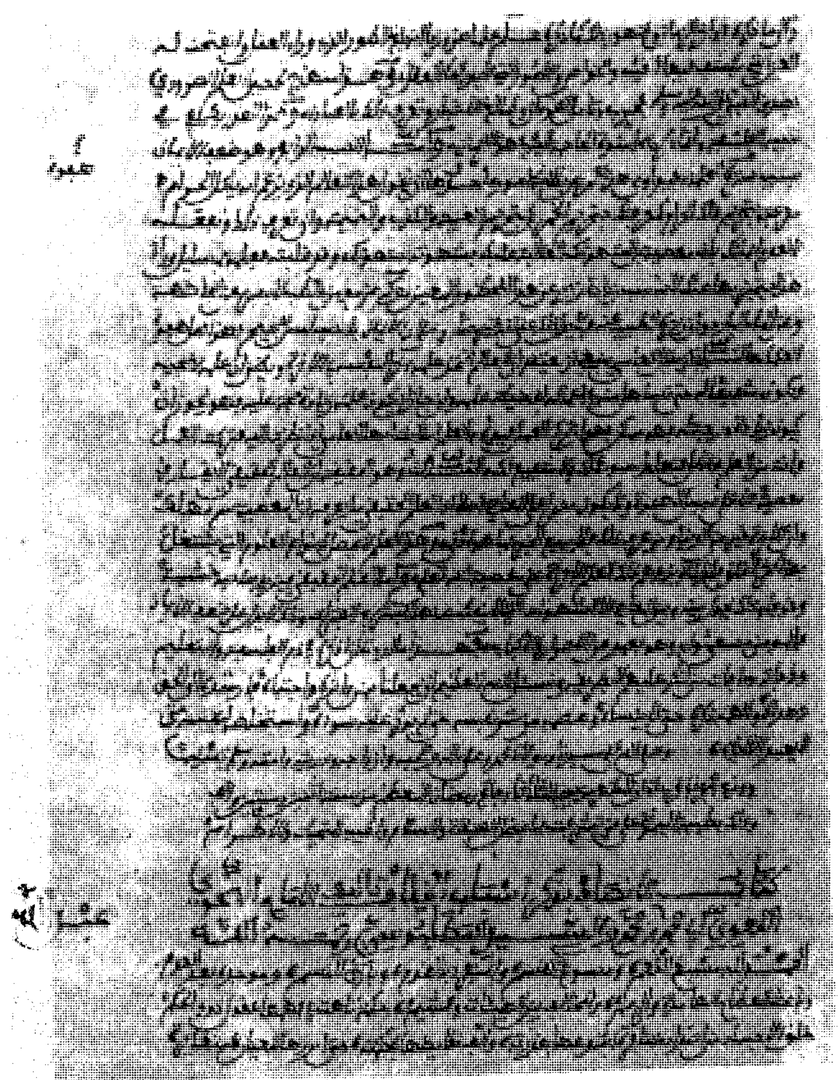
د. محمد رضوان الداية


كتاب التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين
في آرائهم ومذاهبهم تأليف الفقيه العلامة أبي محمد
عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي رحمه الله عليه

لعبد الله بن المعتز
عجبا للزمان في حالتيه وبلاء دفعت منه إليه
رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

لبعض الشعراء

بداية النسخة (د)



بداية النسخة (م)

الإنصاف

في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم

«إنّ اختلاف المختلفين في الحق
لا يوجبُ اختلافَ الحقِّ في نفسه»

تأليف
الإمام النحوي اللغوي أبي محمد عبد الله بن محمد
ابن السيد البطليوسي
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ـ عونك اللّهم . قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسِيّ ، رحمه الله :

الحمد لله مُسبغ النِّعم ، ومُسوِّغ القِسَم ، والمنفرد بالقِدَم ، وبارئ النَّسَم ، وموجدنا[1] بعد العَدم ؛ وباعث العِظام الهامدة والرِّمم ، والمخالف بين الهَيئات والشِّيَم . حكمةً تاهَت في فَهمها عُقولُ ذَوي الحِكَم ؛ خَلق الأجسام[2] من أضدادٍ مُتنافرةٍ ابتَدعها بقُدرته ، وألّف نقائضَها بحكمته ، حتّى أبرَزها للعَيان متغايرةَ الصُّور والألوان ؛ مُتقنةَ الأشكال ، مُخترعةً على غَير مِثال ؛ وخالَف بين الآراء والاعتقادات كما خالفَ بين الصُّور والهَيئات ، وأخبرَنا بما في ذلك مِن واضِح الآياتِ[3] ؛ فقال[4] تعالى(١) : ﴿ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ والأَرْضِ واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وألوانِكُمْ إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالِمين ﴾ .

1. في : م ، ط : وموجده .
2. في م ، ط : الأجساد .
3. في م : واضح الدلالات ، في ط : أوضح الدلالات .
4. في م ، ط : فقال عز من قائل .

(١) سورة الروم ٣٠ : ٢٢ .

وقـال جلّ جلالـه(٢) : ﴿ ولا يَـزالُـونَ مُخْتَلِفِينَ . إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّـكَ ولِذلكَ خَلَقَهُمْ ﴾ .

وبَيّن لنا أنه قديرٌ على غيرِ ما أَجْرى العادةَ به[1] فقـال(٣) : ﴿ ولَوْ شـاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلى الهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِيْن ﴾ .

ونَبَّهَنا أَلطفَ تَنبيهٍ على ما في هـذا الخِلافِ الموجُود في البَشَر ، المَرْكوز في الفِطَرِ من الحكمة البالغة ، وأنه جعلهُ إحدى الـدّلائل على صِحّـة البَعثِ الذي أنكرهُ مَن أَلْحَد في أسمائه ، وكفَر بسوابغِ نَعمائه فقال ـ وقولُـه الحقّ ، ووعدُه الصّدق ـ(٤) : ﴿ وأَقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْـداً عليـه حَقّـاً ولكنَّ أَكْثَرَ النَّـاسِ لا يَعْلَمُـونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّـذي يَخْتَلِفُونَ فِيْهِ ولِيَعْلَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِيْن ﴾ .

---

1. كلمة (به) لم ترد في نسخة (ن) .

---

(٢) سورة هود ١١ : من الآيتين ١١٨ ، ١١٩ وتمامها : ﴿ ولو شاء ربُّك لجعلَ النـاسَ أمـةً واحـدةً ولا يَزالُـونَ مختلفين إلاّ من رحم ربـك ولـذلـك خلقهم وتمّت كلمة رَبِّكَ لأملأن جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين ﴾ .

قال القاضي عبد الجبـار في قولـه تعـالى : ﴿ وَلِـذلِـكَ خَلَقَهُمْ ﴾ : يعني ولأن يرحمهم خلقهم ، لأن الكلام يجب أن يُجعل متعلّقاً بأقرب ما يمكن تعلّقـه بـه إذا أمكن ذلـك فيـه ، ولم يمكن تعليقه بالكل . انظر متشابه القرآن ١ : ٣٨٧ .

ونقل القرطبي : قال الحسن وعطاء ويمان : الإشارة للاختلاف ، أي : وللاختلاف خلقهم .

وقال ابنُ عبّاس ومجاهد وقتادة والضحاك : ولرحمته خلقهم . انظر تفسير القرطبي ٩ : ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : من الآية ٣٥ . وتمامها : ﴿ وإنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إعراضُهُم فـإن اسْتَطَعْتَ أن تَبْتَغيَ نَفَقـاً في الأَرْضِ أوْ سُلَّماً في السَّماء فَتَـأْتِيَهُمْ بِـآيَـةٍ ولـو شـاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلى الهُـدى فـلا تكونَنَّ مِنَ الجَاهِلِيْن ﴾ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٣٨ ، ٣٩ .

وهذه الآيةُ أحد[1] ما تَضَمَّنَهُ القرآنَ العزيزُ من الأدلّة[1] البُرهانيّة على صِحّة البَعث . ووجهُ البُرهان المنفكُّ من هذه الآيةِ الّتي لا يقدّرها حقَّ قدْرِها إلاّ العالِمون ، ولا يَنتبهُ[2] لغامِض سِرِّها إلا المُستَبصرون أنّ اختلافَ النّاسِ[3] في الحقّ لا يُوجبُ اختلافَ الحقّ في نفسه . وإنّما تَختلفُ الطُّرق المُوصلةُ إليهِ ، والقياساتُ المركَّبَةُ عَليهِ ، والحقُّ في نفسِه واحد[4] .

فلمّا ثَبت أنَّ ههُنا حقيقة موجودة لا محالة ؛ وكان لا سبيلَ لنا في حياتِنا هذه إلى الوُقوفِ عليها وُقوفاً يوجبُ لنا الائتلافَ ، ويرفع عنا الاختلاف ـ إذ كانَ الاختلاف مَركوزاً [٢ ب] في فِطَرنا ، مَطبوعاً في خِلَقنا ؛ وكان لا يمكن ارتفاعُه وزوالُه إلاّ بارتفاع هذه الخِلقة ونقلِنا إلى جِبِلّةٍ(٥) غيرِ هذه الجِبلّة ـ صَحّ ضرورةً أنّ لنا حياةً أُخرى غيرِ هذه الحياة[5] ، فيها يرتفعُ الخلافُ والعِناد ، وتزولُ من صُدورِنا الضّغائنُ الكامنةُ والأحقاد . وهذه هي[6] الحال التي وَعدنا اللهُ تَعالى بالمصيرِ إليها فقال(٦) تعالى[7] : ﴿ ونَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِيْن ﴾ .

---

1. في ط : إحدى ، في م : الدلالة .
2. في م ، ط : يتنبه .
3. في م ، ط : المختلفين .
4. في م : والحق واحد في نفسه .
5. في م : غير هذه .
6. في م ، ط : وهي هذه .
7. في م ، ط : فقال .

---

(٥) الجِبِلّة : الخِلقة ، والطبيعة .

(٦) سورة الحجر ١٥ : ٤٧ . الغل : الحقد المنغل ، أي الكامن .

ولا بُدَّ من كونِ ذلكَ باضطرار[1] ؛ إذ كانَ وجودُ الاختلاف[1] يَقتضي وجودَ الائتلاف ، لأنه ضربٌ ونوعٌ من المُضاف .

وكان لا بدَّ من حقيقة ؛ وإن لم تَقُل ذلك صِرنا إلى مَذهبِ السُّوفسطائيّة(٧) في نَفي الحَقائق . فقد صارَ الخِلافُ الموجودُ في العالَم ـ كما تَرى ـ أوضحَ الدَّلائلِ على كَونِ البعثِ الذي يُنكره المُنكِرُون ، وينازِعُ فيه المُلحِدُون الكافرون[2] .

فسبحانَ مَنْ أودع[2] كتابه العزيز تصريحاً وتلويحاً كُلَّ لطيفةٍ لِمَن قَدَرَهُ حَقَّ قَدره ، وَوُفِّقَ لِفَهم غوامض سِرِّه .

وصَلَّى اللهُ على مَنْ هَدانا بهِ من الضَّلالة ، وعَلَّمنا بعدَ الجَهالة . وإيّاهُ نسأل أن يُوفقنا لاقتفاء آثارِه ، حتّى يُحلّنا دار المُقامةِ[3] في جِواره .

وإنّي لَمّا رأيتُ النّاس قد أفرطوا[4] في التّأليف ، وأملّوا الناظرينَ بأنواع[5] التّصنيف ؛ في أشياء مَعروفة ، وأساليب مَألوفة[5] ، يُغني بعضَها

---

1. في ط : بالاضطرار . ـــ في م ، ط : الخلاف .
2. (الكافرون) لم ترد في « ن » . ـــ في ط : أودع لنا .
3. في م ، ط : دار الكرامة .
4. في م : أطنبوا .
5. في م ، ط : في أنواع . ـــ في م ، ط : أساليب معروفة ، وأشياء مألوفة .

---

(٧) تحدث الإمام ابن حزم عن السوفسطائية ـ وهم مبطلو الحقائق ـ ونَقل أنهم ثلاثة أقسام : صنفٌ نفى الحقائق جملة ؛ وصنفٌ شكُّوا فيها ؛ وصنف قالوا : هي حق عند من هي عنده حق ، وهي باطل عند من هي عنده باطل ؛ قال : وعمدة ما ذُكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواسّ في المحسوسات كإدراك البصر من بعد عنه صغيراً ومن قرب منه كبيراً ... » . الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١ : ٨ ـ ٩ . وانظر التبصير في الدين للإسفراييني : ١٣١ . وفضائح الباطنية : ٩٠ . وتعريفات الجرجاني : ٥٢ .

عن بَعض[1] ؛ صرفتُ خاطري إلى وضعِ كتابٍ في أسْباب الخِلاف الواقعِ بين الأُمَّة ، قليل النَّظير ، نافِع للجُمهور ، عَجيب المنزع ، غريب المَقْطع ، يُشبه المُخْتَرَعَ وإن كان غيرَ مُختَرَع ؛ يَنتمي إلى الدِّين بأدنى نَسب ، ويَتعلَّق من اللِّسان العربي بأقوى سَبب . ويُخبر مَنْ تَأمَّلَ غَرَضه ومَقْصِده بأن الطّريقة الفِقهية مُفتقرةٌ إلى عِلم الأدب ، مُؤسّسةٌ على أُصول كلام العَرب ، وأن مَثلها ومَثله قول أبي الأسْوَد الدُّؤَلي(٨) :

فإلاّ يَكُنْها أو تَكُنْهُ فإنَّهُ ... أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبانِها

وليس غَرَضي من كتابي هذا[2] أنْ أتكلَّم في الأسباب التي أَوجبت الخِلافَ الأعظم بين مَنْ سَلف وخَلَف من الأُمم ، وإنّما غَرَضي أن أذكرَ الأسباب الَّتي أَوجبت الخِلاف بين أَهل مِلَّتنا الحنيفيّة التي جَعلنا الله تعالى من أَهلِها ، وهَدانا إلى وَاضِح سُبلها ؛ حتَّى صار من فُقهائهم : المالكيّ(٩) ، والشَّافعيّ(١٠) ، والحنفيّ(١١) ، والأوزاعيّ(١٢)[3] ، ومن ذوي مقالاتِهِمْ :

---

1. لم ترد العبارة في « ن » .
2. في م : في هذا الكتاب .
3. (الأوزاعي) لم ترد في « ن » .

---

(٨) البيت في كتاب سيبويه ١ : ٢١ . والعقد ٦ : ٢٣٨ . وهو في مجموع شعره (ديوان أبي الأسود الدؤلي) : ٨٢ ثالث ثلاثة أبيات . وقد قالها في غلام له كان يرسله في بضاعة له إلى الأهواز ، (وكان الغلام يصيب من الشرّاب) . وفي الديوان :

فإنّ لا يَكُنْها أو تكنهُ فإنّهُ ... أخٌ أرضعتْهُ أُمُّه بِلِبانها

واللِّبان (بكسر اللام) كالرّضاع . يقال : هو أخوه بلبان أُمه .

(٩) الإمام مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩) .

(١٠) الإمام الشافعي : محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤) .

(١١) الإمام أبو حنيفة : النعمان بن ثابت (٨٠ ـ ١٥٠) .

(١٢) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٧) من الطبقة الأولى من مجتهدي=

الجَبْرِيّ(١٣) ، والقَدَرِيّ(١٤) ، والمُشَبِّـهُ(١٥) ، والجَهْمِيّ(١٦) [٣أ] . ومن شِيَعِهِم[1] :

---

١. في ط : شيعتهم .

= الإسلام . وإمام الديار الشامية في الفقه ، والزهد . وتبعاً لانتشار مذهبه في الشام انتشر في الأندلس ، ثم غلب مذهب الشافعي في الشام ، والمالكي في الأندلس . ولد الإمام الأوزاعي في بعلبك ، وعاش في بيروت وتوفّي بها .

(١٣) الجبريّ : القائل بالجبر . وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى . والجبرية اثنان : متوسطة تُثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية ، وخالصة لا تُثبت كالجهميّة .
انظر : تعريفات الجرجاني : ٣٣ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٠٨ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٢٠٠ .

(١٤) قال في التعريفات : « القدريّة هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى » .
انظر : تعريفات الجرجاني : ٧٥ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ٥٤ . والتبصير في الدين للإسفراييني : ٦٠ . والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي : ٢٥٧ . والفرق بين الفرق للبغدادي : ١٨ . وانظر فيه ١١٤ .

(١٥) المشبهة : شبّهوا ذات الباري بذات غيره . وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره . وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى . كذا في الفَرق بين الفِرق . وقال في التعريفات : « المشبهة قوم شبّهوا الله تعالى بالمخلوقات ، ومثّلوه بالمُحْدثات » .
انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي : ٢٢٥ . وتعريفات الجرجاني : ٩٥ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٣٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١٠٢ ـ ١٠٥ . والتبصير في الدين للملطي : ١٠٥ .

(١٦) الجهميّة : أتباع جهم بن صفوان الرّاسبي (.. ـ ١٢٨) انظر مقالاته وآراءه في : الفرق بين الفرق للبغدادي : ٢١١ ـ ٢١٢ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٠٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١٩٧ . والتبصير في الدين للإسفراييني : ٩٦ . والتنبيه والرد للملطي : ٩٣ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٢٦١ . وتعريفات الجرجاني : ٣٦ .

الزَّيْدِيّ[17] ، والرَّافِضِي[18] ، والسَّبَئِي[19] ، والغُرابي[20] ، والمُخَمِّس[1][21] ، والمُحَمَّدي[22] ، وغير هؤلاء من الفِرَق الثّلاث والسَّبعين[23] الّتي نَصَّ عليها رسولُ الله ﷺ .

---

1. (المخمس) لم ترد في « ن » .

---

(١٧) نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان خطيباً ، فقيهاً ، متكلّماً . ثار على بني أمية بالكوفة ، وقتل سنة ١٢٢ .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٠٧ . والتبصير في الدين للإسفراييني : ٣٢ . والتنبيه والرد للملطي : ٣٨ . والفرق بين الفرق للبغدادي : ٢٢ . ومقالات الإسلاميين ١ : ١٢٩ .

(١٨) انظر في الرافضة : التنبيه والرد للملطي : ٢٥ . والتبصير في الدين للإسفراييني : ٢٢ . والفرق بين الفرق للبغدادي : ٢١ ، ٢٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١٢٧ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٧٦٤ .

(١٩) السبئية : من غلاة الشيعة . وهم أصحاب عبد الله بن سبأ (.. ـ نحو ٤٠) . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢ : ١١ . والتنبيه والرد للملطي : ٢٥ . والفرق بين الفرق للبغدادي : ٢٥٥ . والتّبصير في الدين : ١٠٥ ـ ١٠٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ٨٥ . وتعريفات الجرجاني : ٥١ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٧٦٤ .

(٢٠) الغرابيّة من الغلاة .
انظر : الفرق بين الفرق : ٢٤٥ . والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤ : ١٨٣ . والتبصير في الدين : ١١٢ . وتعريفات الجرجاني : ٦٩ . وكشاف اصطلاحات الفنون : ١٠٨٩ .

(٢١) المخمّسة : قوم قالوا بألوهية خمسة أشخاص . قاله الشهرستاني في ٢ : ١٣ .

(٢٢) المحمدية : يقولون بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ويقولون إنه لم يمت .
انظر : الفرق بين الفرق : ٥٦ . والتبصير في الدين : ٣٩ . ومقالات الإسلاميين ١ : ٩٧ .

(٢٣) حديث افتراق الأمة على اثنتين وسبعين فرقة أو على ثلاث وسبعين فرقة ، أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وحديث عوف بن مالك . وفي الزوائد : أن حديث هشام إسناده صحيح ورجاله ثقات .
والمؤلف يشير إلى رواية عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار . وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة . والذي نفس محمد بيده لتفترقنّ أمتي على ثلاث =

ولا غَرَضي أيضاً[1] أن أحصُرَ أصناف المَذاهبِ والآراء ، وأُناقضَ ذَوي البِدَع المُضللة[2] والأهواء ، لأنَّ هذا الفَنَّ من العِلم قد سُبِقَ إليه ونُبِّهَ في مواضع كثيرة عليه ؛ وإنَّما غَرضي أن أُنَبِّهَ على المواضِع التي منها نشأ الخِلافُ بين العُلماء حتى تَبايَنُوا في المَذاهب والآراء .

وأنا أسترشدُ اللهَ تعالى[3] إلى سبيل الحقّ وأستهديه ، وأسألُه العونَ على ما أُحاوِلُهَ وأنويه ، وأرغبُ إليه أن يَعصمني من الزَّلل فيما أقولُه وأحكيه ، إنَّهَ وَلِيُّ الطَّوْلِ ومُسديه ؛ لا ربَّ سِواه ، ولا معبودَ حاشاه .

☆ ☆ ☆

---

1 . (أيضاً) ناقصة من : ط .

2 . في ط : المضلة .

3 . (تعالى) من « ن » .

= وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار . قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : الجماعة » .

انظر : سنن ابن ماجه ص : ١٣٢٢ . وسنن أبي داود ٤ : ٢٧٦ .

وراجع الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي : ٢٦ ـ ٢٨ . والاعتصام للشاطبي ٢ : ١٦٣ ـ ٢٠١ . وانظر أيضاً : الفرق بين الفرق : ٧ ـ ٩ .

ذكر الأسبَاب الموجبَة للخلاف كَم هيَ

أقـول وبـالله أعتصم[1] ، وإليـه أفـوّض في جَميـع أمري وأُسلّم[1] : إن الخلاف عَرَض لأهل مِلّتنا من ثمانية أوجـه ، كل ضَرْبٍ من الخلاف متولّـد منها متفرع عنها[2] .

الأول منها : اشتراكُ الألفاظ والمعاني .

والثاني : الحقيقةُ والمجاز .

والثالث[3] : الإفرادُ والتّركيب .

والرابع : الخُصوص والعُموم .

والخامس : الرِّواية والنَّقل .

والسادس : الاجتهادُ فيما لا نَصَّ فيه .

والسابع : الناسِخُ والمَنْسُوخ .

والثامن : الإباحةُ والتَّوسُّع[4] .

ونحن نذكرُ من كلِّ نوعٍ من هذه الأنواعِ أمثلةً تُنبّه قارئَ كتابنـا هـذا على بقيَّتها إذ كانَ استيفاءُ جميعَ ذلك من المتعذّرِ على مَنْ حـاولـه ؛ وبـالله التّوفيق ؛ لا ربَّ غيره[5] .

---

1. في م ، ط : العصمة . ـ العبارة التالية ، لم ترد في م ، ط .
2. في م : متولد منها ، متفرع عنها .
3. في م ، ط : الثاني ، الثالث ... إلخ .
4. في م ، ط : والتوسيع .
5. العبارة في « ن » فقط .

البَابُ الأَولُ

في الخلاَف العارض من جهَة اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلاَت الكثيرة

هذا الباب ينقسم[1] ثلاثة أقسام :

أحدها : اشتراكٌ في موضوع اللفظة المفردة[2] .

والثاني : اشتراكٌ في أحوالها التي تعرِضُ لها من إعرابٍ وغيره .

والثالث : اشتراكٌ يوجبه تركيبُ الألفاظِ وبناءُ بعضها على بعض .

فـأمـا الاشتراكُ(١) العـارضُ في مَـوضـوع اللَّفظـة المفردةِ فنوعان :

اشتراكٌ يجمعُ معانيَ[3] مختلفةً متضادّة ، واشتراك يجمعُ معانيَ[3] مختلفةً غيرَ مُتضادّة .

فالأول[4] كالقرْءِ(٢) . ذهبَ الحجازيّون من الفُقهاء ، إلى أنّه الطُّهر ، وذهب العراقّيون إلى أنَّهُ الحَيْض(٣) . ولكلٍّ واحدٍ من القَولين [٣ ب] شاهدٌ من الحَديث ومن اللُّغة .

---

1. في ط : ينقسم إلى .
2. في م ، ط : اللفظة الواحدة .
3. في ط : يجمع معان .
4. في م :الأول .

---

(١) قال السيوطي : حدّ (عَرّف) أهل الأُصول المشتركَ بأنه : اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة . انظر : المزهر ١ : ٣٦٩ .

(٢) القرء فيه لغتان : الفتح ، وجمعه قروء وأقرؤ ؛ مثل : فلس وفلوس وأفلس . والضمّ ، ويُجمع على أقراء ؛ مثل : قفل وأقفال .

(٣) قال ابن الأثير (النهاية ٤ : ٤٢) في القرء : « وهو من الأضداد ، يقع على الطهر ، وإليه =

أما حُجّة الحجازيين من الحديث[1] فما رُوي عن عُمر وعُثمان وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنّهم قالوا : الأقْراءُ : الأطهار(٤) .

وأما حُجّتهم من اللُّغة فقولُ الأعشى(٥) :

وفي[2] كُـلِّ عـامٍ أنتَ جـاشِمُ غَـزْوَةٍ ... تَشُـدُّ لأقصـاهـا عَـزيْمَ عَـزائِكا
مُـوَرِّثَـةً مـالاً وفي الحَيِّ رِفْعَـةً ... لِما ضـاعَ فيهـا من قُروءِ نِسـائِكا

1. (من الحديث) لم ترد في « ن » .
2. في ط : أفي .

= ذهب الشافعيّ وأهل الحجاز ؛ وعلى الحيض ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأهل العراق » . وانظر : اللسان ١ : ١١٥ ـ ١١٦ . والأضداد لابن الأنباري : ٢٧ ـ ٣٢ .

(٤) هكذا وردت العبارة في النسخ . ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣ : ١١٣ . اختلاف الأئمة والعلماء في الأقراء ، فقال : « واختلف العلماء في الأقراء ؛ فقال أهل الكوفة : هي الحيَض . وهو قول عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وأبي موسى ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحّاك ، والسدّي . وقال أهل الحجاز : هي الأطهار . وهو قول عائشة ، وابن عمر ، وأبان بن عثمان ، والشافعي » . وفصّل في الموضوع .

(٥) البيتان في ديوانه : ٩١ ، ويتردّدان في المصادر . انظر : تفسير الطبري (بتحقيق أحمد شاكر) ٤ : ٥١٢ . ومجاز القرآن ١ : ٧٢ . واستشهد بها أيضاً القرطبي في تفسيره ٣ : ١١٣ . وهما في اللّسان ١ : ١٢٦ كما أوردهما المؤلف . وفي الأضداد لابن الأنباري : ٣٠ ، والصحاح (قرأ) : « مورثة مالاً وفي الأصل رفعة » ، وفي الديوان : « وفي الحمد رفعة » .
وهما من قصيدة يمدح بها هَوْذَة بن علي الحنفي ، (وكان ملكاً على قومه في اليمامة) ، يقول الشاعر للممدوح : « إن لك في كل عام غزوة تتجشّمها ، تجمع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعوّضك عما عانيت من البعد عن نسائك » . ـ راجع ص ٩٠ من شرح الديوان ـ . وقال الثعالبي : « ومما جاء في حسن الكناية عن النكاح في شعر الجاهلية قول الأعشى (البيتان ..) . قال : والقروء هنا : الأطهار ، لأن الممدوح لما كان كثير الغزو لم يغش النساء للغيبة عنهن في مغازيه ، أضاع أطهارهن » ؛ الكنايات للثعالبي : ١٠ .

وأما حُجّةُ العِراقيين من الحَـديث فقولُ النبيّ[1] ﷺ للمُستحـاضـة : « اقْعُدي عنِ الصَّلاةِ أيَّامَ أقرائك »(٦) .

وأما حُجَّتُهُمْ من اللُّغةِ فقولُ الرَّاجز(٧) :

يـــا رُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فــارضِ لَــــهُ قُرُوْءٌ كَقُرْءِ الحَـــائِضِ[2]

وقـد حكى يعقوبُ بن السِّكّيت وغَيْرُه من اللُّغويين أنّ العربَ تَقُول :

---

1. في م : فقوله .
2. في ط : يُرى له قرء .

---

(٦) قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : الأقراء : الأطهار . وقال بمثل معنى قولها زيـد بن ثـابت وابن عمر وغيرهما . وقال نفر من أصحـاب النبي ﷺ : الأقراء الحيض . قـال ابن القيّم في زاد المعاد : وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي موسى وعبادة بن الصـامت وأبي الدرداء وابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم .
وفي الحديث روايات كثيرة في أمر النبي ﷺ للمُستحاضـة أن تـدع الصلاة أيـام أقرائهـا ، عن عائشة وأم حبيبة بنت جحش (راجع سنن أبي داود ١ : ١١٤ ـ ١١٧ . وانظر ـ في تحقيق كلام المؤلف ـ الرسالة للإمام الشافعي ص ٥٦٢ . تحقيق أحمد شـاكر « الطبعـة الأولى ١٣٥٨ ـ ١٩٤٠ مصر ـ مطبعة البابي الحلبي ») .

(٧) في اللسان (قَرأ) : « أنشد ابن الأعرابي :

يـــا رب مـــولى حـــاســـد مبـــاغض عليّ ذي ضغن وضب فـــــــــــارض
لَهُ قُروءٌ كَقُروء الحائِضِ

عَنى بضبّ فارض : عداوةً عظيـمة كبيرة (من الفـارض وهي المُسنّـة من البقر) . وقولـه : لـه قُروء . يقول : لعداوته أوقاتٌ تَهيج فيها مثل وقت الحـائض » . والرَّجز في الحيوان ٦ : ٦٦ . وفي مجـالس ثعلب ١ : ٣٠١ وفيـه : « شـانئ مُبـاغض » و « لـه قروٌ كَقُروٌ » بـالتّسهيل . وفي الأضداد لابن الأنباري : ٢٨ :

وصـــــاحبٍ مُكاشـــح مُبـــــاغِض لـــــــه قُروء كقروء الحـــــــائض

وانظر مقالة ابن فارس في الصّاحبي : ٣١ (باب القول في الاحتجاج باللغة العربيـة) . وقـدّم لتفسير القرء بالحيض بقوله : « لغة العرب يُحتج بها فيا اختُلف فيه » .

أَقرأتِ المرأةُ ، إذا طَهُرت . وأَقرأت ، إذا حـاضَتْ . وذلـكَ أنَّ القَرْء في كلامِ العرب معناهُ الوَقت ، فلذلك صَلَح للطُّهر والحَيْض معاً[٨] .

ويدلُّ على ذلك قولُ الشّاعر :

شَنِئْتَ العَقْرَ عقْرَ بني شُلَيْـــلٍ[1] إذا هَبّتْ لِقـارِئهـا الرِّيـاحُ[٩]

وقد احتجَّ بعضُ الحِجازيين لِقولهم بقولـه تَبـارك وتَعـالى[2] : ﴿ ثَلاثَـةَ قُرُوء ﴾[١٠] فأثبتَ الهاء في (ثَلاثة) ؛ فدلَّ ذلـك على أنـه آراد الأَطْهـار ، ولو أراد الحيضَ لقال : (ثَلاثَ قُرُوء) لأنّ الحَيْضة مؤنثة .

1. في م ، ن : سليل ، بالسين المهملة .
2. في « ن » بقوله تعالى .

(٨) انظر : الأضداد لابن الأنباري : ٢٧ ـ ونقل أيضاً عن الأضداد للأصمعي ، والأضداد لقطرب ـ وقال ابن الدَّهان (الأضداد : ١٠٤) القرء : الحيض والطهر . وفي النِّهاية لابن الأثير ٤ : ٣٢ : « الأصل في القرء الوقت المعلوم ، فلذلك وقع على الضِّدين ، لأن لكلٍّ منها وقتاً » . وانظر مادة (قرأ) في المعاجم .

(٩) البيت لمالك بن الحارث الهُذلي . وفي ديوان الهذليين ٣ : ٨٣ : (كرهت العقر ..) ونبّه على رواية (شنئت) . والعَقْر : مكان ، وكرهه لأنه قوتل فيه . وشليل جدّ جرير بن عبد الله البجلي . وقاريها : وقتها . يقال ذلك للريح إذا هبت لوقتها . واسم الشّليل : (جابر بن مالك) كما نقل ابن دريد في الاشتقاق : ٥١٦ . قال : واشتقاق الشليل إما من تصغير أشل ، وهي من اليد الشلاء ، أو تصغير شلل .
ويُستشهد بالبيت في تفسير (القرء) وفي مادة (قرأ) في المعاجم الموسّعة . (راجع مثلاً تفسير الطبري ٤ : ٤٩٩ ، وتفسير القرطبي ٣ : ١١٣) .

(١٠) سورة البقرة ٢ : من الآية ٢٢٨ : ﴿ والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ في أرحامِهِنَّ إن كُنَّ يُؤمِنَّ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وبُعُولَتُهُنَّ أحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذَلِكَ إنْ أرادوا إصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بالمَعْروفِ وللرِّجال عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وهذا لا حجَّة فيه عندَ أهلِ النَّظر ، وإنّما[1] الحُجّةُ ما قَدّمناه . وإنّما لم تكن فيه حُجَّة لأنه لا يُنكَرُ أن يكونَ القُرء لَفظاً مُذكّراً يُعنى به المؤنَّث . ويكونُ تَذكير (ثَلاثة) حَمْلاً على اللفظ ، دونَ المعنى ، كما تقول العَرَبُ : (جاءني ثَلاثة أشخص[2]) وهم يَعنُون نساء(١١) .

والعَربُ تَحمل[3] الكلامَ تارةً على اللّفظ ، وتارةً على المعنى . ألا ترى إلى قِراءة القُرّاء : ﴿ بَلَى قَدْ جاءَتْكِ آياتي فَكَذَّبْتِ بها واسْتَكْبَرْتِ ﴾(١٢) . بكسر الكافِ والتاء وفَتحِها[4] .

ووقوعُ الأسماءِ على المُسَمَّيات في كلامِ العَربِ ينقسمُ أربعةَ أقسام :

أَحدها : أن يكونَ المُسمّى مذكراً ، واسمُه مذكر ، كرجلٍ يسمّى بزيدٍ أو عَمرو .

والآخر : أن يكونَ المسمّى مؤنثاً واسمه مؤنّثٌ ، كامرأةٍ تُسمّى فاطمة .

---

1. في « ن » إنما .
2. في م : أشخاص .
3. في ط : تحول .
4. في « ن » : بكسر الكاف وفتحها .

---

(١١) راجع في الخصائص لابن جني الجزء ٢ : ٤١١ ـ ٤٣٥ فصلاً في (الحمل على المعنى) . وانظر فيه ٢ : ١١٧ على الخصوص . ومادة (شخص) في اللسان .

(١٢) سورة الزمر ٣٩ : من الآية ٥٩ : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فكذَّبْتَ بِها واسْتَكْبَرْتَ وكُنْتَ من الكَافِرِيْن ﴾ . ونقل القرطبي في تفسيره الآية الكريمة : « وروى الربيع بن أنس عن أم سلمة عن النبي ﷺ قرأ : ﴿ بلى قد جاءتكِ ... فكذبتِ ... واستكبرتِ ... وكنتِ ... ﴾ في كلٍّ » . وراجع ما نقله في الجامع ١٥ : ٢٧٣ .

والثالث : أن يكون المُسمّى مؤنثاً واسمُه مذكّر كامرأةٍ تسمى جَعفر[1] وزيد ، قال الشّاعر[2] :

يا جَعفرٌ يا جَعفرٌ يا جَعفرُ إنْ أكُ دَحْداحاً فأنْتِ أقْصَرُ(١٣)
أو أكُ ذا شَيْبٍ فأنتِ أكْبَرُ غَرَّكِ سِربالٌ عليكِ أحْمَرُ [٤ أ]
ومِقْنَعٌ مِنَ الحرير أصْفَرُ وتَحْتَ ذاكَ سَوْأةٌ لو تُذْكَرُ !(١٤)

والرابع : أن يكون المسمّى مُذكراً ، واسمُه مؤنّث ، كرجلٍ يُسمّى طَلحة ، وَحَمزة[3] .

وهذا لا يَخُص[4] الأسماءَ الأعلام دونَ الأجناسِ والأنواع .

وهكذا مذهبُ العربِ في الصِّفة والموصُوف . فربّما كان الموصوفُ مُطابقاً لصفتِهِ في التّذكيرِ والتّأنيثِ ، كقولهم : هذا رجلٌ قائم ، و : هذه امرأةٌ قائمة .

ورُبّما كان مخالفاً لصفتِه في التّذكير والتّأنيث ، كقولِهم : رَجُلٌ رَبْعَةٌ(١٥) ، وعَلاّمةٌ ، ونَسّابة .

وفي المؤنث : امرأةٌ حاسِرٌ ، وعاشِق .

---

1. في م ، ط : بجعفر .
2. في م ، ط : الراجز .
3. في م ، ط : أو حمزة .
4. في ط وحدها : وهذا يخصّ .

---

(١٣) الرّجز في الكامل (١ : ٩٤) وفيه : (إن أكُ ربعةً فأنت أقصر) . ونسبه إلى أعرابي كان يختلفُ إلى مغنية لآل سُليمان ، فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت إليه بيدها إيماءَ عائب له بالقِصَر فأنشأ يقول .... والدحداح : القَصير .

(١٤) المِقنع والمِقْنَعة : ما تقنع به المرأة رأسها .

(١٥) الربعة : الوسيط القامة .

قال[1] ذو الرّمّة :

ولَــــوْ أنّ لُقمانَ الحكيمَ تَعَرَّضَتْ   لِعَيْنَيْـهِ مَيٌّ حـاسِراً كادَ يَبْرَقُ(١٦)

فقد تَبَيَّنَ أنّه[2] لا حُجّة في دُخول الهاء في ثَلاثة .

ومن **الألفاظِ المُشتركة الواقعةِ على الشَّيء وضِدّه** قولُـه تعـالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ(١٧) ﴾ .

قال بعضُ المفسّرين مَعناه : كالنَّهارِ المُضيء ، بَيْضاء لا شَيء فيها .

وقال آخرون : كاللَّيل المُظلم سَوداء ، لا شَيء فيها .

وكـلا القَـولين مـوجـودٌ في اللُّغـة(١٨) . أمّـا مَنْ قـال : كالنَّهـارِ المُضيء فحجّتُه قول زُهير :

---

1. في م ، ط : وقال .
2. في ط : أن .

---

(١٦) ديوان ذي الرمة : ٤٨٠ وفيه (سافراً) يقال : بَرِق يبرَق إذا تحيّر . وحاسراً ، أو سافراً : استغناء عن الصفة بالاسم .

(١٧) سورة القلم ٦٨ : الآية ٢٠ . وقبلها الآية ١٩ : ﴿ فطـافَ عَلَيْهـا طـائِفٌ من ربِّـكَ وَهُمْ نَائِمُون ﴾ .

(١٨) قال في اللسان : الصَّريم : الصبح لانقطاعه عن الليل ، والصريم : الليل لانقطاعه عن الصبح ... ويقال لليل والنهار : الأصْرَمان ، لأن كلّ واحد منها ينصرم من الآخر . مادة (صرم) ١٥ : ٢٢٧ ـ ٢٣٢ . وفي تفسير القُرطبي : ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ أي كالليل المظلم ؛ عن ابن عباس والفراء وغيرهما .. وقال الأخفش : أي كالصبح انصرم من الليل ؛ وقال المبرّد : كالنهار . (تفسير القرطبي ١٨ : ٢٤٢) .
وقال المبرّد في الكامل : قال المُفسّرون في قول الله عز وجل : ﴿ فأصبحت كالصَّريم ﴾ قَوْلين : قال قوم : كالليل المظلم ، وقال قوم : كالنَّهار المُضيء أي بيضاء لا شيء فيها ؛ فهوَ من الأضْداد . الكامل ١ : ٢٣٣ . وارجع إلى : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٤٣ .

بكَرْتُ عَلَيْــهِ غُـــدوةً فرأيتُـــهُ   قعُوداً لَـدَيْـهِ بـالصَّريمِ عَـواذلُـهُ(١٩)

يَعني الصَّباح .

وأمّا مَنْ قال : كاللَّيل ، فَحُجَّتُه قول الرَّاجز :

☆ تَهوي هويَّ أنْجُمِ الصَّريمِ(٢٠) ☆

وقال آخر[1] :

كأنَّــــا والرِّحــــالُ عَلى صُــوَارٍ   بِرَمْـلِ خُـزَاقَ[2] أَسْلَمَــهُ الصَّرِيْمُ(٢١)

وقـال[3] بعضُهم مَعنـاه : انحسرَ عنـهُ الرّمل . وقـال قومٌ مَعنـاه : خَرج من اللّيل وانْجلى عنه ؛ كما قال النّابغة(٢٢) :

حَتَّى غَدا في بَياضِ الصُّبْحِ مُنْصَلِتاً   يَقْرُو الأمـاعِزَ من لُبْنـانَ والأكَما

---

1. في م ، ط : الآخر .
2. في م ، ن : حزاق (بالحاء) .
3. في م ، ط : قال .

---

(١٩) ديوان زُهير بن أبي سلمى : ٣١ . والصريم : جمع صريمة ؛ وهي رملة تنقطع من معظم الرمل . والعواذل : اللائي يعذلنه على إنفاق ماله . وقيل الصريم ههنا : الصبح وهو أشبه بالمعنى لأنه يسكر بالعشي فإذا أصبح وقد صحا من سكره لُمْنَه . وفي شرح ثعلب على الديوان ينسب القول الثاني لأبي عبيدة : ١٤١ .

(٢٠) لم أقف على قائله .

(٢١) البيت من حماسيّة لبَرْج بن مسهر الطّائي : شبه ركائبهم بقطيع من البَقر بالرمل المذكور ، أسلمه الصريم إلى الصيادين والكلاب فخفَّتْ وعَدَت . والصريم استعمل في الصبح والليل جميعاً لأن كلّ واحد منهما ينصرم عن صاحبه وقت السحر ، وإنما ركبوا بعد الاصطباح للتنزُّه ، أو في بطالة حضرتهم . حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٣ : ١٢٧٦ .
وانظر شرح التبريزي : ٣ : ١٣٦ وفيه صِوار بكسر الصاد ، وخُزاق بالخاء مضمومة ومكسورة . وخزاق : موضع في سواد أصفهان (معجم ما استعجم ٢ : ٤٩٧) .

(٢٢) ديوان النابغة (بشرح الأعلم الشَّنتمري) الورقة ١٠٩ ، والديوان (بشرح عاصم بن أيوب البطليوسي : ٦٩) والديوان صنعة ابن السكيت : ١١١ ، والتَّوضيح والبيان : ٥٤ ، وفيها =

وإنّما سُمّي كُلٌ واحدٍ منهما صَريماً لأنه يَنْصَرِمُ إذا وَافى الآخر .

والمعنى أيضاً يَشْهَدُ لكلٍّ واحد من القولين ، لأن العربَ تَقُول : لكَ بياضُ الأرضِ وسوادُها . يَعْنُون بالبياضِ ما لا عَمارة فيه ، وبالسَّوادِ ما فيه العَمارة . فهذا[1] ما يُحتّج به لمن ذَهب إلى مَعنى البياض .

ومَنْ ذهب إلى معنى[2] السواد فإنّما أراد أنها احترقَتْ بريحٍ صَرٍّ[2] ، أو نارٍ ؛ كقوله تَعالى : ﴿ فَأَصَابَها إِعْصَارٌ فِيْهِ نارٌ فاحْتَرَقَتْ ﴾(٢٣) .

ومن هذا النَّوع قولُ أبي بكر رضِيَ الله عنه : « طُوبى لِمَنْ ماتَ في النَّأْنأَةِ »(٢٤) . فإنه يحتَملُ أن[3] يُريد أولَ الإسلامِ عند قُوَّةِ البَصائر [٤ ب] (☆ قبل وُقوعِ الخلاف ؛ ويحتملُ أنه يُريد به آخر الإسلامِ إذا ضَعُفَت البصائِر ☆)[4] ، وكَثُرت البِدَعُ والخِلاف .

---

1. في م ، ط : وهذا لا يحتج به .
2. كلمة (معنى) لم ترد في م ، ط . ـــ كلمة (صر) لم ترد في « ن » .
3. في م ، ط : أنه .
4. ما بين نجمتين سقط من « ن » .

= جيعاً : (حتى غدا مثل نصل السيف منصلتاً) . وفي ابن السكيت : نَيَّان في موضع لبنان . قال أبو بكر البطليوسي في الشطر الأول : ويروى : (ثم اغتدى ينفض الأعطاف) . والأمعز والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة ، ج الأماعز والمعز . ويقرو : يتبع . (ومثل نصل السيف) : أي يبرق كما يبرق السَّيف . والمُنصلت : الحاد الماضي .

(٢٣) البقرة ٢ : ٢٦٦ وتمام الآية : ﴿ أيودُّ أحدُكم أنْ تكونَ لهُ جَنَّةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ لهُ فيها من كلِّ الثَّمراتِ وأصابَهُ الكِبَرُ وَلهُ ذرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فأصابَها إعصارٌ فيهِ نارٌ فاحترقَتْ كذلكَ يبيّنُ اللهُ لكمُ الآياتِ لعلَّكم تتفكرون ﴾ .

(٢٤) النَّأْنأة : العجز والضّعف ، وروى عكرمة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « طَوبى لمن مات في النأنأة » . يعني أوّل الإسلام قبل أن يقْوى ويكثر أهله وناصِرهُ والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .
النهاية في غريب الحديث ٥ : ٢ . و (اللسان : نأنأ ١ : ١٥٦) .

ويدلُّ على صحَّة المَعنيين جَميعاً قولُه ﷺ : « إنَّ الإسْلامَ بدأ غَريباً وسَيَعُود غَريباً كما بدأ[1] فَطُوبى للغُرباء »(٢٥) .

والنأناة عند العَرب الضَّعف ، لا يخصّ الصَّغر دون الكبر[2] .

قال امرؤ القيس(٢٦) في ذلك :

لَعمرُكَ ما سَعْدٌ بِخُلَّةِ آثمٍ ولا نَأنأٍ يومَ الحِفاظِ ولا حَصِرْ

وتأوّله أبو عُبيد على أنّه أراد بهِ أوّلَ الإسلام . ولَيْسَ في لفظِ الحديثِ ما يَقتضي ذلك . على أنَّ بعضَ الرُّواة قد رَوى : « في النأناة الأُولى » . فإن كانَ هذا محفوظاً فالقول ما قال أبو عبيد[3] .

ومن هذا النّوع قولُه ﷺ : « قُصّوا الشَّوارِبَ[4] وأَعفُوا اللِّحى »(٢٧)

---

1. في م ، ط : غريباً فطوبى .
2. في ط : الصغير دون الكبير .
3. في م ، ط : فإن صح هذا القول .
4. في ط : الشارب .

---

(٢٥) أخرجه مسلم والترمذي والدارمي وابن ماجه . وفي مسلم : غريباً كما بدأ . انظر : صحيح مسلم : ١٣٠ . ابن ماجه : ١٣٢٠ . الدارمي ٢ : ٣١٢ . وهو في المجازات النبوية (ط الزيني - مؤسسة الحلبي) : ٣٢ . وفي النهاية ٣ : ١٤٤ وفيه زيادة (كما بدأ) .

(٢٦) ديوان امرئ القيس : ١١٢ . والخلة : الصداقة والمودة ، والحفاظ : الغضب والأنفة عن الانهزام في الحرب ، والنأنأ : الضعيف ، والحصِر : الضيق الصدر عند تجشم شدائد الأمور .

(٢٧) ورد الحديث في الصّحاح من طرق عدة ، وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب » ، وفي بعض الروايات : « أنهكوا الشوارب » ، و : « جزوا .. » . البخاري ٧ : ٥٦ ، مسلم : ٢٢٢ ، النسائي ١ : ١٦ ، وانظر فيه أقوال العلماء في هذه المسألة وما ذكره السيوطي ؛ =

قال قوم معناه : وَفِّروا وكَثِّروا . وقال آخَرون : قَصِّروا وأَنقِصُوا . وكلا القَولين لهُ شاهدٌ من اللُّغة .

أمّا مَنْ ذهب إلى التَّكثير فحُجَّتُه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾[٢٨] وقول جرير[٢٩] :

ولكِنّــا نَعِضُّ السَّيفَ منهــا   بـأَسْوُق عــافيـاتِ اللحمِ كُــوْمِ

وأمّا مَنْ ذهَب إلى الحَذْفِ والتَّقصير فَحُجَّتُه قَوْلُ زُهير[٣٠] :

تَحمَّــل أهلُهــا منهــا فبــانُــوا   على آثــارِ مَنْ ذَهَبَ العفــاءُ !

فهذه جُملةٌ من اللّفظ المشتركِ الواقعِ على مَعانٍ مختلفة متضادّة .

= وهو في مختصر صحيح مسلم ١ : ٥٧ ورواه عن ابن عمر رضي الله عنه أيضاً بنص : « خالِفُوا المُشركين : أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » .

(٢٨) من الآية الكريمة (٩٤) سورة الأعراف ٧ . والآيتان ٩٣ ، ٩٤ : ﴿ وما أرسلنا في قريةٍ مِنْ نبيٍّ إلاّ أخذنا أهلَها بالبَأساء والضَّرّاء لعلهم يَضَّرَّعون . ثمَّ بدّلنا مكانَ السَّيِّئَةِ الحسنةَ حتّى عَفَوْا وقالوا قَدْ مَس آباءَنا الضَّرَّاءُ والسَّراءُ فأخذناهم بغتَةً وهُمْ لا يشعرون ﴾ .

قال القرطبي : (حتى عَفَوا) أي كثروا ؛ عن ابن عباس . وقال ابن زيد : كثرت أموالهم وأولادهم . و (عفا) من الأضداد . عفا : كثر ، وعفا : درس . أعلم اللهُ تعالى أنه أخذهم بالشدة والرخاء فلم يزدجروا ولم يشكروا . (تفسير القرطبي ٧ : ٢٥٢) .

(٢٩) كذا في الأصول ، وكرر نسبته إلى جرير في الورقة (٢٤ أ) . والبيت للشاعر لبيد من قصيدة مطلعها :

رأتني قــد شحبتُ وسَــلَّ جِسمي   طِــلابُ النَّــازحــاتِ من الهمــومِ

(الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، طبعة الكويت : ١٠٤) .

وأعضّ السيف : ضربَهُ به ، وأسوق : جمع ساق ، وعفا لحمه : كثر ، وكوم : عظام الأسنمة ، البعير : أكوم ، والناقة : كوماء . يقول : إنهم يعرقبون النوق للضيوف .

(٣٠) ديوان زهير : ٥٨ . يريد : على آثار مَنْ ذهب الدرس ، أي من ذهب لم آسَ عليه !

وأما اللفظ المشترك[1] الواقع على معانٍ مختلفة غير متضادّة فنحو قوله تعالى : ﴿ إنَّما جَزَاءُ الّذينَ يُحاربونَ اللهَ ورَسولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أنْ يُقَتَّلوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾(٣١) إلى آخر الآيـة . ذَهب قومٌ إلى أنّ (أو)[2] ههنا للتَّخيير كالَّتي مِنْ[2] قولك : جالسْ زيداً أو عَمْراً . فقالوا : السُّلطانُ مُخَيَّرٌ في هذه العُقوباتِ ؛ يفعلُ بقاطعِ السَّبيل أيَّها شاء . وهو قولُ الحَسن البَصري ، وعطاء . وبه قال مالكٌ رحمه الله .

وذَهب آخرون إلى أنَّ (أو)[3] ههُنا للتَّفصيلِ والتَّبعيض[3] ؛ فَمَنْ حارَب وقَتَل وأَخذَ المال صُلِب ؛ ومَنْ قتلَ ولم يأخُذ المالَ قُتِل ؛ ومَنْ أخذ المالَ ولم يَقْتُل قُطعت يَدُه ورجله من خلاف[4] . وهو قولُ أبي مِجْلَز وحَجَّاج بن أرطاة عن ابنِ عبّاس . وبه قال الشّافعي وأَبو حَنيفة[5] ، رحمهما الله تعالى . واحتجُّوا بحديثٍ رواه عُثمان ، وعائشة عن النَّبي ﷺ أنه قال[6] : « لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مُسْلمٍ إلا بإحدى ثَلاث : زِنا بعد إِحصان ،

1. (اللفظ المشترك) لم ترد في « ن » .
2. في ط : إلى أن كلمة أو . ـــ في م ، ط : كالتي في قولك .
3. في ط : كلمة أو . ـــ في ط : والتّعيين .
4. (ورجله من خلاف) لم ترد في م ، ط . وانظر في تفصيل هذه الآراء : تفسير القرطبي ٦ : ١٥٢ .
5. في ط : أبو حنيفة والشافعي .
6. (أنه قال) لم ترد في « ن » .

(٣١) سورة المائدة ٥ : ٣٣ والآية : ﴿ إنما جزاءُ الذين يحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقطَّعَ أيْديهِمْ وأَرْجُلُهُمْ من خِلافٍ ، أو يُنْفَوْا مِنَ الأرض ذلك لهم خزيٌ في الحياةِ الدنيا ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيم ﴾ .
وانظر ما نقله القرطبي من أقوال في تفسيره : الجامع لأحكام القرآن ٦ : ١٤٧ ـ ١٥٨ ، والزمخشري في الكشاف ١ : ٦٢٧ ـ ٦٢٨ .

أو كُفرٍ بعدَ إيمان ، أو قَتْل نَفسٍ بِغَيرِ حق[1] »(٣٢) .

واحتَجُّوا من اللغـة بـأنَّ العَرَبَ تستعملُ (أو)[2] لـلإفراد والتَّفصيـل ؛ فَيقولون : اجتمع القومُ فَقالوا : حارِبُوا أو صالِحُوا ؛ أي قالَ بعضُهم كـذا ، وقالَ بعضُهم كذا[3] . ومنه قولـه تعـالى : ﴿ وَقَـالوا كونُوا هُوداً أَوْ نَصـارَى تَهْتَـدُوا ﴾(٣٣) [٥ أ] . وليس بيْنَ[4] الفِرَقِ فرقـةٌ تُخَيِّر بين اليهـوديـةِ والنَّصرانيّـة . وإنمـا المَعنى أن بعضَهُم ـ وَهُم اليهود ـ قـالوا : كونوا هـوداً ، وبَعْضهُم ـ وهم النصارى ـ قـالوا : كونوا نصـارى . فهـذا تَفصيلٌ لا شـكَّ فيه(٣٤) .

والعربُ تَلُفُّ الكـلامَيْنِ المُختلفينِ وتَرمي بِتَفْسيرِهمـا جُملةً(٣٥) ثِقةً بأنَّ السّامع يَرُدُّ إلى كلِّ مُخْبَرٍ عنهُ ما يليقُ بـه .

---

1. في م ، ط : بغير نفس .
2. في ط : كلمة أو .
3. لم ترد العبارة في ط .
4. في م ، ط : في الفرق .

---

(٣٢) أخرج الدارمي من حديث عثمان رضي الله عنه قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : بكفر بعد إيمان ، أو بزنا بعد إحصان : أو يَقتل نفساً بغير نفس فَيُقتل » . وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود : « لا يحـل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بـإحـدى ثلاث : الثَّيب الزاني ، والنفس بـالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » ؛ وأخرجـه الـدارمي كـذلـك من حـديث ابن مسعود بلفـظ مقارب (سنن الدارمي ٢ : ١٧١ ، صحيح مسلم : ٢ ـ ١٣) .

(٣٣) سورة البقرة ٢ : ١٣٥ . والآية : ﴿ وقالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارَى تَهْتَـدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّـةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كانَ من المشركين ﴾ . أي دعت كلُّ فرقةٍ إلى ما هي عليه .

(٣٤) أورد ابن هشـام الآيـة الكريمـة تحت عنـوان (التَّقسيم) ؛ وقـال : إن بعضهم عبّر عن ذلـك بالتفصيل (المغني ١ : ٦٨) .

(٣٥) قال شهاب الدين محمود الحلبي : اللفّ والنشر هو أن يذكر (المتكلم) شيئين فصاعداً ، ثم يـأتي =

قال اللهُ تعالى : ﴿ ومِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ والنَّهارَ لِتَسْكُنوا فِيهِ ولِتَبْتَغوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾(٣٦) .

ونحوه[1] قول امرئ القيس(٣٧) :

كأَنَّ قلوبَ الطّيرِ رَطْباً ويابساً لدى وَكرِها العُنّابُ والحشَفُ البالي

ولو جاء هذا الكلامُ مفصَّلاً لقال : كأَنَّ قُلوبَ الطَّيرِ رطباً : العنّاب ، ويابساً : الحَشَف البالي .

وكذلك الآيةُ لو جاءتْ مُفَصَّلةً لقال : جعلَ لكُم الليلَ لتَسْكُنوا فيهِ ، والنَّهارَ لتبتَغُوا من فَضْله .

واخْتَلفوا في النَّفي(٣٨) من الأرضِ ما هو ؛ فقال الحِجازيُّونَ : يُنفى من موضِعٍ إلى موضع . وقال العِراقيّون : يُسْجَن ويُحبس .

---

1. في « ن » : نحو .

= بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقة بأن السّامع يردُّ إلى كلٍّ واحدٍ منها ما له ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ .. ﴾ الآية . انظر حسن التوسُّل إلى صناعة الترسُّل : ٩٠ . وذكره ابن أبي الإصبع تحت باب (صحة المقابلات) . انظر : تحرير التحبير : ١٧٩ . والهوامش التي أحال المحقق عليها فيه .

(٣٦) سورة القصص ٢٨ : ٧٣ : ﴿ ومِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُم اللَّيلَ والنهارَ لِتَسْكُنوا فِيهِ ولِتَبْتَغوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشْكُرون ﴾ .

(٣٧) قال الأعلم الشنتمري في شرح الأشعار الستة ، عند هذا البيت : (كأنَّ الرطب من قلوب الطير وما جاءت به العُقابُ حديثاً العُنّاب ، وكأنَّ ما يبسَ منها وقدم الحشَف ، وهو البالي من التمر ورديئه . وتقدير البيت : كأن قلوبَ الطير رطبةً العنّابَ ، وكأنها يابسة الحشفُ البالي . وإنّما خصَّ قلوبَ الطير لأنّها أطيب لحوماً) . ديوان امرئ القيس بشرح الأعلم الشنتمري : ٣٨ .

والعناب : ثمر لشجر يعرف بالاسم نفسه ، وهو أحمر حلو لذيذ الطعم .

(٣٨) نقل القرطبي في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ وجُوهاً . قال السُّديّ : هو أن يُطلَب =

والعربُ تَستعمِلُ النَّفي بمعنى السِّجن .

قال بعضُ المسجونين (٣٩)

خَرجنا مِنَ الدُّنيا ونحنُ مِن اهْلِها ... فَلَسْنا من الأَمواتِ فيها ولاَ الأَحْيا
إذا جاءَنا السجَّانُ يَوْماً لحاجَةٍ ... عَجِبْنا وقُلنا جاءَ هذا مِنَ الدُّنيا !

ومن هذا النَّوع قولُه ﷺ : « أَسْرَعُكنّ لَحاقاً بي أَطْوَلُكُنَّ يداً »(٤٠) . قالَه لنسائِه ؛ فحَسِبْنَهُ من الطُّول الَّذي هو ضدّ القِصَر ؛ فَظنَّت (عائشة)[1] أَنها المُرادة . فلما ماتت (زَينبُ) قبلَها علمنَ حينئذٍ أنه إنّما

١. في ط : سودة .

= أبداً بالخيل والرَّجل حتى يؤخذ فيُقام عليهِ (حدُّ الله) أو يخرج من دار الإسلام هرباً ممّن يطلبه . وحكي عن الشّافعي أنَّهم يخرجون من بلدٍ إلى بلد ويطلبون لِتُقام عليهم الحدود . وقال مالك : يُنفى من البلد الذي أحدث فيه هذا إلى غيره ، ويُحبَس فيه كالزّاني . وقال مالكٌ أيضاً والكوفيّون : نَفيُهم سجنُهم ، فيُنفى من سَعةِ الدُّنيا إلى ضيقها ، فصار كأنّه إذا سُجن فقد نُفيَ من الأرض إلا من موضعِ استقراره . (الجامع لأحكام القرآن ٦ : ١٥٢ ـ ١٥٣) .

(٣٩) نقل القرطبي بعد الفقرة السابقة في الهامش ٣ صفحة ٣٧ ، وقال : إنهم احتجوا على أنّ من معاني النفي : (السجن) بقول بعض أهل السجون ، البيتين ...
والبيتان من مقطوعة وردت في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأدباء ٣ : ١٥٥ ، وأمالي المرتضى ١ : ١٤٥ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس . وفي المحاسن والأضداد : ٤٥ ـ ٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية . وفي عيون الأخبار ١ : ٨١ ـ ٨٢ من غير عزو .
وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة اللزوميات منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك بني العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعها :

إلى الله أشكو إنّه موضع الشكوى ... وفي يده كشف المضرّة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجان يوماً لحاجة ... عجبْنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(٤٠) أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، وفي بعض روايات البخاري ما يوهم =

أراد[1] الطُّولَ الَّذي هو الفضلُ والكَرم ؛ وكانَتْ (زينبُ) أكْثَرَهُنَّ صَدقة . والعَربُ تقولُ : فلانٌ أطولُ يَداً من فُلانٍ ؛ إذا كان أكرمَ منهُ وأكثر بَذْلاً[2] .

قال الشّاعر(٤١) :

ولَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتيانِ مالاً ولكنْ كانَ أطْوَلَهُم ذِراعا

ويُروى : أرحَبَهُم .

ومن هذا النَّوع قولُه[3] تعالى(٤٢) : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذلكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيْلَ ﴾ . قال قومٌ : معناه (مِن سببِ ذلك) كما يُقال : فعلتُ ذلكَ من أَجْلك .

---

1. في م ، ط : أنه من الطول .
2. لم ترد (وأكثر بذلاً) في « ن » .
3. في ط : تبارك وتعالى .

= أن أسرعهن لحاقاً هي سودة . وكذا وقع في سنن النسائي (بشرح السيوطي ط مصطفى محمد) .
صحيح البخاري ٢ : ١١٥ ، مسلم : ١٩٠٧ ، النسائي ٥ : ٦٧ ، وهو في مختصر صحيح مسلم ٢ : ٢٠٥ .
وفي أساس البلاغة (ومن المجاز قولهم : هو أطول يداً منه ، أي أسخى) .

(٤١) البيت لأبي زياد الأعرابي من شعراء الحماسة وقبله :
لــه نــارٌ تشبّ بكلّ وادٍ إذا النّيرانُ أُلبِسَتِ القناعا
الحماسة ٤ : ١٥٩٢ ، والحيوان ٥ : ١٣٥ ، ومعاهد التنصيص : ٦٠ ، وتحرير التحبير : ٥٣٠ ؛ وفيه (أرحبهم) بدلاً من (أطولهم) .
قال المرزوقي : (قوله تُشبُّ أي توقد ... والمعنى أن نار ضيافته تُوقد بكل وادٍ ينزل به ، إذا النّيران في الآفاق سُترت وحجبت عن الاستدلال بها مخافة طُروق الأضياف) . وفي شرح الشّاهد قال : (إن ما تحمّله وتكلّفه لم يك السّببُ فيه اليَسار ، وكثرة المال ، ولكن كرمه الفائض وعرقُه الزّاخر) .

(٤٢) المائدة ٥ : ٣٢ . وتمامُ الآية : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا على بَني إسرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَل نَفْساً بِغَيرِ =

وقال قومٌ : معناه (من جِنايـة ذلـكَ وجَريرتـه) . ويُقال : أَجَلَ عليهم شَرّاً يأْجِلُـهُ أَجْلاً إذا جَنـاه . واحتَجُّوا بقـولِ خَـوّات بن جُبير[1] الأنصاريّ(٤٣) :

وأَهْـلِ خِبـاءٍ صـالِحٍ ذات بَيْنِهم قـد احْتَرَبوا في عـاجِـلٍ أَنـا آجِلُـه

وهذا النَّوع كثيرٌ جداً .

وأمّـا الاشْتراكُ العـارضُ من قِبَـلِ اختـلافِ أَحـوالِ الكلمـةِ [٥ ب] **دون مَوضوع لفظها** فَمِثل قَوْلِه تَعالى : ﴿ وَلاَ يُضَـارَّ كاتِبٌ

٦. (الأنصاري) لم ترد في م ، ط .

= نَفْسٍ أو فَسادٍ في الأرضِ فكأنما قَتل النّاس جميعاً ومَنْ أحْياها فكأنما أحْيـا النّـاس جميعـاً ولقـد جاءَتْهُمْ رُسُلنا بالبَيّنات ثم إنّ كثيراً مِنْهُم بَعْد ذلِك في الأرْضِ لَمُسْرِفُون ﴾ .

(٤٣) البيت لخوّات بن جُبير الأنصاري ، وقد ورد مع بيت آخر في نهاية قصيدة زهير :

صحـا القلب عن سلمى وأقصر بـاطِلُـهْ وعُرّي أفراسُ الصِّبـا ورواحِلُـهْ

وثاني البيتين :

فـأقبَلْتُ في السّـاعين أسـألُ عَنْهُمُ سـؤالَـكَ بـالشَّيء الـذي أنتَ جـاهِلُـهْ

وقد أوردهـا الأعلم الشنتمري بعـد تمـام روايـة الأصمعي للقصيـدة وقـال : (إن هـذين البيتين يلحقان بالقصيدة ، وهما لخوات بن جبير الأنصـاري صـاحب ذات النِّحْيَين التيميـة ، وكان من فُساق العرب في الجاهلية ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه وشهد بدراً . ومعنى البيتين أنه وصف تأريشهُ بين قوم مُصطلحين وسعيه بالفساد حتى أوقعهم في حرب . وعـاجل شر أجلـه عليهم أي جنـاه وأحدثه ، ثم زعم أنه بعد ما كادهم وبعث الحرب بينهم جعل يسأل عن السّاعين بـالشر المُهيِّجينَ له بين القوم كما يسأل الإنسان عما جَهل !) .

انظر ديوان زهير بشرح الأعلم الشنتمري تحقيق محمد بدر الدين النعساني (ط المكتبة التجاريـة بمصر) : ٣٣ ، وشرح ديـوان زهير صنعـه ثعلب : ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ولسـان العرب (أجـل) . وتفسير القرطبي ٦ : ١٤٥ ، ونسبه للخنوت . وفيه :

(وأهل خباء صالحٍ كنت بينهم) .

وقال ابن فارس : وتكون (ذات) كناية عن الحال ، كقولـه : وأهل خبـاء ... البيت . انظر الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس : ١٢٤ .

وَلا شَهِيدٌ ﴾(٤٤) . قال قومٌ : مُضارةُ الكاتبِ أنْ يكْتُبَ مَا لم يُمْلَ عَليه ، ومُضارّةُ الشَّهيدِ أنْ يَشْهَد بخلافِ الشَّهادة . وقال آخَرون : مُضارَّتُهما أن يُمْنَعا من أشْغالِهما ويُكَلَّفا الكتابةَ والشَّهادة في وقتٍ يَشُقُّ ذلِك فيهِ عَلَيْهما .

وإنَّما أوجبَ هذا الخِلاف أنّ قوله : ﴿ ولا يُضَارَّ ﴾ يُحتمل أن يكونَ تقديرُه : ولا يُضَارَرْ بفَتْحِ الرَّاء ؛ فَيلزم على هذا أنْ يكونَ الكاتِبُ والشَّهيدُ مَفعولاً بهما لم يُسَمَّ فاعِلُهما . وهكذا كان يقرأ ابن مَسْعُود بإظهار التَّضعيفِ وفَتْحِ الرَّاء(٤٥) .

ويُحتمل أن يكون تقديرُه : ﴿ ولا يُضارِرْ ﴾ بكَسرِ الرّاء ، فيلزَمُ على هذا أن يكونَ الكاتبُ والشهيدُ[1] فاعِلَيْن . وهكذا كان يقرأ ابن عُمَر بإظهارِ التَّضعيفِ وكسر الرّاء .

---

١. في « ن » : والشاهد .

---

(٤٤) البقرة ٢ : ٢٨٢ انظر ما قيل في تفسير الآية (القرطبي ٣ : ٣٧٦ - ٤٠٦) .

(٤٥) القرطبي ٣ : ٤٠٦ (وكذا قرأ ابن مسعود : ﴿ يُضارَرْ ﴾ بفتح الراء الأولى ولفظ المضارّة إذ هو من اثنين يقتضي هذه المعاني) . قال الزمخشري في تفسير الآية الكريمة : ﴿ ولا يُضَارّ ﴾ يحتمل البناء للفاعل والمفعول . والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه : ﴿وَلا يُضارِرْ ﴾ بالإظهار والكسر . وقراءة ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ وَلا يُضارَر ﴾ بالإظْهارِ والفَتح . والمعنى نهيُ الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يُطلبُ منهما ، وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضّرر بها بأن يعجّلا عن مُهِم ، ويُلَزّا ، أو لا يُعطى الكاتب حقّهُ من الجُعل ، أو يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد بعيد) .

قال ابن جني معلقاً على القراءة في : ﴿ ولا يضار ﴾ : والإدغام لغة تميم والإظهار (فك الإدغام) لغة الحجازيين . (المحتسب ١ : ١٤٨) .

ومثل هـذا قولُـه تعـالى : ﴿ لا تُضَـارَّ والِـدَةٌ بِوَلَـدِهـا ولا مَوْلُـودٌ لَـهُ بِوَلَدِهِ ﴾[٤٦] .

وأمـا الاشتراكُ العـارضُ من قِبـلِ تركيبِ الكـلام ، وبنـاء بعض الألفـاظ على بعض فـإنَّ منـه مـا يـدلُّ على معـانٍ مختلفـةٍ متضادّة ، ومنه ما يدلُّ على مَعانٍ مختلفةٍ غيرِ متضادّة .

فمن النَّـوع الأوَّل قـولُـه تعـالى : ﴿ ومَـا يُتْلى عَلَيْكُم في الكِتَـاب في يَتَـامى النِّسَـــاء الـلاَّتي لا تُـؤْتُـونَهُنَّ مَــا كُتِبَ لَهُنَّ وتَرْغَبُـوْنَ أَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ ﴾[٤٧] . قـال قـوم : معنـاه (وترغبـون في نكاحهن لمـالِهن) . وقـال آخرون : إنمـا أراد (وترغبـون عن نكاحِهِنَّ لـدمـامتهن وقِلّـة مَالِهن)[٤٨] .

---

(٤٦) البقرة ٢ : ٢٣٣ . المعنى : (لا تـأبى الأم أن ترضعـه إضراراً بـأبيـه أو تطلبَ أكثرَ من أجرِ مثلها ، ولا يحلّ للأب أن يمنع الأمّ من ذلك مع رغبتها في الإرضاع . هذا قول جمهور المفسرين . وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي تضارّ بفتح الراء المشددة ، وموضعه جزمٌ على النهي ... أي لا يُنزع الولد منها إذا رضيت بالإرضاع ورضي الصبي ... وروى يونس عن الحسن قال : يقول : (لا تضارّ زوجها تقول : لا أرضِعُه ، ولا يضارّها فينزعه منها وهي تقولُ : أنا أرضِعهُ) . القرطبي ٣ : ١٦٧ ، وانظر ما نقله الزمخشري من أقوال : في الكشاف ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٤٧) النساء ٤ : ١٢٧ . الآية : ﴿ وَيَسْتَفتونَكَ في النِّسـاء قلِ اللهُ يُفتيكم فيهنَّ ومـا يُتلى عليكم في الكتابِ في يتامى النِّساء اللاَّتي لا تُؤْتَونهن ما كُتب لَهنّ وترغبونَ أن تنكحوهُنّ والمستضعفينَ من الولدان وأن تَقوموا لليتامى بالقِسط وما تَفعلوا من خَيرٍ فإنَّ اللهَ كان بهِ عليماً ﴾ .

(٤٨) رَغِبت في الشيء : إذا أردتَه ، ورَغِبتَ عن الشيء : إذا لم تردْه . وقد وَرَدَ الوجهانِ في تفسير الآية فقيل : ترغبون عَن أن تنكحوهن بحذف (عن) ، وقيل : ترغبون في أن تنكحوهن ثم حذفت (في) . انظر القرطبي ٥ : ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

وإنمــا أوجَب هــــذا الاختــلاف[1] أنَّ العربَ تقــول : (رغبتُ عن الشيء) : إذا زهدتَ فيـه ؛ و (رغبتُ في الشيء) : إذا حرصتَ عليـه . فلمــا رُكّبَ الكـلامُ تركيبــاً سَقَـطَ منــه حرفُ الجر احتَمـل التــأويلين المتضادّين ، فصار كقولِ القائل(٤٩) :

ويرغَبُ أنْ يبني المَعــاليَ خــالِـدٌ   ويَرْغَبُ[2] أنْ يَرْضَى صَنيــعَ الألائِمِ

فهـذا البيت يحتمل أن يكـون مـدحـاً وأن يكـون ذمـاً . فـإن جعلت الرغبة الأولى مقدّرةً بـ (في) والثانية مقدرةً بـ (عن) كان مدحاً . وإن جعلت الرغبة[3] الأولى مقدرة بعن والثانية مقدرةً بفي كان ذماً .

ومن هـذا النَّوع قولُ عليّ رضي الله عنـه : « أيُّهـا النـاسُ تزعمونَ أنّي قتلتُ عُثمانَ ؟ ألا وإنَّ اللّهَ قَتَلَه وأَنـا مَعَـهُ » . أرادَ عليٌّ ، رضي الله عنـه ، أنَّ اللّهَ قَتلـه ، وسَيَقتلني معـه . فَعطف (أنـا) على الهـاء من (قَتَلَـهُ) ؛ وجعلَ الهاء في (مَعه) عائدةً على عُثمان ، رضي الله عنه .

وتـأوّلتــه[4] الخـوارج على أنــه عطف (أنــا) على الضّمير الفــاعـل في (قتله) ! أو على موضع المنصوب بـإنَّ ، كما تقول [٦ أ] : إنّ زيـداً قـائمٌ

1. في ط : الخلاف .
2. في ن : فيرغب .
3. (الرغبة) لم ترد في م ، ط .
4. في ط : وتأوله .

(٤٩) قال في اللسان (لأم) : (وقد جـاء في الشعر لجمع لئيم ، ألائم على غير قيـاس) . وقـد أورده ابن هشام في المغني ٢ : ٥٨٠ نقلاً عن ابن السِّيد ؛ في البـاب الرابع من كتـابـه عن الأمور التي يتعدّى بهـا الفعل القـاصر وذكر منهـا : (إسقـاط الجـار) فقـال في موضع استشهـاده بـالآيـة الكريمـة : ﴿ وترغبـون أن تنكحـوهنّ ﴾ : (أي في أن ، أو عن ، على خـلاف في ذلـك بين المفسرين ومما يحتملها قوله : ويرغب ... البيت) .

وعمروٌ . فترفعُ (عَمراً) عَطفاً على موضعِ (زَيد) وما عمل فيه ؛ وجَعلوا الضَّميرَ في قوله (مَعه) عائداً على اللهِ تعالى . فأوْجبوا عَليه من هذا اللَّفظ أنَّهُ شارَكَ في قتلِ عُثمان رضي الله عنه ! ولذلك قال كعبُ بن جُعَيْل(٥٠) :

إذا سِيلَ عنهُ حَدا[1] شُبْهَةً | وعَمَّى الجوابَ عَلى السَّائلينا
فليسَ براضٍ ولا ساخِطٍ | ولا في النُّهاةِ ولا الآمِرينا
ولا هو سَاهُ ولا سَرَّهُ | ولا بُدَّ مِنْ بَعْضِ ذا أن يَكُونا

وإنما قال هذا لأن عليّاً ـ رضي الله عنه ـ كان يقولُ إذا ذُكر له قتلُ عُثمان رضي الله عنه : واللهِ ما أَمَرت ولا نَهيت ، ولا رَضيتُ ولا سَخطت ، ولا ساءَني ولا سَرَّني[2](٥١) .

ونظيرُ هذا الضَّمير في احتماله التّأويلين مَعاً[3] قول خالد بن عَبْدِ الله القَسْري(٥٢) على المِنبر : (إنَّ أميرَ المُؤمنينَ كتبَ إليَّ أن ألعن عَلياً ،

---

1. في ط : هذا .
2. لم ترد الفقرة في م .
3. في م : المتضادين ، وفي ط : المتضادين معاً .

---

(٥٠) كعب بن جعيل التغلبي ، مخضرم عرف في الجاهلية والإسلام . قال المرزباني : (وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام ، يمدحهم ويردّ عنهم) . والنص في كتاب (معركة صفين) لنصر بن مزاحم : ٥٦ ـ ٥٧ من قصيدة . وفي العقد لابن عبد ربّه ٤ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧ وفيه : (زوى وجهه) في البيت الأول : (ولا آمنٌ بعضَ ذا أن يكونا) مكان الشطر الثاني للبيت الثالث ، أما ثاني الأبيات فلا اختلاف فيه .

(٥١) انظر العقد ٤ : ٢٩٦ ، وكذلك مطلع صفحة : ٢٩٩ . وانظر شرح نهج البلاغة ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٢ .

(٥٢) خالد بن عبد الله القسري (٦٦ ـ ١٢٦) من ولاة بني أميّة المشهورين . ولاّه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ ، وولاّه هشام الكوفة والبصرة سنة ١٠٥ ، وبقي عليهما إلى ١٢٠ . وقد خلفه يوسف بن عمر الثقفي فحاسبه ، وسجنه بأمر هشام ، وقضى في سجنه .

فـالعَنُوه ، لعنَـةَ الله) . فـأوهَم أن الضميرَ راجعٌ إلى عليّ رضي الله عنـه[1] ، وإنَّما هو عائدٌ على الآمرِ لَهُ بلَعنته[1] ولذلك أُنكِرَ على خالدٍ ما جـاءَ بـه من اللّفظِ المُشْتَرك ، فكانَ بعد ذلكَ يُصَرّح بلعنهِ بألفاظٍ لا اشْتراكَ فيها .

وهذا النَّوعُ من الضَّمائر كثيرٌ في الكلام . فمنه قوله تعـالى(٥٣) : ﴿ إِلَيْـهِ يَصْعَـدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّـالِحُ يَرْفَعُـهُ ﴾ . يجوز أن يكـونَ الضّميرُ الفاعلُ الذي في (يَرْفَعُه) عائداً على (الكَلِم) والضَّميرُ المفعولُ عـائـداً على (العَمل) ؛ فيكونُ معناهُ أنّ الكَلِمَ الطّيبَ ، وهو التَّوحيدُ ، يرفع العملَ الصالحَ ، لأنه لا يَصحُّ عملٌ إلاّ مع إيمان . ويجوزُ أن يكونَ الضّميرُ الفاعلُ عائداً على (العمَل) والضّميرُ[2] المفعولُ عائداً على (الكَلِم) ؛ فيكون مَعناهُ أن العملَ الصالحَ هو الّذي يرفعُ الكَلِمَ الطّيب .

وكلاهمـا صحيحٌ لأنَّ الإيمـانَ قـولٌ وعَقْـدٌ وعَمَـل لا يصـحُّ بَعْضُهـا إلاّ ببعض . ولـو جعلت في هـذه الآيــة اسم الفــاعـل مكان الفعـل لاختلف اللفظان لأن اسم الفاعل يستتر فيه ضمير مـا هُوَ لـه ويظهر ضمير مـا لَيس له . فكان يلزمُ إذا جعلتَ الرّفع للكلمِ أن تقول : (والعملُ الصّالح رافِعُـه هـو) ، وإذا جَعلتَ الرّفـع للعَمـل قلتَ : (والعَمَـلُ الصّـالـحُ رافعـه) ، فيستترُ الضَّميرُ الفاعلُ ولا يَظْهر كما تقول : (هِندٌ زيـدٌ ضـارِبَتُـهُ هي) إذا

---

1. زاد في م (ولعن لاعنه) . ـــ في م ، ط : بلعنه .
2. كلمة (الضمير) لم ترد في « ن » .

---

(٥٣) سورة فاطر ٣٥ : ١٠ . وتمام الآية : ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ العزَّةَ فللهِ العِزَّةُ جميعاً إليه يَصْعَـدُ الكلِمُ الطيِّبُ والعَمَلُ الصالحُ يرْفَعُهُ والذينَ يَمكرون السيئـاتِ لهمْ عـذابٌ شـديـدٌ ومَكْرُ أولـئـكَ هو يَبُورُ ﴾ . أورد القرطبي الوجهين وغيرهما ١٤ : ٣٣٠ ، وانظر مقالة ابن عطيّة : ٣٣٠ من الجزء نفسه في مسألة قبول (الكلم الطيب) .

جعلتَ الضَّربَ لهندٍ ؛ لأنه جَرى خَبراً على غير مَنْ هو له ؛ فإذا جعلت الضَّرب لزيد قلت : (هندٌ زيدٌ ضاربُها) ولم يَحتج إلى إظهار الضَّمير لجَريانِه خبراً عَلى مَنْ هو لَه .

[٦ب] ومن هذا النوع من الضمائر قولُ زهير(٥٤) :

نَظرتُ إليــــهِ نظرةً فرأيتُـــــهُ على كُـلِّ حـالٍ مرة هـو حَـامِلُـه

يجوزُ أن يكون الحـاملُ هو الغلامَ ، والمحمولُ هو الفَرسَ ؛ ويَجوز أن يكونَ الأمرُ بعكس ذلك[1] .

ومن هذا النَّوعِ مِنَ الضمائر قولُه ﷺ : « إنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَ آدمَ على صُورتِه »(٥٥) . ذهبَ قوم إلى أنّ الهاءَ عـائـدةٌ على الله تعالى ، وذهب قوم إلى أنَّ الهاء عائدة على آدم[2] . وسنتكلم على هذا الجواب[3] في موضعه إن شاء الله تعالى .

---

1. في ط : بالعكس .
2. في العبارة تقديم وتأخير في ط .
3. في م ، ط : عن هذا الحديث .

---

(٥٤) ديوان زهير (صنعة ثعلب : ١٢٦) ، وفي شرح الأعلم الشنتمري (٢٩) : يقول : نظرت إلى الفرس فرأيته والغلام يحمله من السَّير على كل حال مما أحب أو كره . ويجوز أن يريد : نظرت إلى الغلام والفرس يحمله مرّة على الطمع ومرة على اليأس ومرّة على الهلاك لنشاطه وحدته .

والبيت من قصيدة في مدح حصن بن حذيفة .

(٥٥) الحديث متّفق عليه : البخاري ٧ : ١٣٥ ، مسلم : ٢١٨٣ ، مختصر صحيح مسلم ٢ : ٢٨٠ ، فتح الباري ١١ : ٢ ـ ٣ . ورووا : « أن النبي ﷺ مرّ برجل يلطم وجه عبده وهو يقول : قَبَّحَ اللهُ وجهك ووجْه من أشبهكَ . فقال النبي ﷺ : إذا ضَرَب أحدكم عبدَه فليتّق الوجه فإنّ الله خلق آدم على صورته » . وجاء في حديث آخر : « خُلِقَ آدم على صورةِ الرحمنِ » . وجاء قوله : « رَأيتُ ربي في أحسنِ صورة » .

ومن الضمائر المشتركة قول حسان[1] بن ثابت(٥٦) :

ظَنَنْتُمْ بأن يَخْفى الذي قَدْ صنَعْتُمُ   وفِينا نَبِيٌّ عنـدَهُ الوحيُ واضِعُـه !

ذهب سيبويـه(٥٧) إلى أن الهـاء من (واضِعُـه) ترجـع على[2] الـوحي ، وذهب غيره إلى أنها راجعـة إلى النبيّ[3] ﷺ . وكلا القولين صحيح المعنى . فيكون معنى وضع النبي ﷺ للوحي على قول سيبويه أنـه وضعـه للنـاس بـأمر الله تعـالى ، فسنّ السُّنن ، وفرض الفروض[4] ، ورتَّب الأشيـاء مراتِبَها .

ويكون معنـاه على قول غيره أن الوحيَ يضَع عنـده مـا تَصْنَعُـون أي يُبيّن لـه مـا تَرُومـونـه وتُـدَبّرونـه ، ويُظهر لـه مـا تُخْفُـونـه من مَكْرِكُم وكَيْدِكُم وتَزْيِّفونَـهُ ، فَتَقْـدِيرُ[5] الكلام ـ على هـذا ـ : وفينـا نبيٌّ : الوحيُ واضعُ ما صَنَعْتُم عِنده . وهذا القولُ عِندي أظهرُ من قول سيبويه .

---

1. في ط : حسان .
2. في م ، ط : ترجع إلى .
3. في « ن » : الذي .
4. في م ، ط : وفرض الفرائض .
5. في ط : فيكون تقدير .

---

(٥٦) ديوان حسّان : ٢٧١ . والبيت من جملة أبيات قالها حسان في أحد بني أبيرق يعيّره وكان قـد سرق (وقيل : سرق مع إخوة له وابن عم) .
وانظر الكشاف ١ : ٥٦١ ـ ٥٦٢ ، والقرطبي ٥ : ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

(٥٧) الكتـاب ١ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ . وقـال الأعلم الشنتمري في إيضـاح القضيـة : الشـاهـد فيـه جرى قولـه (واضعه) على النبي ﷺ ، مع إعادة الضمير على الوحي ، وهو لا يحتمل القلب كما تقدم في البـاب ـ يعني باب إجراء الصفة على الاسم فيه في بعض المواضع أحسن ـ من كتاب سيبويه . قال : وقد رُدّ عليه هذا التقدير ، وجُعل الضمير عائداً على (الذي قد صنعتم) على تقـدير : وفينـا نبيّ واضع ما قد صنعتم لا على الوحي كما قدّره . ورجح الأعلم تخريج سيبويه .

ويجوزُ أن يكونَ من الوَضْع الَّذي هو الإسقاطُ والاطّراح ، فيكون مَعْناه أن الوَحي يُسقِط الذي تَصْنَعُونه ويُبطله .

ومن هذا النوع المشترك التركيب قول الله تعالى[1] : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهاتُكُمْ(٥٨) ﴾ . فإنَّ هذه الآية في بعضها خِلاف وفي بعضها وفاق . فمن قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وأَخواتكم من الرَّضَاعَة ﴾ تحريم مُبْهَم متّفق عليه . وقوله تعالى : ﴿ ورَبائِبُكُمْ اللاَّتِيْ في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاّتي دخلتم بهنّ ﴾ تحريمٌ غير مبهم .

ووقَع قولُه تعالى : ﴿ وأُمَّهات نِسائكُم ﴾ مُتَوسّطاً بين التَّحريمين ، فجعلَ قومٌ (أُمَّهات النساء) من التَّحريم المبهم ، وجَعَلَهُ آخرون من التَّحريم غير المُبهم ، وقالوا : إذا تزوَّجَ المرأة ولم يَدخلْ بها لم تحرم عليه أُمُّها .

وإنَّما أَوجب هذا الخِلاف أنه تبارَك وتعالى أعادَ في هذه الآية ذِكر النِّساء مَرَّتين ، ثم قال على إثر ذلك : ﴿ اللاَّتِيْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ . فَمَنْ جَعل أُمَّهات النِّساء من التَّحريم المُبهم ذَهب إلى أنَّ (اللاتي) صفةٌ للنّساء المتّصلات بالرَّبائب خاصةً ، دونَ النِّساء المُتَّصلاتِ بالأُمَّهات . ومَنْ

---

١. في م ، ط : قوله تعالى .

---

(٥٨) سورة النساء ٤ : من الآية ٢٣ . وتمام الآية التي يدور عليها الحديث في هذه الفقرة : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم أمهاتُكم وبَناتُكم وأخَواتُكم وعَمَّاتُكم وخالاتُكم وَبَناتُ الأخِ وبناتُ الأُخْتِ وأمهاتُكُم اللاتي أرضَعْنَكم وأخَواتُكم من الرّضاعةِ وأمهاتُ نسائكم وربائبُكم اللاتي في حُجورِكم من نِسائِكُم اللاتي دخلتم بهنّ فإنْ لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جُنَاح عليكم وحلائل أبنائِكُم الذينَ من أصلابِكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سَلَف إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ .

وانظر في تفصيل الأحكام ، مثلاً ، ما نقله القرطبي مفصلاً في تفسيره ٥ : ١٠٥ ـ ١٢٠ .

جَعَلهنّ من التَّحريم غيرِ المُبْهم ذَهبَ إلى [٧أ] أنَّ : ﴿ اللاَّتي دَخلتُم بِهِنّ ﴾ صفةٌ للنِّساء المَذكوراتِ في المَوْضعَيْن معاً[1] . فصارَ خلافُ الفقهاء في هذه الآية مَبْنيّاً على خِلاف النَّحْويين في جَمع الصِّفةِ وتَفريق الموصوف ؛ وذلِكَ أنَّ هذا البابَ منهُ ما قد أجمع النحويّون على جَوازِه ، ومنهُ ما قَدْ أجمعوا على مَنْعِهِ ، ومنه ما اخْتَلَفُوا فيه .

فالَّذي اتَّفقوا على جوازِه : أن يتّفق المَوصوفَانِ في الإعرابِ والعاملِ معاً كقولك : (مررت بزيدٍ وأَخيك العاقِلَيْن) .

والَّذي اتّفقُوا على منعِه : أن يختلفَ الإعرابان والعاملان مَعاً كقولك : (مررتُ بزيدٍ وهذا أبوكَ) لا يُجيزون أن يُقال[2] : (العاقِلان) ، ولا (العاقِلَيْنِ) على الصِّفة ؛ لكن على القَطْع ، والنَّصب بإضمارِ (أعني) ، أو الرّفع بإضمار مبتدأ كأنه قال : هُما العاقلان .

والّذي اختلَفُوا في جوازِه : أن يَتَّفِق الإعرابان ويختلفَ العامِلان ، كقولك : (مررتُ بغلامِ زَيدٍ ، ونزلتُ على عمروٍ العاقِلَيْن) ، فقومٌ يُجيزون أن يَجعلوا العاقِلَيْن صفةً لزيد وعمرو ، وقومٌ يَمنعون من ذلك .

ومذهبُ مَنْ منعَ مِنْ ذلك أقيس ؛ لأن (زيداً) انجرَّ[3] بإضافة الغلامِ إليه ؛ و (عمرو) انجرَّ بـ (على)[4] . فإذا جعلتَ (العاقِلَيْنِ) صفةً لهما أَعملت عاملينِ مختلفينِ في اسمٍ واحِد ، وذلكَ لا يَجُوز . وهو جائزٌ على

---

1. في ط : في الموضعين .
2. (أن يقال) لم ترد في (ن) .
3. في ط : جر .
4. في ط : جَرّ .

قياس قول أبي الحسن الأخفش ، لأن العامل في المَوْصُوف لا يَعمل عنده في الصّفة[1] ، وإنّما تَنْخفِضُ الصّفة عنده أو تنتصبُ أو ترتفعُ للإتباع[2] .

فلما كانت (النّساء) الأوَّلُ من قوله : ﴿ وأُمَّهَات نِسَائِكُمْ ﴾ العامل فيهن الإضافة و (النّساء) الأُخر العامل فيهنّ : من ، اختلَفَ العاملان فيه[3] ، فوجب ألاّ يكونَ : ﴿ اللاَّتي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ صفةً لهما معاً على ما قُلناه . ولكنّ مَنْ أجازه من الفُقهاء يُمكنه أنْ يَحتجّ بشيئين :

أحدهما : أن يكونَ على مذهب مَنْ أجازَ ذلك من النّحويين .

والآخر : أنّ قَوله تعالى : ﴿ اللاَّتي ﴾ اسمٌ مبنيٌّ لا يَظهرُ فيه إعراب فَيُمكن أن يكونَ منصوباً بإضمار (أعني) ، أو مَرْفُوعاً بإضمارِ مُبتدأ ، ولو ظهر الإعرابُ فيه أيضاً لم يمتنعْ من[4] أنْ يُحملَ على الإضمارِ لا عَلى الصّفة ؛ فيكون كنحو[5] ما أنشده سِيبَويه من قول الشاعر(٥٩) :

1. في م ، ط : صفته .
2. في م ، ط : بالإتباع .
3. لم ترد كلمة (فيه) في م ، ط .
4. لم ترد في (ن) .
5. لم ترد في (ن) .

(٥٩) الكتاب ١ : ٢٨٨ . والبيتان في المقتضب للمبرد ٤ : ٣١٥ .
قال الأعلم الشنتمري في شرح شواهد الكتاب بعد البيتين : « الشاهد في نصب (أميري عداء) على الشّتم ، ولا يجوز نصبه على الحال ولا جرّه على البدل من الاسمين لاختلاف العامل فيهما ، لأن (الجرّاف) مخفوضٌ بالإضافة و (راساً) مجرور بالباء وهو في صلة أعتبتمونا . فقد اختلف معناهما فقطعت الصفة فيهما ونصبت على الذم » .
والجرّاف وراسم عاملان ذكر جورهما واعتداءهما فيما يأخذان من صدقات أموالهم . ومعنى أعتبتمونا : أرضيتمونا ، والعداء : الظلم ، وأراد ببهائم المال : الإبل . أي إن حبسنا عليهما الإبل ليحصلاها ويأخذا صدقاتها ، جارا ، قد ذهبا بها . ويُقال : (أودى بكذا إذا ذهب به) .

أمِنْ عَمَـل الجرّاف أمس وظُلمِـه   وعُـدوانِـه أعْتَبْتُمُـونـا بِرَاسِم
أمِيرَيْ عِـداءٍ إن حَبَسْنـا عَلَيهِما   بَهـائمَ مـالٍ أوْدَيـا بـالبَهـائم

[٧ ب] ألا ترى إلى قولِـهِ : (أميرَيْ عِـداء) لا يجوزُ أن يكـونَ بـدلاً من (الجرّاف وراسم) لاختلاف العاملين ، ولكنّه على إضمار (أعني) ونحوه .

وكذلك قول الرّاجز(٦٠) :

إنَّ بِهـا أكْتَـل أوْ رِزامـا   خُـوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفـانِ الهَـامـا

فـ (خُوَيربين) لا يجوزُ أن يكونَ مَرْدُوداً على (أَكْتَل ورزام) لأنّـه إنّما أوجَب أحدَهما لدخول (أو) التي للشـكّ بينهما . ألا تَرى أنـه لا يجوزُ (رأيت زيداً أو عمراً مُنطلقَيْن) .

---

(٦٠) الكتاب ١ : ٢٨٧ . واللسان ١ : ٣٣٧ (خرب) أكتل ورزام خاربان : أي لصان . ويخصص الخارب بسارق الإبل .
والكامل للمبرد ٢ : ٤٣ وتتمة الرَّجز فيه :
إيتِ الطريـقَ واجْتَنِب أرْمَـامـا   إنّ بهـا أكْتَـلَ أو رِزَامـا
خُـوَيرِبَين يَنْقُفـان الهـامـا   لم يَترُكا لِمُسْلِمٍ طَعَـامـا
والمغني ١ : ٦٥ ـ ٦٦ وتحـدث فيـه عن قولـه خُويربين فقـال : ... لم يقل خويرباً كما تقول : زيـدٌ أو عمرو لصٌ ، ولا تقول لصـان . وأجـاب الخليل عن هـذا بـأن خـويربين بتقـدير أشتم لا نعت تابع . ١ : ٦٦ .
وفي الكامل (أرماما) . وقال في معجم مـا استعجم ١ : ١٤١ إرمـام : موضع في ديـار طيء أو ما يليها . وقـال الأعلم الشنتمري في شرح البيت : الشـاهـد في نصب (خُويربين) عن الـذم ، ولا يجوز أن يكـون من أكتـل ، ورزام ، لأن الخبر عن أحـدهمـا لاعتراض (أو) بينهما . ولـو كان حـالاً لأفْرده كما تقول : (إن في الـدار زيـداً أو عمراً جـالسـاً) . لأنـك تـوجب الجلـوسَ لأحدهما . فلما لم تمكن فيه الحال لما بَيَّنا نصب على الذمّ .
والخارب : اللص . ويقال : هو سارق الإبل خاصّة . والصحيح أنّ كل لصٍ خاربٌ لقوله بعـد هذا : لم يتركا لمسلمٍ طعاماً ... ومعنى ينقفان الهـام : يستخرجـان دمـاغهـا . هـذا مثل ضربـه لعملها بالسرق واستخراجها لأخفى الأشياء وأبعدها مراماً .

فهذا ونحوُه من التّركيبِ المُشتركِ الذي يحتملُ المعنى وضدَّه . ونظيرُه من الشعر قولُه(٦١) :

قُبَيِّلَــةٌ لا يَغْــدِرُونَ بــذمَّـــة ولا يَظلمونَ الناسَ حَبةَ خرْدل !(٦٢)

ألا تَراهُ قد أخرجَ هذا¹ الكلامَ مخرج الهَجْو ؟! ولولا أنَّ في غَيرِ هذا البيتِ دَليلاً على ذلكَ لكانَ من الثّناء والمدح !

وكذلك قولُ الآخر(٦٣) :

يَجزُون من ظُلم أهلِ الظُّلمِ مَغفرةً ومن إساءَةِ أهلِ السُّوء إحسانا !

---

١. في ط : أخرج الكلام .

---

(٦١) أورد ابن هشام هذا الشاهد في : (أو : التي للجمع المطلق كالواو) ، كما أفرد معنى خاصاً آخر (الشك) ومثاله : ﴿ قالوا لَبِثنا يوماً أو بَعْضَ يوْم ﴾ [المؤمنون ٢٣ : ١١٣] . المغني ١ : ٦٦ وتمامُ عبارة المبرد في الكامل تعليقاً على الشاهد : « نصب خويربين على (أعني) ؛ لا يكون غير ذلك لأنه إنما أثبت أحدهما بقوله (أو) » . الكامل ٣ : ٤٣ .

(٦٢) البيت للنجاشي الحارثي (شاعر مخضرم توفي نحو سنة ٤٠ هـ) من أبيات هجا بها تميم بن أبي بن مُقبل وقبيلته من بني العجلان . واستعدى تميم بسببها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على النجاشي فاقتص منه (فحبسه وضربه) . انظر الخبر في : مجالس ثعلب ٢ : ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ، والبيان والتبيين ٤ : ٣٧ ، العمدة ١ : ٢٧ ـ ٢٨ ، زهر الآداب ١ : ١٩ ـ ٢٠ ، الشعر والشعراء في ترجمة النجاشي ١ : ٣٢٠ ـ ٣٣١ ، الخزانة (ط ٣) ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ونقلها في مقدمة ديوان تميم : ص ٩ ـ ١١ .

(٦٣) البيت من حماسيّةٍ لبعضِ شُعراء بَلعنبر مطلعها :
لو كُنْتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي .
ليستحث (قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه) . قال المرزوقي : (ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم هم بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم وإذا كان كذلك فمدح هذا الشاعر لهم يجري مجرى الافتخار بهم ، وفي بني مازن عصبية شديدة عرفوا بها ..) . وذهب إلى : (بطلان قول من يذهب إلى أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن) . انظر الحماسة ١ : ٢٢ ـ ٣١ .
=

وأمّا التركيبُ الدالُّ على مَعانٍ مُختلفة غَير مُتضادّة فكقوله تَعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾(٦٤) فإنَّ قوماً يرونَ الضَّمير من (قَتَلُوه) عائداً على[1] المَسيح ﷺ ، وقَوْماً يَرَوْنَهُ عائداً إلى العِلْمِ المذكورِ في قوله : ﴿ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتّباعَ الظَنِّ ﴾ فيجعلونَهُ من قول العَرب : (قَتَلْتُ الشَّيء علماً)(٦٥) .

ومن هذا النَّوع قولُه تَعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عليكُمُ الصِّيامُ كما كُتِبَ عَلَى الَّذيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾(٦٦) . فإنَّ النّاس اختلفوا في هذا التَّشبيه من أين وَقع . فذهبَ قومٌ إلى أنَّ التشبيه إنَّما وقع في عَددِ الأيّام ، واحتَجُّوا بحديثٍ رَووه : أَنَّ النّصارى كانَ فُرِضَ عليهم في الإنجيلِ صَوْمُ ثلاثينَ يوماً كالّتي فُرِضت عَلينا وأنَّ ملوكَهُم زادُوا فيها تَطوُّعاً حتّى صيَّروها خمسين ، وذهَب قومٌ[2] آخَرُون إلى أنَّ التَّشبيه إنَّما وقَع في الفَرض لا في عَددِ الأيّام . وهذا هو القولُ[3] الصَّحيح ؛ وإن كان

1. في م ، ط : إلى .
2. في م ، ط : وذهب آخرون .
3. في م ، ط : وهذا القول هو .

= وأراد ابن السِّيد أن البيت داخلٌ في (التركيب المشترك) لأنه يمكنك أن توجهه إلى المدح وإلى الذم ، ومما يؤكد هذا قوله : يجزون من ظلم أهل الظلم .. البيت . لأنه لا يقال لمن يمسك عجزاً عن الانتصار إنه غفر ، ولا لمن لا يقدر على جزاء الإساءة إنه اختار الإحسان .

(٦٤) النساء ٤ : ١٥٧ . وتمام الآية : ﴿ وَقَولِهِمْ إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسى ابنَ مَرْيَمَ رسولَ اللهِ وَمَا قَتَلوهُ وما صَلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لهم وإنَّ الذينَ اختلَفوا فيهِ لفي شَكٍّ منهُ ما لَهمْ بهِ مِنْ علمٍ إلاّ اتّباعَ الظَّنّ وما قتلوهُ يَقيناً ﴾ ، وبعدها الآية : ﴿ بَل رَفَعَهُ اللهُ إليْه وكانَ الله عَزيزاً حكيماً ﴾ .

(٦٥) في أساس البلاغة : من مَجاز مادة قتل : قَتله عِلماً وخُبراً . ومعنى قتله علماً : تَعَمّق في بحثه فعلمه علماً تامّاً .

(٦٦) البقرة ٢ : ١٨٣ . انظر الزمخشري في الكشاف ١ : ٢٢٥ ، والقرطبي ٢ : ٢٧٤ .

القَوْلان جائِزَين في كلامِ العَرب ؛ ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : أعطيتُ زَيـداً كما أعطيتُ عَمراً ، احتملَ أنْ تريـدَ تسـاويَ العَطيَّتين ؛ واحتـملَ أن تُريـد تساويَ الإعطاءَين وإن كنتَ أعطيتَ أحدَهما خلافَ ما أُعطيتَ الآخر .

وهذا يكثُر إن تَتَبَّعناه ، وقد أورَدْنا منه جملةً تُنبِّهُ على الغَرض الـذي قَصدناه [٨أ] ، وبالله التوفيق[1] .

☆ ☆ ☆

١. (وبالله التوفيق) من م ، ط .

الباب الثاني

في الخلاف العارض من جهَة الحقيقة والمجاز

قد ذهب قوم إلى إبطال المَجاز(١) ، وذهب آخَرون[1] إلى إثباتـه ، **وإنّما كلامُنا فيه على مَذهب مَنْ أثبته** لأنه الصَّحيح الذي لا يجوزُ غيرُه ، لقولـه تعـالى : ﴿ وَمَـا أَرْسَلْنـا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسـانِ قَوْمـه ﴾(٢) ، وقولـه تَعالى : ﴿ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبين ﴾(٣) .

ولا وَجْهَ لإطـالـة القَوْل في الردّ على مَنْ أَنْكَرَهُ لأنـا لم نقصـد ذلـك في كتابنا هذا ، ولا مناقضة[2] أحدٍ من أهلِ المَقالات ، وإنما قَصدنـا الكلامَ في أُصولِ الخِلاف ؛ فأقولُ واللهُ الموفّق[3] :

إن المجازَ ثلاثةُ أنواع :

نوعٌ يعرِضُ في مـوضـوعِ اللّفظـة المفردة ، ونـوعٌ يعرضُ في أحـوالهـا المختلفـة عليهـا من إعرابٍ وغيره ، ونـوعٌ يعرضُ في التّركيبِ وبناءِ بعضِ الألفاظ على بعض .

---

1. في م ، ط : وذهب قوم .
2. في م ، ط : لأنا لم نقصد في كتابنا هذا مناقضة أحد .
3. في ط : وبالله التوفيق .

---

(١) انظر (مثلاً) كليات أبي البقاء ٤ : ١٨٥ .

(٢) إبراهيم ١٤ : ٤ . والآية : ﴿ ومَا أرْسَلْنـا من رَسُولٍ إلاّ بِلِسَـان قَوْمِـه لِيُبيِّن لَهُم فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ ويَهْدي من يشاءُ وهُوَ العَزيْزُ الحكيمُ ﴾ .

(٣) الشعراء ٢٦ : ١٩٥ . والآية في سياقها من النص الكريم : ﴿ وإنّه لَتنزيلُ ربّ العَـالَميْنَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمينُ . عَلَى قَلْبكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذرِيْنَ . بِلسَانٍ عربيٍّ مُبِيْن ﴾ .

فمثالُ النّوع الأول : المِيزان ، فإنه قد[1] يكونُ المقدارَ الّذي قد تعارَفَهُ النّاسُ في مُعاملاتهم ، ويكونُ العَدْل ؛ تقولُ العربُ : وازنتَ بين الشّيئين إذا عادلت[2] بينهما ، ورَجُلٌ(٤) وازِن ، إذا كانت له حصافة ومعرفة .

قال كُثيّر(٥) :

رأتْني بأشْلاء اللِّجامِ وبَعْلُها ... مِنَ القومِ أبْزى بادِنٌ مُتَباطِنُ

فإنْ أكُ مَعْروقَ العِظامِ فإنّني ... إذا ما وزنتِ القَوْمَ بالقَومِ وازِنُ

ويُقال للعروض مِيزانُ الشّعر ، وللنّحو مِيزان الكَلام .

ويُروى أنّ عبد الله بن عُمَر - رضِيَ الله عنهما - عُرِض عليه عُوْدُ غناءٍ وقيل له : ما هذا ؟ فقال : هذا هو المِيزان الرُّومي ! أراد أنّهُ ميزانُ الغِناء(٦) .

---

١. (فإنه قد) لم ترد في م .

2. في ط : عدلت .

---

(٤) انظر مادة (وزن) في القاموس المحيط (الميزان معروف ، ووازنه : عادله ، وأوزن القوم : أوجههم) .

(٥) شرح ديوان كثير عزة بتحقيق الدكتور إحسان عباس : ٣٨٠ . والبيتان في جملة أبيات نقلها عن المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٦٠ . أشلاء اللجام : سيوره أو هي التي تقادمت فدق حديدها (ويروى كأنضاء اللجام) . الأبزى : الذي به انحناء في الظهر عند العجز في أصل القطن . والبادن : الجسيم . ولم يرو هذا الحرف في ديوانه المطبوع . وروى : عاجز ، وعاجن . وروى أيضاً : متطامن أي منحني الظهر . وروي من الحيّ ومن الملء في موضع (من القوم) .

وشطر البيت الثاني في الديوان : ☆ إذا وزن الأقوام بالقوم وازن ☆

ومعنى معروق العظام : قد انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . و : وازن : راجح . وبين البيتين في الديوان بيت آخر .

(٦) انظر الخبر في العقد ٦ : ١٢ .

وقال بعض الشُّعراء يرثي عُمر بن عبد العزيز ، رحمه[1] الله(٧) :

قد غَيَّبَ الـدافنونَ اللحـدَ إذْ دفَنُوا بـدَيْرِ سمعـانَ قِسْطـاسَ الموازينِ(٨)

فشبّه عمر ، رحمه الله[2] ، لِعَدْلِه بالمِيزان .

ومن ذلك السِّلسلة ، فإنَّ العربَ تَستعملُها حقيقـةً وتستعملهـا[3] مجـازاً على ثلاثةِ أوجه :

الأوّل : أن تريد بها[4] الإجْبـارَ على الأَمر والإكراه عليـه . فمن ذلـك قولُه ﷺ : « عَجبت لقومٍ يُقادُون إلى الجنّة بالسَّلاسل »(٩) .

الثـاني : أن يُريـدوا بهـذا[5] المَنْـعَ من الشي والكف عنـه ، كقـول أبي خراش(١٠) :

---

1. (رحمه الله) لم ترد في ن .
2. في ط : رضي الله عنه .
3. في م : تستعملها مجازاً على .
4. في م : الأول : الإجبار على الأمر والإكراه .
5. في م ، ط : بها .

---

(٧) البيت هو أول ثلاثـة أبيـات في رثـاء عمر بن عبـد العزيز أوردهـا صـاحب العقـد ٣ : ٢٨٥ ، ويـاقوت في معجم البلـدان ٢ : ٥١٧ . وروايـة الشطر الأول عنـده : (قـد غيبـوا في ضريـح الترب منفرداً) ونقل ياقوت شيئاً من مراثي عدد من الشعراء في الخليفة الأموي رحمه الله .

(٨) دير سمعـان (بكسر السين وفتحهـا) بنـواحي دمشـق في موضـع نـزه وبسـاتين ، وعنـده قبر عمر بن عبد العزيز ، معجم البلدان ٢ : ٥١٧ .

(٩) أخرج البخاري في باب الأسارى في السلاسل : من حديث أبي هريرة رضي الله عنـه عن النبي ﷺ : « عجبت من قوم يدخلون الجنة في السلاسل » . وأخرجـه أبو داود بلفـظ : « يقـادون إلى الجنـة بـالسلاسـل » . ورواه الطبراني وأبو نعيم بلفـظ : « عجبت لأقوام يقـادون إلى الجنـة بالسلاسل وهم كارهون » . فتح الباري ٦ : ١٠٩ ، كشف الخفا ٢ : ٥٥ .

(١٠) البيت من قصيدة لأبي خراش الهذلي (ديوان الهـذليين ٢ : ١٠٥) . والأغـاني ٢١ : ٢٧٦ (طبعـة =

فلَيس كَعهدِ الدَّارِ يا أُمَّ مالكٍ ولكنْ أحاطَتْ بالرِّقابِ السلاسِلُ

يُريد بالسَّلاسل حدودَ الإسلام وموانِعه التي كفّتْ الأَيْدي الغاشمة عن غشمها ، ومنعتْ من سَفك الدِّماء إلا بحقِّها [٨ ب] .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إنَّا جَعَلْنا في أعْنَاقِهِم أغْلالاً فَهِيَ إلى الأذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُون ﴾(١١) .

والثالث : أن يريدوا بها ما تَتَابع بعضُه في إثر بَعضٍ واتَّصل ، كقولهم : تَسلسَل الحديثُ ، وتَسلسَل الماءُ . ويقال : ماءٌ سلسلٌ ، وسلاسل ، وسَلسال[1] .

قال أوس بن حجر(١٢) :

وأشْبَرنيـهِ الهالِكيُّ كأنَّـهُ غَديرٌ جَرَتْ في مَتْنِهِ الرِّيحُ سَلْسَلُ

وقالوا : سَلاسل البرق ، وسلاسل الرَّمل .

---

[1] في م ، ط : وماء سلسل وسلسال وسلاسل .

= دار الثقافة) . والقرطبي ١٥ : ٩ ونسبه سهواً لأبي ذؤيب . وفيه أن الشاعر (كان يهوى امرأة في الجاهلية فلما أسلم راودته فأبى وأنشأ يقول : فليس كعهد الدار ... البيت ، أراد : منعنا بوانع الإسلام عن تعاطي الزنى والفسق) .

(١١) سورة يس ٣٦ : ٨ . وفي القاموس : (أقمح الرجل : رفع رأسه وغض بصره . وأقمح الغلُّ الأسير : ترك رأسه مرفوعاً لضيقه) . وانظر الكشاف ٤ : ٥ . وقال القرطبي ١٥ : ٧ في تفسير الآية الكريمة : (التقدير : إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان ، فهي كناية عن الأيدي لا الأعناق . والعرب تحذف مثل هذا ..) .

(١٢) ديوان أوس بن حجر : ٩٦ . وأشبره : أعطاه إياه . الهالكي : الحداد أو الصيقل . وسلسل : صفة للغدير ، يريد إذا ضربته الريح صار كالسلسلة ، وقال الجرجاني في أسرار البلاغة : (ويشبهون الجواشن والدروع بالغدير يضرب الريح متنه فيتكسر ويقع فيه ذلك الشيءُ المعلوم) . واللسان ٦ : ٥٨ (شبر) . و ١٣ : ٣٦٦ (سلسل) .

قال ذو الرمّة :

لأُدمـانَـةٍ من وَحْشِ بَيْن سُـويقـةٍ وبين الجبالِ العُفْرِ ذاتِ السّلاسل(١٣)

ومن هـذا النوع قولهم : فلان على الجَبل ، وفـلان[1] على الـدّابـة ، أي فوق كل واحدٍ منهما ، فهذا حَقيقة .

ثم يقولون : عَلاهُ دَيْنٌ ، وفلانٌ أميرٌ على البَصرة ، يريدُ بـذلـك القَهْر والغَلبة . وكذلك قولهم : فلانٌ في الدار ، وفي البيت ، ثم يقولون : أنـا في حـاجتـك . وإنما يُريـدون أن قـد شَغَلْتني فلم تَـدَعْ فِيَّ فضـلاً لِغَيْرهـا ، فَشبَّهوا ذلكَ بالمكانِ الذي يُحيـطُ بـالمتمكّن من جِهـاتـه السِّتِّ ، فلا يَـدَعُ منها[2] فضلاً لغيره . .

وهـذا كثيرٌ جـداً في اللُّغـة يكثر إن تَتبعنـاه ، ومنـه[3] قـولـه تعـالى : ﴿ فَـأَتَى اللهُ بُنْيَـانَهُمْ مِنَ القَوَاعِـدِ ﴾(١٤) ذهبَ قوم إلى أنَّ البُنيـانَ هَهُنـا[4]

---

1. (فلان) من نسخة ن .
2. في م ، ط : منه .
3. في م ، ط : فمنه .
4. (ههنا) لم ترد في ن .

---

(١٣) الديوان : ٥٨٠ ، والبيت في سياقه :

أقـولُ بـذِيْ الأرطى عشيّـةَ أتلعتْ إلى الركب أعنـاقَ الظِّبـاء الخـوَاذِلِ
لأُدمـانـةٍ من وحش بينَ سُـويقـةٍ وبينَ الجبـالِ العُفْر ذاتِ السّـلاسِـلِ
أرى فيـكِ من خرقـاءَ يـا ظبيـةَ اللّوى مَشـابـةَ جُنِّبتِ اعتـلاقَ الحبـائـلِ

أتلعت : مدّت أعناقها مرعوبة . والخواذل : المتخلفات والتي أقامت على ولدها وخذلت صواحبها . أدمانة : ظبية . الجبال : يعني حبال الرمل . والعفر : الحمر . والسلاسل من الرمل : ما تعقد منه . وقوله : جنبت في ثالث الأبيات : دعا لها ألاّ تعلق في حبالة الصائد ، ا هـ . الديوان : ٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

(١٤) النحل ١٦ : ٢٦ . والآيـة : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهم من القَواعِدِ فخرَّ=

حقيقة ، وأنه أرادَ الصَّرحَ الذي بناهُ (هامانُ) لفرعون[1] ، وهو الذي ذكره الله تعالى في قولِه : ﴿ وقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِيْ صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴾(١٥) .

وذهب آخرون إلى أنه كلامٌ خرَج مخرجَ التَّمثيل والتَّشبيه . ومعناه أنّ ما بَنوْهُ من مَكرِهم وراموا إثباتَهُ وتأصيله أبطَله الله تعالى وَصرَفَهُ عليهم ، فكانوا بمنزلة مَنْ بَنى[2] بُنياناً يتحصَّن به من المهالكِ فسَقط عليه فقَتله ، وشَبَّهوه بقوله تعالى : ﴿ وَلا يَحِيْقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلا بأهْلِه ﴾(١٦) .

والقَولان جميعاً جائزان على مَذاهب[3] العرب . ألا تَراهُمْ يقولون : بَنَى فلانٌ شَرفاً ، وبَنى مجداً ؛ وليسَ هناك بنيانٌ في الحقيقة ؟!

---

1. (لفرعون) لم ترد في م ، ط .
2. في « ن » : يبني .
3. في ط : مذهب .

= عَلَيهم السَّقْفُ مِنْ فَوقِهم وأتاهُم الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعرونَ ﴾ . القرطبي ١٠ : ٩٧ (وانظر ٩ : ٣٨١) ذكر أن النمروذ بن كنعان بنى الصرح وحاول الصعود منه مع النسور ، فلما علم أنه لا سبيل له إلى السماء اتخذه حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه فأتى اللهُ على البنيان من القواعد .

وفي مجاز القرآن ١ : ٣٥٩ في تفسير الآية : (مجازه مجاز المثل والتشبيه والقواعد الأساس ، وإذا استأصلوا شيئاً قالوا هذا الكلام) وأورد القرطبي التفسيرين اللذين ذكرهما ابن السيد هنا فقال بعد عرض مفصل : قوله تعالى : ﴿ فأتى الله ﴾ تمثيل ، والمعنى أهلكتهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه ، ومثيل أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه . وقيل : المعنى أبطل مكرهم وتدبيرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه .

(١٥) سورة غافر ٤٠ : ٣٦ . (القرطبي ١٥ : ٣١٤) . وانظر القرطبي في تفسير سورة القصص (١٣ : ٢٨٨ - ٢٩١) لتفصيل التفسير .

(١٦) سورة فاطر ٣٥ : ٤٣ . (مجازه : لا ينزل ولا يجاوز ولا يحيط إلا بأهله) مجاز القرآن ٢ : ١٥٦ .

قال عَبَدَة بن الطّبيب(١٧) :

فَما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ   ولكنَّهُ بُنيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

ويُشبه هذا المعنى الّذي ذَهبوا إليه قول ابن أحمر(١٨) :

رَماني بأمرٍ كنتُ مِنْهُ ووالدي   بَريّاً ومن جالِ الطَّويِّ رَماني

ويُروى : (ومن جَوْلِ الطّوي رماني) . والجالُ والجُوْل : ناحية البئر من أسفلها [٩ أ] إلى أعلاها . يقول[1] : رماني بأمرٍ رجَع عليه مكروهُه ، فكأنّه رَماني من قعرِ البئر ، فرجعتْ رميتهُ عليه فأهلكَتْهُ !

هكذا رواه قومٌ وفسّروه ؛ والمعروف : ومن أُجلِ[2] الطَّويِّ وإنّما كان يُخاصمهُ في بئرٍ يَدّعيها كلٌّ واحدٍ منهما . فقال : رماني بأمر أنا ووالدي

---

1. في م ، ط : ومعناه .
2. في م : جول .

---

(١٧) عبدة بن الطبيب شاعر مخضرم : أدرك الإسلام فأسلم وشهد فتوح فارس . قال أبو عمرو بن العلاء : هذا البيت (وما كان قيس هلكه ...) أرثى بيت قيل . وقال ابن الأعرابي : (هو قائم بنفسه ماله نظير في الجاهلية ولا الإسلام) . وهو في هذا البيت (في مجموعة أبيات) يرثي قيس بن عاصم . انظر الأغاني (ط دار الثقافة) ٢١ : ٢٩ . والشعر والشعراء ٢ : ٢٨ . والبيت من شواهد الكتاب ١ : ٧٧ وروايته عند ابن قتيبة : (فلم يك قيس) ، وهو في (الحلل في شرح أبيات الجمل لابن السيد ص ٨١) (مخطوطة خاصة) .

(١٨) ورد البيت في شعر ابن أحمر (صفحة ١٨٧) الذي جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان بينما لم يرد البيت التالي . وينسب الأول أيضاً إلى الأزرق بن طرفة بن العمرّد الفراحي . وورد البيت أيضاً :

رماني بأمر كنت فيه ووالدي   بريئاً ومن جوف الطويّ رماني

وحام حول الشيء : دار ، والحائمة : الطير التي تحوم حول الماء أي تطوف فلا تجد ماء ترده ، الوحداني : المنفرد بنفسه ، وهو منسوب إلى الوحدة : الانفراد . زيادة الألف والنون للمبالغة .

بريئان منه ، من أجلِ ما بيني وبينـهُ من الخِصـام في الطّوِي . وعلى هـذا يدلُّ الشّعر ، لأنَّ قبله :

فلمّـا رأى سُفيـانُ أنْ قـد عـزلتُـهُ   عَنِ المـاء مَرْمى الحـائمِ الـوَحـداني[1]

ومن هـذا النوع قولُـه عزَّ وجـلَّ : ﴿ وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَـزُوْلَ مِنْـهُ الجِبال ﴾(١٩) .

قوم يرون أنَّ ﴿ الجبال ﴾ ههُنا حقيقة[2] ، وأنّه أرادَ بذلكَ ما كان من صُعود نمرود بن كَنعـان في التّـابـوت نحـو السّماء ، فلمـا كرَّ مُنحـدراً نحـو الأرض ظنّتهُ الجبالُ أمْراً من عند الله فكادَتْ تزولُ من مواضِعها .

وقومٌ آخرون يقولونَ : ﴿ الجبـال ﴾ ههنـا تمثيـلٌ لأمرِ النّبيّ ﷺ أي أنّهم مَكروا به لِيُزيلوا الغزّ[3] الذي قد رَسخ رسوخَ الجِبال التي لا يُستطـاعُ على إزالتها من مواضِعها .

والعربُ تُشبّهُ الشيْء الثابت بالجبلِ الشّـامخ ، والصّخرة الراسيـة ، ألا ترى إلى قول زهير(٢٠) :

☆ إلى باذخٍ يعلو على مَنْ يُطاوِلُه ☆

---

1. في ط : الوحدان .

2. في م ، ط : قوم يرون الجبال هنا حقيقة .

3. في م ، ط : ليزيلوا أمره الذي .

---

(١٩) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٦ . والآيـة : ﴿ وَقَـدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وعِنْـدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾ . انظر الكشاف ٢ : ٥٦٥ ـ ٥٦٦ . والقرطبي ٩ : ٣٧٩ .

(٢٠) وتمام البيت :

حـذيفـة ينميـه وبـدرٌ كـلاهمـا   إلى بـاذخ يعلـو على من يطـاولـه

وهو من قصيدته التي مطلعها : (صحا القلب عن سلمى وأقصر بـاطلـه) والبـاذخ : العـالي ،=

وقال[1] السموءلُ بنُ عادياء(٢١) :

لنـا جَبَـلٌ يحتلُّـهُ[2] مَنْ نُجيْرُهُ   مَنيـعٌ يردُّ الطَّرْفَ وهـو كَليـلُ
رَسـا أصلُـه تحت الثّرى وسَما بِـهِ   إلى النّجم فَرْعٌ لا يُنـالُ طـويـلُ

وقال الأعشى(٢٢) :

كنـاطـحٍ صَخرةً يَـوْمـاً لِيَفْلِقَهـا   فَلَمْ يَضِرْها وأوْهى قَرْنَـهُ الـوعِـلُ

فهذا كلام العرب .

---

1. في م ، ط : وقوله .
2. في م : يحتله .

= يعني أن شرفه لا يقاوم فمن أراد مطاولته علاه وظهر عليه . ومعنى ينميه : يرفعه ويعليه . وحذيفة : أبو الممدوح ، وبدر : جده . والممدوح : حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . من شرح الأعلم الشنتمري على ديوان زهير : ٣٢ . وانظر تفصيل المناسبة في شرح ديوان زهير لثعلب : ١٢٤ .

(٢١) البيتان من قصيدة صحيحة النسبة إلى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ؛ قال المرزوقي بصيغة التمريض : ويقال إنها للسموءل بن عاديا اليهودي . (شرح ديوان الحماسة ١ : ١١٠ ـ ١٢٤) ؛ وانظر : معاهد التنصيص ١ : ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، الأمالي ١ : ٢٦٩ . وللسموءل ترجمة في الأغاني (ط دار الثقافة) ٢٢ : ١٠٨ ، وطبقات فحول الشعراء : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ . وله ترجمة في معاهد التنصيص ١ : ٣٨٨ .
(أراد بذكر الجبل : العز والسمو . والطرف : النظر والعين . يقول : لنا جبل عز يدخله من ندخله في جوارنا ممتنع على طالبه يرُدّ لإشرافه وسموقه طرف الناظر إليه وهو حسير . ويقول : عزنا أصله تحت الأرض السابعة وفرعه عند النجم) . الحماسة ١ : ١١٣ ـ ١١٤ .

(٢٢) ديوان الأعشى : ٦١ وقبل هذا البيت :
لأعرفنّـك إن جـدّ النفير بنـا   وشبت الحربُ بالطـوّاف واحتملوا
يقول : (ما أنت حين ينفر الناس للقتال وتشب الحرب فينتشر المقاتلون كالطوفان يحملون السبايا والأسلاب إلا كوعل أحمق ينطح صخرة ليفلقها فلا يضيرها وإنما يوهي قرنه) . شرح الديوان للدكتور م . محمد حسين .

ومن هذا البابِ قولُه تعالى : ﴿ يا بَنِيْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لباساً يُواري سَوْءاتِكم وريشاً ولباس التّقوى ﴾(٢٣) . ومعلومٌ أنَّ الله تعالى لم يُنزل مِنَ السّماء ملابسَ تُلبس ، وإنما تأويلُه ـ والله أعْلَمُ ـ أنه أنزلَ المطرَ فنبتَ عنه النّباتُ ، ثم رعَتْهُ البَهائم ، فصار صُوفاً وشعراً ووَبراً على أبدانها ؛ ونبتَ عنهُ القُطن والكتّان ، فاتُّخِذَتْ من ذلك أصنافُ الملابِس ، فَسَمّى المطرَ لِباساً[1] إذْ كان سَبَباً لذلك[2] ، على مذهب العربِ في تَسمية الشّيء باسمِ الشّيء إذا كانَ منه بِسَبب . وهذا يُسمّيه أصحابُ المعاني : التّدْريج .

ونحوه قولُهمْ للمطر : سَماء ، لأنه ينزلُ من السَّماء . وللنبتِ ندىً ، لأنّه عن النَّدى يكون ، وللشّحم ندىً لأنهُ عنِ النَّبتِ يكون(٢٤) .

قال ابن أحمر(٢٥) [٩ ب] :

كَثَوْرِ العَدَابِ الفَرْدِ يضرِبُهُ النّدى تَعَلّى النّدى في مَتْنِهِ وتَحَدَّرا

١. في م : فتسمي المطر لباس .
٢. في م ، ط : سبب ذلك .

(٢٣) سورة الأعراف ٧ : ٢٦ . والآية : ﴿ يَا بَنِيْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيكُم لِبَاساً يُوارِي سَوْءاتِكم وريشاً وَلِبَاس التَّقوى ذَلِكَ خَيرٌ ذَلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ لَعَلَّهم يَذَّكَّرُوْنَ ﴾ . انظر القرطبي ٧ : ١٨٢ ـ ١٨٤ . (ونقل تأويل ابن السيد) .

(٢٤) وانظر لتفصيل القضية ، مثلاً ، أسرار البلاغة : ٣٤٤ فما بعدها .

(٢٥) البيت في مجموع شعره ٨٤ وقبله :

فَزِعتُ إلى القَصواء وهي مُعَدَّةٌ لأمثالِها عِندي إذا كُنتُ أوجَرا

القصواء : ناقته . والأوجر : الخائف المذعور . والعداب : المستدق من الرمل حيث يذهب معظمه ويبقى شيء من لينه قبل أن ينقطع . الفرد : المنفرد . الندى الأول : الغيث والمطر ، والندى الثاني : الشحم لأنه يكون من النبت وقوله : (تعلّى الندى في متنه =

فالنّدى الأول : المَطر ، والنَّدى الثاني : الشحم[1] .

وقال مُعاوية بن مالك ، مُعوّد الحكَماء[(٢٦)] :

إذا سَقَطَ السَّماءُ بأرضِ قَوْمٍ   رَعَيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضابا

ونحوه قولُ الرّاجز[(٢٧)] :

الحمدُ للهِ العَزيزِ المَنَّانْ   صارَ الثَّرِيْدُ في رُؤوسِ العِيدانْ

يريد السُّنبل .

ومن هذا الباب قولُه ﷺ : « يَنْزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سَماء الدُّنيا ثُلثَ

---

١. لم ترد العبارة في م ، ط .

= وتحدر) أي ملأ الشحم ظهره وانتشر على جانبيه . شبه ناقته بثور وحشي في نشاطها وقوتها وسرعتها . وقال ابن فارس في الصاحبي : وربما سموا الشحم ندى لأن الشحم من النبت والنبت من الندى وأورد بيت ابن أحمر ص ٦٣ .

(٢٦) البيت لمعاوية بن مالك ، من مفضلية له (المفضليات : ٣٥٩) . ورواية البيت فيه : إذا نزل السحاب ، وهو كرواية ابن السيد في المظان الأخرى : اللسان : سما ١٩ : ١٢٣ ، الأمالي ١ : ١٨١ ، سمط اللآلي ١ : ٤٤٨ ، الاقتضاب : ٣٢٠ ، وفي معاهد التنصيص : إذا نزل السماء ٢ : ٢٦٠ - ٢٦١ ، وفي الإيضاح : إذا نزل السماء . وسمي معوّد الحكماء لبيت قاله في القصيدة نفسها (المفضليات : ٣٥٨) .

(٢٧) الرجز لصعصعة بن بجير الهلالي . (كنايات الجرجاني : ١٣٥) وفيه : رؤوس القضبان ، قال ثعلب : أراد أن السنبل قد أفرك .

ونقل ابن نباتة في (مطلع الفوائد ومجمع الفرائد) الورقة ١٠١ في باب عقده للأوصاف : (أن أعرابياً وقف على حلقة ثعلب فسأله عن قول صعصعة الهلالي :

الحمدُ للهِ الحميدِ المَنَّان   صارَ الثريدُ في رؤوس العيدانْ

فالتفت ثعلب إلى الحاضرين فقال : فيكم من يعرف معنى هذا ؟ فقالوا : لا ، فقال الأعرابي : ولا أنت !؟ فقال : أراد أن السنبل قد أفرك ، فقال : صدقت . وهذه من ألطف الكنايات وأبدعها ؛ يَعْني أن القمح الذي يعمل منه الثريد قد صار في رؤوس قضبان زرعه . وأقام اسمه مقامه على عادتهم المعروفة في ذلك) .

اللَّيلِ الأخيرِ فيقولُ : هل من سَـائل فـأعطيَـه ؟ هـل مِن مُستغفرٍ فـأغفرَ له ؟ هَلْ مِن تائبٍ فأتوبَ عليه ؟ »(٢٨) .

جعَلته المُجَسِّمَةُ نزُولاً على الحقيقةِ ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الظالمون[1] علوّاً كبيراً .

وقد أجمع العارفونَ بـالله عزّ وجل[2] على أنَّـه لا ينتقلُ ، لأنَّ الانتقـالَ من صِفاتِ المُحْدَثات .

ولهذا الحديثِ تأويلانِ صحيحان لا يقتضيانِ شيئاً من التَّشبيه :

أحدُهما : أشارَ إليه مالكُ ، رحمه الله[3] ، وقـد سُئل عن هـذا الحـديثِ فقال : (ينزلُ أمرُه كلَّ[4] سَحَر ، فأما هو عزَّ وجلَّ فإنه دائمٌ لا يزول ، ولا ينتقل سبحانه لا إلَه إلا هو[5]) . وسُئل عنه الأوزاعيُّ فقال : (يفعلُ اللهُ ما يشاءُ) وهذا تَلويحٌ يحتاجُ إلى تَصريحٍ ، وخَفِيٌّ إشارةٍ يحتاجُ إلى تبيين[6] عبارةٍ .

وحقيقةُ الذي ذهَبَا إليه ، رحمهما الله ، أن العربَ تنسبُ الفعلَ إلى مَنْ أمر بـه كما تنسبُـه إلى مَنْ فعَلـهُ وبـاشَرَه بنفسـه ؛ فيقولـونَ : كتَبَ الأميرُ

1. في م ، ط : الجاهلون .
2. في م ، ط : تعالى .
3. في م ، ط : مالك بن أنس رضي الله عنه .
4. في م ، ط : في كل سحر .
5. لم ترد العبارة في م ، ط .
6. في م ، ط : بين عبارة .

(٢٨) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والدارمي وابن ماجه ومـالـك ، وألفـاظ الحـديث متقـاربـة . مسلم : ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ، ابن مـاجـه ١ : ٤٣٥ ، الموطـأ ١ : ٢١٤ ، سنن الـدارمي ١ : ٣٤٦ ، البخاري ٨ : ١٩٧ .

لِفلانٍ كتـاباً ، وقطـعَ الأميرُ يـدَ اللّصّ ، وضَربَ السلطـانُ فـلانـاً[1] ؛ ولم يباشِرْ شيئاً من ذلـك بنفسِـه ، إنمـا أمرَ بـذلـك . ولأجل هـذا احتيج إلى التأكيـدِ الموضوعِ في الكَلام ، فقيل : (جـاءَ زيـدٌ نفسُـه ، ورأيت زيـداً نفسَه) .

فمعناهُ ـ على هذا ـ أن الله تعالى يأمرُ ملكاً بـالنُّزولِ إلى السماء الـدُّنيـا فينادي بأمرهِ .

وقد تقول العرب : جاء فلانٌ ؛ إذا جاءَ كتابُهُ أو وصيَّتُـهُ[2] . ويقولون للرجلِ : أنتَ ضربتَ زيـداً ـ وهـو لم يضربْـهُ ـ إذا كانَ قـد رضيَ بـذلـك وشايَعَ عليهِ . قال الله تعـالى : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أنبيـاءَ اللهِ مِنْ قبلُ إنْ كُنتُم مُؤمِنين ﴾ (٢٩) والمخاطَبُون بهـا لم يَقتلُوا نبيـاً ، ولكنَّهُمْ لَمّـا رضوا بـذلـك ، وتولَّوْا قَتَلَةَ الأنْبياء ، وشـايَعُوْهُمْ على فعْلِهِم نُسِب الفعلُ إليهم ، وإن كانوا لم يبـاشِروهُ . وعلى هـذا يُتـأوَّل قـولُـه تعـالى : ﴿ فـأتى اللهُ بُنْيـانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ ﴾(٣٠) .

فهـذا تـأويـل ـ كما تراه ـ صَحيـحٌ جـارٍ على فصيـحِ كـلامِ العربِ في محاوراتها ، والمتعارفِ من أساليبهـا ومخـاطبـاتِهـا ، وهو شرحُ [١٠ أ] مـا أرادَه مـالـكٌ والأوزاعيُّ رحمَهما اللهُ . وممّـا يقـوّي هـذا التـأويـل ويشهـد

1. في م ، ط : فلاناً ألف سوط ، وهو لم يباشر . ــ في م ، ط : أمر به .
2. في م ، ط : أو وصيته .

(٢٩) سورة البقرة ٢ : ٩١ . والآية : ﴿ وَإذَا قِيلَ لَهمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزلَ عَلَينـا ويَكْفرونَ بِمَـا وَراءَه وَهُوَ الحقُّ مُصَـدِّقـاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلونَ أَنْبيـاءَ اللهِ مِنْ قَبـلُ إنْ كُنتمْ مُؤمنينَ ﴾ . وانظر ما أورده القرطبي ٢ : ٣٠ من تفسير في الآية .

(٣٠) سورة النحل ١٦ : ٢٦ .

بصحّتِـه أنَّ بعضَ أهـلِ الحـديثِ رَوَاهُ : « يُنزلُ » ـ بِضم اليـاء ـ وهـذا واضحٌ .

والتـأويلُ الثّاني : أن العَرَب تستعملُ النُّـزولَ على وجهينِ : أحـدُهُما حقيقة ، والآخرُ مجازٌ واستعارةٌ .

فـأمـا الحقيقـةُ فـانحـدارُ الشيء من عُلْـو إلى سُفْـل[1] كقـولِـه تعـالى : ﴿ ويُنَزِّل مِنَ السَّماء مِنْ جِبَالٍ فِيْها مِنْ بَرَدٍ ﴾(٣١) .

وكقولِ امرئِ القيسِ(٣٢) :

هـو المنزل الأُلّافُ من جـوِّ نـاعِـطٍ ... بني أسـدٍ حَـزْنـاً مِنَ الأرضِ أوْعرا

وأما **الاستعارةُ والمجازُ** فعلَى أربعةِ أوجهٍ :

أحدهـا : الإقبـالُ على الشيء بعـد الإعراض عنـه[2] ، والمقـاربـةُ بعـد المبـاعـدة ؛ يقـال : نزلَ البـائعُ في سلعتِـه ، إذا قـاربَ المُشتري فيهـا بعـد

1. في ط : أسفل .
2. (عنه) لم ترد في « ن » .

(٣١) سورة النور ٢٤ : ٤٣ . الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرجُ من خلاله ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماء مِنْ جِبَالٍ فِيْهـا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيْبُ بِـهِ مَنْ يَشَـاءُ ويَصْرِفُه عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ ﴾ . وانظر القرطبي ١٢ : ٢٨٧ .

(٣٢) ديـوان امرئ القيس بشرح الأعلم الشنتمري : ٦٥ . وفيـه : (يفخر امرؤ القيس على بني أسـد ويخوّفهم منـه ، ونـاعـط : حصن بـأرض همـدان . وجوّ : أرض بـاليمامـة . وقولـه : حزنـاً من الأرض ، أي عليكم يا بني أسد بالنزول بما غلظ من الأرض وخشن والتحصن بـالجبـال . وهـذا وعيد منه واستطالة) .

مباعدَته ، وأمكنَه منها بعـد منعـهِ ، ويُقـالُ : نزلَ فلانٌ عن أهلِـه ، أي[1] تركَها وأقبلَ على غيرها . ومنه قولُ الشاعر(٣٣) :

أنْـزلَني الـدَّهرُ على حكمِـهِ مـن شـاهـقٍ عـالٍ إلى خَفْضِ

أي جَعلَني أُقـاربُ مَنْ كُنْتُ أبـاعـدُه ، وأُقبِـل على مَنْ كنتُ أُعْرِضُ عنه .

فيكونُ معنى الحـديث على هـذا : أنَّ العبـدَ في هـذا الوقتِ أقربُ إلى رحمةِ الله منهُ في غيرِه من الأوقاتِ ، وأنَّ الباريَ سبحانَهُ وتعالى يُقْبلُ على عبادِه بالتحنُّن والتعطُّفِ[2] في هـذا الوقتِ لمـا يُلقيـهِ في قلوبهم من التَّنبيـهِ والتَّذكيرِ الباعِثَينِ لهم على الطـاعـةِ والجِـدِّ في العمل . فهـذا تـأويل أيضـاً مُمكنٌ صحيح .

فَأما[3] الأقسامُ الباقيةُ من معنى النزولِ فلا مدخلَ لها في هـذا الحـديث وإنما نذكُرُهـا لتوفيـةِ معنى النُّزولِ ، ولأنَّهـا مما يُحتـاجُ إليـهِ في غيرِ هـذا الحديث .

فمنها ما يرادُ به ترتيبُ الأشياء ووضعها مواضعَها اللائقـةَ بِهـا كقولِـه

---

1. في م ، ط : إذا تركها .
2. في م ، ط : العطف ... بما .
3. في م ، ط : وأما .

---

(٣٣) البيت من حماسيّة في شرح المرزوقي ١ : ٢٨٥ لحطـاب بن المعلى . واسمه في شرح التبريزي : حطان بن المعلى .
وروايته في الحماسة : (من شامخ عال ...) . قال المرزوقي في شرحه : يريد الشاعر أن الدهر أجرى حكمه عليه ، وأنزله عن رتبة عاليـة إلى منزلـة منخفضـة . قـال : والخفض ضـد الرفع ، وهو مصدر وضع موضع المفعول : يريد إلى مكان منخفض .

تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾(٣٤) أي رتّبناهُ مَراتِبةً ووضعناهُ مواضِعةً .
ومن ذلك قولُهُمْ : نَزَلَ فلانٌ عند الملك منزلةً حسنةً أو منزلةً[1] قبيحةً .
ومنه قولُ الشّاعرِ(٣٥) :

أنـزِلـوهـا بحيث أنـزلَهـا اللهُ بـدارِ الهَـوانِ والإتعـاسِ !

ومنها ما يُرادُ بهِ الإعلامُ والقولُ كَقَوْلِه تَعالَى : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾(٣٦) أي أقولُ مثلَ ما قالَ اللهُ ، وأُعلِمَ بمثل ما أعلَم .

ومن هذا إنزالُ الوحي إنّما معناهُ أن جبريلَ ﷺ تلقّاه عنِ الله سبحانَه وتعالَى ، وأدّاهُ إلى محمد ﷺ وهوَ[2] راجعٌ إلى معنى الإقبالِ الذي قدّمناهُ .

ومنها ما يُرادُ به الانحطاطُ من[3] المرتبةِ ، والذلّةُ ، كقولهم : نَزَلَتْ منزلةُ فلانٍ عند الملك ، أي انحطّت .

1. كلمة (منزلة) لم ترد في م ، ط .
2. في م ، ط : وهذا .
3. في م ، ط : عن .

(٣٤) سورة الإسراء ١٧ : ١٠٦ . والآية : ﴿ وَقُرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنزّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ونزّلناه تنزيلاً ﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ، أي أنزلناه نجماً بعد نجم ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا . القرطبي ١٠ : ٣٤٠ .

(٣٥) البيت من قصيدة في الأغاني ٤ : ٤٣٥ . في ترجمة سديف بن ميمون مولى أبي العباس السفاح . ونسبها ابن عبد ربّه في العقد ٤ : ٤٨٦ والمبرّد في الكامل ٤ : ٨ إلى شبل بن عبد الله . وبعض القصيدة في معجم البلدان ٥ : ٥٣٢ منسوبة إلى سديف وفي عيون الأخبار ١ : ٢٠٧ غير معزوّة . والقصيدة في تحريض بني العباس على من تبقى من بني أميّة وقبل البيت :

لاَ تُقِيلَنّ عَبْـدَ شمسٍ عِثـاراً واقْطَعَنْ كُـلَّ رقْلَـةٍ وَغِراسِ

والرقلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد .

(٣٦) سورة الأنعام ٦ : ٩٣ . والآية : ﴿ وَمَنْ أظْلَمَ مِمَّنْ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً أوْ قَالَ أوحِيَ إليَّ =

ويجوزُ[1] أنْ يكونَ قولُه :

(أنزلني الدَّهْرُ على حُكْمِهِ)

من [١٠ ب] هذا المعنى .

وقد تستعملُ العربُ النزولَ في النَّماء والزيادةِ وهو ضدٌّ ما ذكرناه قبلَ هذا ، فيقولون : طعامٌ له نزل أي بركةٌ ونماءٌ ، وأرضٌ نزلةٌ إذا كانتْ كثيرةَ الكلأ ، وتركتُ القومَ على نزلاتِهم إذا كانوا في خصبٍ وحسنِ حال .

وقد يَستعملونَه أيضاً على معنى آخر ؛ يقولونَ : نَزل القومُ ، إذا أتوا منىً . ويُقالُ لِمَنى : المنازل .

قال الشاعر :

أنازلةٌ يا أسمَ أم غيرُ نازلة ؟ أَبيني لنا يا أسمَ ما أنتِ فاعِلَهْ(٣٧)

فجميعُ مواضعِ هذه الكلمة سبعةٌ ، فهذهِ وجوهُ النُّزول في كلامِ العرب(٣٨) .

ومِمَّا غَلِطت فيه المجسِّمةُ أيضاً قولُه تعالى : ﴿ اللهُ نورُ السَّمواتِ

---

١. في ط : ولا يجوز ؛ وهو سهو من النّاسخ ، لأنه يفسد المعنى .

= ولَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمونَ في غَمَراتِ المَوتِ وَالملائِكَةُ بَاسِطوا أَيدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ اليومَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غيرَ الحَقِّ وكُنتُم عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرونَ ﴾ . وانظر الكشاف ٢ : ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣٧) البيت لعامر بن الطفيل (اللسان : نزل ١٤ : ١٨١) وفيه : (أنازلة أسماء ...) .

(٣٨) انظر في هذا المبحث كتاب (شرح حديث النزول) لشيخ الإسلام ابن تيمية ط : المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٩٦٩ .

والأَرْضِ ﴾(٣٩) فتوهَّمُوا أَنَّ ربَّهم نـورٌ(٤٠) ، تَعـالَى اللهُ عَنْ قـولِ الْجـاهلينَ عُلُـوّاً كَبيراً . وإنَّما الْمعْنَى : اللهُ هَـادي[1] أهـلِ السمـواتِ والأرضِ(٤١) . والعربُ تُسَمِّي كلَّ ما جَلَّى[2] الشُّبهاتِ وأزالَ الالتبـاسَ وأوضحَ الحقَّ نُوراً ، قال الله تعالى : ﴿ وأَنْزَلْنا إلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً ﴾(٤٢) يَعني القُرآن . وعلى هذا المعنى سمى نبيه ﷺ : ﴿ سِرَاجاً منيراً ﴾(٤٣)[3] .

وقال[4] العبّاسُ بنُ عَبد المطّلب(٤٤) يمدحُ النبي ﷺ :

وأنتَ لَمَّـــا ظهرتَ أشرقتِ الأر ضُ وَضَـــاءَتْ بنـورِكَ الأُفـقُ

وعلَى هَذا مجرى كلامِ العرب .

1. في م ، ط : المعنى هادي .
2. في م ، ط : ما جلا (بالتخفيف) .
3. في ط : زيادة ، فقال عزّ من قائل : ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً ﴾ .
4. في « ن » : وقول .

(٣٩) سورة النور ٢٤ : ٣٥ . الآيـة : ﴿ اللهُ نُوْرُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيهـا مِصْبَـاحٌ المصباحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأنَّها كَوكَبٌ دُرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مباركَةٍ زَيتونَةٍ لا شَرْقيَـةٍ ولا غَربيّةٍ يكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تمسَسْـهُ نـارٌ نورٌ على نورٍ يَهْدي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشـاءُ ويضرِبُ اللهُ الأمْثَالَ للنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴾ .

(٤٠) نقل القرطبي في تفسيره مقالة بعضهم في هذا (الجامع لأحكام القرآن ١٢ : ٢٥٦) .

(٤١) نقل القرطبي العبارة بتمامها وقال : إنها تفسير ابن عباس وأنس (١٢ : ٢٥٧) .

(٤٢) سورة النساء ٤ : ١٧٤ . والآية : ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَـاءَكُمْ بُرهـانٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيْناً ﴾ . وانظر القرطبي ٦ : ٢٧ .

(٤٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٥ . قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهـا النبي إنّـا أرْسَلْنـاكَ شَـاهِـداً ومُبَشِّراً ونَـذيراً [٤٥] وَدَاعيـاً إلى اللهِ بِـإِذْنِـه وسِرَاجـاً مُنيراً [٤٦] ﴾ . وفي وجوه تفسير الآيـة : (وقيـل : وسراجاً ؛ أي هادياً من ظلم الضلالة ؛ وأنت كالمصباحِ المضيء) . القرطبي ١٤ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٤٤) البيت في شرح شـواهـد أدب الكتـاب لابن السيـد البطليـوسي : ٤٠٢ ، والسيرة لابن كثير ١ : ١٩٥ .

قالَ امرُؤ القيس(٤٥) بن حجر الكندي[1] :

أقرَّ حَشـــا امرئِ القَيسِ بنِ حُجْرٍ   بَنُـو تَيْمٍ مَصـــابيـــحُ الظَّـــلامِ

وقال(٤٦) النابغة الذُّبياني[2] :

لا يبعـــدُ اللهُ جيرانـــاً تركتُهمُ   مِثـلَ المصـابيـحِ تَجلُـو ليلـةَ الظُّلَمِ

وقال[3] آخر(٤٧) :

مَن تَلْقَ منهمْ تَقُلْ لاقَيْتَ سيِّـدَهُمْ   مثلَ النُّجومِ التي يَسري بها السَّاري

---

1. في م ، ط : قال امرؤ القيس .

2. في م ، ط : وقال النابغة .

3. في م ، ط : وقال الآخر .

---

(٤٥) من أبيات يمدح بها المعلّى أحد بني تيم ، وكان أجاره ، والمنذر بن ماء السماء يطلبه ، فمنعه ، ووفى لـه . قـال الأعلم الشنتمري : (وقـولـه مصـابيـح الظـلام : يعني أنهم كالسرج في الظـلام لحسنهم وجمالهم وشهرة كرمهم وفضلهم . ويكون أيضاً أنهم يكشفون الأمور المبهمـة ويبينونهـا بصحـة رأيهم وعقولهم كما تجلو المصـابيح الظـلام وتكشفـه) . شرح الـديـوان : ١٤١ طبعـة دار المعارف .

(٤٦) شرح ديوان النابغـة لأبي بكر عـاصم بن أيوب البطليوسي : ٧٤ . وفيـه : يريـد أنهم يستضـاء بآرائهم في المشكلات كما يستضاء بالمصباح في الظلام (وانظر المخطوطـة بشرح الأعلم) قـال أبو بكر : ويحتمل أن يكون شبّههم بالمصابيح في حسن وجوههم .

(٤٧) البيت من حـماسيـة للعرنـدس (أحـد بني بكر بن كلاب) شرح المرزوقي ٤ : ١٥٩٥ . قـال في شرح البيت : (... وهم في الاشتهار والتميز عن الطوائف كالنجوم المعروفة النيرة التي يهدي بهـا السابلة والمارة ..) . وانظر بعضهـا في الحيوان ٢ : ٨٩ ولم ينسبهـا والقصيـدة في الكامل : ١ : ٧٨ ـ ٧٩ لعبيـد بن العرنـدس ، ومنهـا في معجم مـا استعجم ٣ : ٨٦٢ ـ ٨٦٣ لعقيـل بن العرندس ، والأمالي ١ : ٢٣٢ للعرنـدس ، والمرزبـاني في المعجم : ١٧٣ وأخـذ مـا في الحـماسـة ، وديوان المعاني ١ : ٤١ غير منسوب . وانظر موضوع نسبة الأبيـات في التنبيـه للبكري : ٧٢ ـ ٧٣ .

وقال النبيُّ[1] ﷺ : « أصْحَابِي كالنُّجُوم بأيِّهِمُ اقتدَيْتُمْ اهتَـدَيْتُمْ »(٤٨) .
ولَـوْ مُنِحَت الْمجَسِّمَـةُ طرفـاً من التـوفيـقِ وتَـأمَّلتِ الآيـةَ بعين التحقيـق لوجَدَتْ فيهـا مـا يبطلُ دعواهُم دونَ تكلفِ تـأويلٍ ومن غيرِ طلب دليل لأنَّهُ قالَ تعالى في عقب[2] الآية : ﴿ ويَضْرِبُ اللهُ الأَمثالَ للنَّاسِ واللهُ بكُلِّ شَيءٍ عليمٌ ﴾ ، فـأخبرَنـا أنّ مـا ذكَرهُ في الآيـة العزيزةِ من النُّورِ والمشكاةِ والمِصْباحِ والزُّجاجةِ والزَّيتونَةِ والشَّجرةِ أمثالٌ مضروبةٌ(٤٩) يعقلُهـا عنِ الله تعالى مَنْ وُفِّق لِفَهْمِها ، وكُشِفَتْ لَهُ الحُجُبُ عن مَكْنُونِ سِرِّها ، وعِلْمِهـا ، كما قـال تعـالى : ﴿ وَتِلْـكَ الأَمْثَـالُ نَضْرِبُهـا للنَّـاسِ وَمَـا يَعْقِلُهـا إلاّ العَالِمُونَ ﴾(٥٠) .

فإنْ قلتَ : كيفَ وقَعَ[3] هذا التَّمثيلُ وما المرادُ به ؟

فالجوابُ أنهُ شَبَّهَ صَدْرَ المؤمنِ بالمشكاةِ ، وقلْبَه [١١ أ] بـالزجـاجـةِ ، ونور الْهُدى الذي يضعَه في قلبه بالمصباح ؛ وشبَّهَ مادةَ الْهُدى المنبعثـة من قِبلَ الرسـول ﷺ التي تـزيـدُ في بَصائِرِ الْمـؤمنين ، وتحفـظُ نـورَ الإيمـان عليهم ، وتمنَعُهُ من أنْ يَغلِبَ عليـهِ الشـكُّ فيطمسَـه بمـادة الزيت التي تمدُّ

1. في ط : وقال ﷺ .
2. في ط : قال الله تعالى بعقب الآية .
3. في ط : فكيف يقع .

(٤٨) رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ : « أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم » . كشف الخفا ١ : ١٣٢ .
(٤٩) وانظر ما قاله ابن ناقيا البغدادي في كتاب الجمان في تشبيهات القرآن : ١٤٤ ـ ١٤٩ . طبعة وزارة الأوقاف بالكويت بتحقيقنا .
(٥٠) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٣ .

المصباحَ لئلاَّ يُطْفَأَ نورُه . وشبَّهَ النبيَّ ﷺ بالزيتونة ، إذْ كانَ الْهُدَى إنَّما يَنْبَعِثُ من قِبَله كانبعاثِ الزّيت من الزيتونة[1] وجعل الزيتونة لا شرقية ولا غربية لأن ظهورَهُ ومَبْعَثَهُ ﷺ إنَّما كانَ بمكةَ ، ومكةُ متوسّطةٌ بينَ المشرقِ والمغربِ .

فهذا كلامٌ كما تَرَى قد خرجَ على أحسنِ مَخارجِ الكلام ، وتشبيهٌ جاءَ[2] على أبْدعِ وُجوهِ التَّشْبيهِ ، فهَذا ونحوُه من الحقيقةِ والمجازِ العارضينِ في مَوضُوعِ الكَلمة .

وأما الحقيقةُ والمجازُ العارضان فيها من قِبَل أحوالِها فإنّهما كثيران أيضاً كَكَثْرَةِ النَّوعِ الأولِ ؛ فمن ذلك قولُهم : (ماتَ زيدٌ) فيرفعونه كما يرفعونَ قولَهم : أماتَ اللهُ زيداً . وأحدُهما حقيقةٌ والآخرُ مجازٌ . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإذَا عَزَمَ الأَمْرُ ﴾(٥١) والأمرُ لا يعزمُ إنّما يُعْزَمُ عَليهِ .

قال النابغة(٥٢) :

... وإن الدين قد عَزما[3]

---

1. في ط : من الزيتون .
2. كلمة (جاء) لم ترد في ن .
3. في « ن » : فإن الدين .

---

(٥١) سورة محمد ﷺ ٤٧ ـ سورة القتال ـ : ٢١ . والآية : ﴿ طَاعةٌ وقَولٌ مَعْروف فَإذَا عَزَمَ الأمر فَلَو صَدَقُوا اللهَ لكانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ .

(٥٢) هذا جزء من بيت له ، وتمامه :

حيّاك ربّي فإنّا لا يَحِلُّ لنا   لَهْو النِّساء وَإنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَما

قال أبو بكر البطليوسي : (الدين ههنا الحج ، لما تعرضت له هذه المرأة قال لها : لا يحلّ لنا اللهو بك لأننا حجاج قد عزمنا عليه ، أي على الحج) . انظر ص (٦٦) .

وتقول[1] : أُعطي ثوبٌ زَيداً ، وَإنَّما الوجهُ : أعطِيَ زيدٌ ثوباً ، لأن زيداً هو الآخذ للثَّوبِ والمتناوِلُ له . وَ : وُلِدَ لهُ ستونَ عاماً ، والمعنى وُلِدَ لـه الأولادُ في ستينَ عـامـاً . ونحوه قولـه عز وجـلّ[2] : ﴿ بَـلْ مَكْرُ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ ﴾(٥٣) وإنّما المُرادُ : بـل مَكرُهُمْ في اللّيـلِ والنّهـارِ[3] ، وأنشـدَ سِيبَويه(٥٤) :

أَمَّـا النَّهَـارُ ففي قيـدٍ وسِلسِلَـةٍ والليلُ في بَطْنِ مَنْحُوتٍ مِنَ السَّاجِ

وتقولُ العربُ : نهارُكَ صائمٌ وليلُكَ قَائِمٌ . وقال(٥٥) آخَرُ[4] :

لقـد لُمتِنـا يـا أُمَّ غَيلانَ في السُّرَى ونِمتِ ومـا ليـلُ المَطِيِّ بنـائِمِ

---

1. في م ، ط : ويقولون .
2. في م ، ط : قوله تعالى .
3. العبارة لم ترد في (م) . وفي ط : والمراد .
4. في م ، ط : وقال جرير .

---

(٥٣) سورة سبأ ٣٤ : ٣٣ . والآية : ﴿ وَقَالَ الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا للَّذينَ استَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهارِ إذْ تأمُرونَنا أنْ نَكْفُرَ باللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذابَ وجَعَلْنا الأغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَونَ إلا ما كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(٥٤) البيت في شرح شواهد كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري ١ : ٨٠ وقد قال : (الشاهد في إخباره عن النهار بكونه في سلسلة . وعن الليل باستقراره في جوف منحوت اتساعاً ومجازاً . وصف محبوساً يقيّد بالنهار ويغلّ في سلسلة ويوضع بالليل في خشبة منحوتة والنحت حفر في خشبة أو حجر ، والساج شجر معروف من شجر الهند) .

(٥٥) البيت من قصيدة لجرير يرد بها على الفرزدق (الديوان : ٥٥٤) . وأم غيلان : ابنته . وجاء في شرح الأعلم على شواهد الكتاب ١ : ٨٠ : (الشاهد في الإخبار عن الليل بالنوم اتساعاً ومجازاً والمعنى وما المطي بنائم في الليل . وصف أنه عذل في إدمان ومواصلة سرى الليل فقال : يلومنا في ذلك من ينام عنه ونصلى شدته دونه لما نرجو من الفائدة في غبه فلا نصغي إلى لومه فيه وعذله) .

وقال حُمَيدُ بنُ ثور الهلالي(٥٦) :

ومَطويّةِ الأقرابِ أمّا نهارُها فسَبْتٌ ، وأمّا ليلُها فذَميلُ

وأما المجازُ والحقيقةُ[1] العارضانِ من طَريق التركيبِ وبناء بعضِ الألفاظِ عَلَى بعضٍ ، فنحوُ الأمرِ يردُ بصيغةِ الخَبر ، والخبر يردُ بصيغةِ الأمر ، والإيجاب يَردُ بصيغةِ النَّفي ، والنَّفْي يَردُ بِصِيغَةِ الإيجاب ، والواجب يَرِدُ بصيغة المُمكنِ وَالمُمتنع[2] ، والممكن والمتنع يردانِ بصيغةِ الواجب ، والمدح يرد بصورة[3] الذمِّ ، [١١ ب] والذم يردُ بصورة[4] المَدحِ ، والتقليل يرد بصورة[4] التكثيرِ ، والتكثير يَردُ بصورةِ[4] التّقليلِ ، ونحو ذلك من أساليبِ الكلامِ التي لا يقفُ عليها إلا مَنْ تحَقَّقَ بعلمٍ من اللِّسانِ[5] .

وكلٌّ نوعٍ من هذهِ يقصدُ[6] بهِ غَرضٌ مِنْ أغْراض البيان . ونحنُ نذكرُ من كلِّ نوعٍ من هذه الأنواع أمثلةً تشهدُ بصحةِ مَا قُلْنَاهُ ليُحتَذَى فيما لم نذكره على ما ذكرناه ، إن شاءَ الله تعالى .

1. في ط : الحقيقة والمجاز .
2. في م ، ط : أو الممتنع .
3. في م ، ط : بصيغة .
4. في م ، ط : بصيغة .
5. في م ، ط : بعلم اللسان .
6. في م ، ط : مقصود به .

(٥٦) البيت ثاني ثلاثة أبيات (الديوان : ١١٦) . قال أبو الفرج : وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني أمية فقال له : ما جاء بك . فقال :

أتاكَ بي اللهُ الذي فوق من ترى وخَيرٌ ومَعروفٌ عَلَيكَ دَليلُ

ومطوية ... الأبيات ، الأقراب : ج قرب وهو الخاصرة . والسبت : السير السريع ، الذميل : السير اللين . والأغاني ٤ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

أمّا الأمْرُ الوارد بصيغة الخبر فكقولهم[1] : (حَسْبُكَ دِرْهَمٌ) ، فإن صِيغةَ[2] الكلام كصِيغةِ قولك : (أخوكَ مُنْطَلِقٌ) ، و (أبوكَ زيد) ومعناه معنى الأمر ؛ لأن تقديرَهُ : ليكفِكَ دِرْهَم ، أو اكتفِ بدرهم .

قال امرؤ القيس[(٥٧)] :

☆ وحَسْبُكَ مِنْ غِنىً شِبَعٌ وريٌّ ☆

ومِنْ هَذَا قولُهُمْ في الدُّعاء : (غَفَرَ اللهُ لزيدٍ ، ورحِمَكَ اللهُ ، وسلامٌ عليكَ) . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[(٥٨)] وإنما المعنى : لِتُرضعِ الوالداتُ أولادَهُنَّ ، لأنَّهُ لم يخبرنا وإنما أمَرَنا .

وأمّا الخبرُ الواردُ بصيغةِ الأمر فكقولهمْ في التعجب : (أَحْسِنْ

---

1. في ط : فكقولك .

2. في م ، ط : صيغة هذا الكلام .

---

(٥٧) عجز بيت له وتمامه :

فَتُوسِعُ أهْلَها أقِطاً وسَمْناً وحَسْبُكَ مِنْ غِنىً شِبَعٌ وريٌّ

والبيت من قطعة مشهورة . (انظر الديوان بشرح الأعلم : ١٣٦) .

(٥٨) سورة البقرة ٢ : ٢٣٣ . الآية : ﴿ والوالِداتُ يُرضِعْنَ أوْلادَهُنّ حَولَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَن أرادَ أنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وعَلَى المولُودِ لَهُ رِزْقُهُنّ وكِسْوَتُهُنّ بالمَعْروفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلا وُسْعَها لا تُضَارَّ والِدةٌ بوَلدِها ولا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِه وعَلَى الوارثِ مِثْلُ ذَلكَ فإنْ أرادا فِصَالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهما وتَشاوُرٍ فلا جُنَاحَ عليهما وإنْ أرَدتُم أنْ تَسْتَرضِعوا أوْلادَكم فلا جُنَاحَ عليكم إذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُم بالمعْروفِ واتّقوا اللهَ واعْلَموا أنّ اللهَ بما تَعْمَلُون بَصيرٌ ﴾ . القرطبي ٣ : ١٦١ . قوله تعالى : ﴿ يرضعن ﴾ خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن ... (وانظر تتمة الكلام ٣ : ١٦٠ ..) .

بزيدٍ) ، فإن صيغتَهُ صِيغةُ[1] قولك : (أَحْسِنْ إلى زَيدٍ) . وأحدهما خبر والآخر أمر ، لأن معنى أحْسِنْ بزيد : ما أَحْسَنَ زيداً ، فإنما أنتَ مُخْبِر لا آمِرُ . ومكان الباء وما عملت فيه رَفْع ، ومكان إلى وما عملتَ فيه نصب . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِر ﴾(٥٩) أي : ما أَسْمَعَهُمْ وأَبْصَرَهُمْ ! .

وأما الإيجابُ الواردُ بصيغة النفْي فكقولهم[2] : (ما زالَ زيد عالماً) ، فإنّ صِيغتَهُ صيغةُ[3] قولِك : (ما كانَ زيد عالماً) . والأولُ إيجابٌ ، والثّاني نَفي . فإذا أدخلتَ على هذه الجملة (إلاّ) التي للإيجاب فقلتَ : (ما زالَ زيد إلاّ عَالِماً) ، صارت صيغتُهُ صيغةَ الموجَبِ ومَعْناهُ مَعْنى المَنْفِيّ .

والعلّةُ في ذلِكَ أَنّ قولَكَ : (زَالَ زيد عالِماً) لو كان مما يُستَعْمَلُ لَكانَ معناهُ النَّفْيُ ؛ لأنَّ مَعْنَاهُ زالَ عَن العلمِ وانْتَفَى منه ؛ فإذا أدخلتَ عَلَيهِ (مَا) النافية رجَع إيجاباً لأنّ النَّفْيَ الثاني يُبْطِلُ النَّفْيَ الأولَ . فَإذَا أَدْخلتَ (إلا) بطلَ النفيُ الثّاني الذي أوجبَتْه (ما) وعادَ النفي الأولُ إلَى حالِهِ ، فصارَ قَوْلُكَ : (مَا زالَ زيدُ إلاّ عالِماً) بمنزلة قولِكَ : (زالَ زيدٌ عالماً) .

فمن النحويينَ مَنْ يرى أنّ قولك : (ما زالَ زيد إلا عالماً) إنَّما امتنعَ من الجوازِ لأنّ دخولَ (ما) في صدرِ المسألةِ يُوجب له العلمَ ، ودخولَ

---

١. في م ، ط : كصيغة .
٢. في ط : فكقولك .
٣. في م ، ط : كصيغة .

---

(٥٩) سورة مريم ١٩ : ٣٨ . والآية : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ يومَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظالِمونَ اليومَ في ضَلالٍ مُبِيْنٍ ﴾ .

(إلاّ) في آخرِها يَنفي عنهُ العِلم ، فَتصير[1] مُثْبتاً نافياً للخبرِ في حالٍ واحدةٍ .

ومنهمْ مَنْ يقولُ : إنَّما استحالَ لأنَّ دخولَ (إلا) عليه يبطل (مَا) لأنها مناقضة لها ، فكأنّك قلت [١٢ أ] : (زالَ زيدٌ عالماً) ، وهذا غير جائز ، لأن العَرب لم تستعمل (زالَ) الداخلةَ على الابتداء والخبر إلاّ مع (مَا) .

ومنهم من يقولُ : إنما استحالَ لأنَّ قولَك : (مَا زالَ زيدٌ عالِماً) كلام موجَب وإنْ كانَ بصورةِ المنْفيّ ، فلمّا كانَ كذلك لم يَجُزْ دخولُ (إلا) عليه لأنَّ (إلاّ) إنما وُضِعت لتوجب ما كانَ مَنفِيّاً قبل دُخولها فإذا كانَ الكلامُ موجباً بنفسه استُغْنِيَ عنها . ومن طَريف هذا النَّوع قولُ الفرزدق(٦٠) :

بأيدِي رجالٍ لَم يَشِيمُوا سيوفَهم ولم تَكْثُرِ القَتْلى إذا هِيَ سُلّتِ[2]

قال أصحابُ المعاني : معناهُ لم يَشيموا سيوفَهم إلاّ وقد كَثرتِ القتلى بها حينَ سُلّت . فمعناهُ كما ترى إيجابٌ ؛ وصِيغتُه وظاهرُه نفيٌ . وإنّما وجَب[3] هذا لأن قولَهُ : (ولم تكثرِ القَتلى) ، ليس بجملةٍ منقطعةٍ من الجملة التي

1. في م ، ط : فيصير .
2. في م ، ط : بها حين سلت .
3. في ط : وإنما أوجب .

(٦٠) المعاني الكبير : ٨٩٩ . وقال في شرحه : (أراد لا يشيمون سيوفهم ولم يكثر القتلى بها ولكنهم يشيمونها إذا أكثروا بها القتلى) والبيت في الأضداد لابن الأنباري : ٢٥٩ . وفيه : (ولم يكثروا ... يوم ، أراد لم يغمدوا سيوفهم حتى كثرت القتلى) وفي ديوان الشاعر ١ : ١٣٩ :

بأيدي رجالٍ لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سُلّتِ

وهي رواية نسختي م و ط .

قبلها معطوفة عليها على حدّ عطفِ الجُمل على الجُمل ؛ وإنَّما هيَ في موضع نصبٍ على الحال من السُّيوف . وتقدير الكلام : (لم يَشيمُوا سيوفَهم غيرَ كثيرة القتلى بها حينَ سُلّت) ، فصارَ بمنزلةِ قولك : (لَم يجئْ زيدٌ ولم يركبْ فَرسَهُ) إذا جعلتَ قولك : (ولم يركبْ فرَسَهُ) في موضع الحال من زيدٍ تقديرُه : (لم يجئْ زيدٌ غيرِ راكبِ فرَسه) ، فمحصولُ معناه أنّه جاءَ راكباً فرَسه ؛ فَظاهرُه نفيٌ ومعناهُ إيجاب .

وقد يجوزُ في المسألةِ[1] أنهُ لم يَجِئ ولم يركبْ ، فتنفيَ الفعلينِ معاً ، وتجعلَهما جُملتين لَيست إحداهُما مُتعلقةً بالأُخرى إلاّ على جهةِ العَطف فقط .

وأما النَّفيُ الواردُ بصورةِ[2] الإيجابِ فنحو قولِهم : (لو جاءَني زيدٌ لأكرمتُهُ) ، فصورتُه صورةُ كَلام مُوجَبٍ لأنهُ ليسَ فيه أداةٌ من أدَواتِ النفي ؛ وهو مَنفيٌّ في المعنى لأنهُ لم يقعِ المجيءُ ولا الإكرامُ . فإذا دخل عليه حُروفُ[3] النفي فقيلَ : (لَوْ لَم يشتِمْني زيدٌ لم أضربْه) ، صارتْ صُورتُه صورةَ المنفيّ ومعناهُ معنى الموجَبِ . ومن أجل هذا قال النَّحويون في[4] قولِ امرئ القيس(٦١) :

---

١. في م ، ط : أن تريد أنه .
2. في م ، ط : بصيغة .
3. في م ، ط : حرف النفي .
4. في م ، ط : في نحو قول .

---

(٦١) البيت في الديوان بشرح الأعلم الشنتمري : ٣٩ . وبعده :
ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي
قال الأعلم : أي لو كان سعيي لأقرب معيشة وأدناها لكفاني قليل من المال ، ولم أطلب المُلك .

فَلَوْ أنَّ مـا أسْعَى لأدْنَى مَعيشـةٍ   كَفـاني ولم أُطلُبْ قليـلٌ من المـالِ

إنّ نصبَ القليل هنا مُحال لأنه لو نصبَه لأوجب أنّه قـد طلبَ قليلاً من المال ، وهذا خلاف ما أراده الشّاعرُ ، ألا تَراه يقولُ بعدَ هذا(٦٢) :

وَلكنَّما أسْعى لِمجـــدٍ مُـــوَثَّـــلِ   وقد يُدرك المَجدَ المُؤَثَّل أمْثـالِي !

فأخبرَ ببعدِ همّته وعُلُوِّها ، وأنه إنما يطلبُ المُلك والريـاسَـةَ . ألا تَرى النَّحويين قد جعَلُوا قولَه : (ولَمْ أطلبْ قليلاً) بالنّصْب إيجاباً ، وظـاهرُه نَفي . وإنّما عَرَضَ هـذا[1] من قِبَلِ دُخـول[١٢ ب] (لَـوْ) في أوّلِ البيت ؛ وقد أعلمتكَ أنّ إيجابَها نفيٌ ، ونفيها إيجاب .

ومن هذا قولُه تعالى[2] : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَـا كُلَّ نَفْسٍ هُـدَاهَـا ﴾(٦٣) ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كلُّهم جَمِيعاً ﴾(٦٤) .

---

1. كلمة (هذا) لم ترد في « ن » .
2. في ط : قوله عز وجل .

---

(٦٢) الديوان : ٣٩ .

(٦٣) سورة السجدة ٣٢ : ١٣ . والآية : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتينا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاها وَلكنْ حَقَّ القولُ مِنّي لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعِيْنَ ﴾ . وانظر مغني اللبيب ١ : ٢٨٤ .

(٦٤) سورة يونس ١٠ : ٩٩ . والآيـة : ﴿ وَلَـو شَـاءَ ربُّـك لآمَنَ مَنْ فِيْ الأرْضِ كلُّهم ، جَميعـاً . أفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّـاسَ حَتّى يَكُونوا مُؤْمِنِيْنَ ﴾ . وفي القرطبي ٨ : ٣٨٥ : (أي لاضطرهم إليـه . كلهم تأكيد لمن . جيعاً عند سيبويه نصب على الحال) . وقال الأخفش : (جاء بقولـه جميعـاً بعد كل تأكيداً كقوله : لا تتخذوا إلهين اثنين) . وفي المتشابه ١ : ٣٧١ قـال : (المراد بـذلـك أن اللهَ تعـالى لو شـاء أن يكرههم ويلجئهم إلى الإيمـان لآمنوا أجمع ، ودل على أن هـذا المراد بقوله تعالى آخراً : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ منبهاً بذلك على أنـه المقتـدر على ذلك دون الرسول عليه السلام ، وأن شدة محبتـه الرسول في ذلـك لا تنفع إذا هم لم يؤمنوا اختياراً) .

وَأمّا ورودُ الواجبِ بصورةِ الممكن[1] فكَقولِهِ تعالى(٦٥) : ﴿ فَعَسى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمرٍ من عندِه ﴾ ، وقولِه : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾(٦٦) . وهذا واجبٌ ثابتٌ ، وصورتُهُ صورةُ الممكنِ المشكوكِ فيه والعربُ تَفْعلُ هذا تحريراً للمعاني ، واحتياطاً عليها . ومنه قولُ الشّاعر(٦٧) :

لَعَلّيَ إنْ مَالَتْ بي الريحُ مَيلةً ... عَلَى ابنِ أَبي زبَّانَ[2] أَنْ يتندَّما

فأخرج كلامَه مُخرجَ الممكنِ[3] وإنما يريد : أنه يتندّمُ[3] لا مَحالة .

وأمّا ورودُ الممتنعِ بصورةِ المُمكنِ فكَقولِ امرئِ القَيْس(٦٨) :

وبُدِّلتُ قَرحاً دامياً بعدَ صِحّةٍ ... لَعلَّ مَنايانا تَحوَّلْنَ أَبْؤُسَا

وتحوُّلُ المَنايا أبؤساً من الممتنعِ الذي لا يمكنُ وقد جعَلَه كَمَا ترى في

1. في (م) : الإمكان .
2. في م : زيان .
3. في م : الإمكان ـ فتندم .

(٦٥) سورة المائدة ٥ : ٥٢ . والآية : ﴿ فَتَرى الَّذينَ فِيْ قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسارِعونَ فِيْهِم يَقُولُون نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بالْفَتحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحوا عَلى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِم نَادِمِيْن ﴾ .

(٦٦) سورة الإسراء ١٧ : ٧٩ . الآية : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ .

(٦٧) البيت لثابت قُطنَة ، من أبياتٍ في هِشام بن عَبد الملك ، وروايته في مجموع شعره : عَلى ابن أبي الذِّبّان . وكان عبد الملك بن مروان يُكنى بأبي الذبّان لشدّةِ بَخَره . ثمار القلوب : ٢٤٦ واللسان (ذ ب ب) .

(٦٨) الديوان : ١٠٧ . قال الأعلم : (وبدلت قرحاً دامياً) يريد ما ناله في جسمه من الحلّة المسمومة التي وجهها إليه ملك الروم ، وقوله : (لعلّ منايانا) أي لعلّ ما بي من شدة الحال والبلاء عوض من الموت أو بدل منه (١٠٨ من الشرح)، وفي اللسان : (لعلّ منايانا أي أظن منايانا تبدلن أبؤساً) .

صورةِ الممكن على العلم منه أنه[1] ليسَ كذلك ؛ تعللاً[1] بذلكِ واستراحةً مِمّا كان فيه من عظيم البَلاء .

ونحوُه قولُ كَعب بن سعد الغَنَويّ[2] يَرْثِي أخاه(٦٩) :

ودَاعٍ دَعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدى   فلمْ يستجبْـهُ عنـدَ ذاكَ مجيبُ

فقلتُ : ادعُ أخرى وارفَعِ الصَّوتَ دَعوةً[3]   لَعلَّ أبـا[4] المِغوارِ منكَ قريبُ

يجبْكَ كما قَدْ كانَ يفعلُ إنهُ   نَجيبٌ[5] ، لأبوابِ العَلاءِ طَلوبُ

وقالَ النابغةُ يرثي النُّعمان[6] :

فإنْ تحيَ لا أملَلْ حياتِي وإن تمُتْ   فَمَا في حياةٍ[7] بعد موتِكَ طائِل(٧٠)

---

1. في م ، ط : بأنه . ــ في ط : تعللاً منه بذلك .
2. في م : كعب الغنوي .
3. في ط : جهرةً .
4. في ط : أبي .
5. في ط : مُجيب .
6. في م ، ط : وقال النابغة .
7. في ط : فما في حياتي .

---

(٦٩) الأبيات من أصمعيّة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار (الأصمعية : ٢٥ وانظر الأصمعية ٢٦) وانظر تخريج القصيدة ثمّ . وثاني الأبيات مشهور في كتب النحو ، والقصيدة في الأمالي ٢ : ١٤٧ هامش ٢ ، وجمهرة أشعار العرب ٢ : ٦٩٢ ـ ٧٠٤ وهي ثمّة لمحمد بن كعب الغنوي ومختارات ابن الشجري : ٢٧ ، سمط اللآلي : ٧٧١ ، والخزانة ٣ : ٦٢٠ ط بولاق ، والأمالي ٢ : ١٤٩ ـ ١٥١ .

(٧٠) ديوانه بشرح أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي وفيه : فما في حياتي .
يقول : (إن حييت لم أمل الحياة لما أناله من الخير بك وإن متّ فما في الحياة نفع بعدك) ص : ٦٢ .
وفي الديوان (ط السعادة بمصر) : (فما في حياة) . ولم يرد البيت في طبعة الديوان ، بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
انظر القصيدة : ١١٣ ـ ١٢٠ .

ومن هـذا البـاب[1] قـولُ الرجـل الْمُحرَق لبَنيـه : (إذا أنـا مِتّ فـأحرِقُوني ، ثم اذْرُوا[2] رَمَادي في اليمّ ، فلعلّي أُضِل الله ، فـوالله لَئِنْ قـدرَ اللهُ عليَّ لَيعذِّبَني عذاباً شديداً(٧١)) . ألاَ ترى أنه أخرج ما قد تحقّق أنـه لا يكون مخرجَ ما يُرجى أن يكون ، تعلُّلاً بذلـك واستراحـةً إليـه ، كما فَعَلَ امرؤُ القيسِ حينَ اشْتَدَّ به البلاءُ في قوله :

لعلَّ مَنَايَانا تحوَّلْن أبْؤُساً

وهو لا يشك في أنَّ هذا الذي رجاهُ ممتنع . ومِنْ أبينِ مَا في ذلك قول الآخر(٧٢) :

أُخـادِعُ نفسِي بـالأمـانِي تَعَلُّلاً على العلمِ مِنِّي أنَّهـا ليسَ تَنْفَـعُ !

وأمـا قولُـه : (فـوالله لئِنْ قـدر اللهُ علي لَيعـذِّبَني عـذابـاً شـديـداً) ، فمعنـاه : فوالله[3] لئن ضَيَّق [١٣ أ] الله عليّ طُرق الخـلاصِ ليعـذّبني ، وليس يشكّ في قُـدرةِ الله تعـالى ؛ ولو شـكَّ في قـدرةِ الله[4] لكانَ كافِراً ، وإنّما هو

---

١. (الباب) لم ترد في م .
2. في م : واذروا .
3. (فوالله) لم ترد في « ن » .
4. في م ، ط : قدرته .

---

(٧١) أخرج البخاري ومسلم ومالك والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « قال رجل لم يعمل خيراً قط فإذا مات فحرقوه (وفي رواية قـال لأهلـه : إذا أنـا مِتّ فاحرقوني [النسـائي]) واذروا نصفـه في البر ونصفـه في البحر فوالله لئن قـدر الله عليـه ليعذبنه الله عذاباً لا يعذبه أحداً من العـالمين فـأمر الله البحر فجمع مـا فيـه ... الحديث » . البخاري ٨ : ١٩٩ ، مسلم ٤ : ٢١٠٩ ـ ٢١١٩ ، النسائي بشرح السيوطي ٤ : ١١٣ ، الموطـأ ١ : ٢٤٠ .

(٧٢) لم أقف على قائله .

كقوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيه ﴾(٧٣) وقولِه : ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ ﴾(٧٤) أي ضُيِّقَ ، ويجوز أن يكونَ من القَدَر الّذي هو القَضاء ، فيكونُ معناهُ : (فواللهِ لئنْ قَدَّر اللهُ عليَّ العذابَ ليعذبني[1]) ؛ فحذفَ المفعولَ اختصاراً ، كما قال النابغةُ الجَعدي(٧٥) :

حتَّى لَحِقْنا بهمْ تُعدِي فوارسُنا كأنَّنا رَعنُ قُفٍّ يَرفعُ الآلا

أراد : تُعدِي فوارسُنا الخَيل . وقد يجوزُ أن يكونَ قولُه : (فوالله لئنْ قدر الله عليّ من القدرةِ على الشيء) . فإنْ قيلَ : كيف يصحُّ هذا ودخولُ الشرط عليه قد جَعَلهُ من حَيّز المُمكن ـ الذي يجوزُ أن يكون ويجوزُ ألاّ يكونَ ـ وهذه خاصة الشّرط ؟ ألا ترى أنك إذا قلتَ : (إنْ جاءني زيد أكرمْتُه) فممكنٌ أن يقعَ ذلك ، وممكن ألاّ يَقَع . وهذا شكٌّ محضٌ في قُدرةِ الله تعالى[2] ؛ فالجوابُ أن العرب قد تستعمل (إنْ) التي للشَّرط بمعنى إذا ، كما تستعمل (إذا) بمعنى (إنْ) . و (إذا) تقع على

1. كلمة (ليعذبني) لم ترد في « ن » .
2. في ط : عز وجل ، والجواب .

(٧٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٨٧ . والآية : ﴿ وذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِيْ الظُّلُماتِ أنْ لا إلَهَ إلاّ أنتَ سُبْحانَكَ إنِّي كنت مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

(٧٤) سورة الطلاق ٦٥ : ٧ . والآية : ﴿ لِيُنْفِق ذُوْ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ مَا آتَاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ .

(٧٥) البيت من قصيدة له يهجو بها سوار بن أوفى القشيري . في المعاني الكبير : ٨٨٣ : (قال : تعدي فوارسنا أي تستحضر خيلها) . القف : الجبل . الرعن : أنف الجبل . قال ابن السِّيد : (أراد تعدي فوارسنا الخيل ، فحذف المفعول اختصاراً لما فهم المعنى . والقف : ما ارتفع من الأرض ، شبه أنفسهم في كثرة عددهم برعن قفٍ رفعه الآل فنظم ظله ، وأراد كأننا ظل رعن قف فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأنه إنما شبه أنفسهم بظل الرعن لا بالرعن) . وانظر شعر النابغة : ١٠٦ .

الشّيء الذي لا يُشَكُّ في كَونِـهِ كقولـك : (إذَا كَـانَ اللَّيْلُ فـأْتِني) وكونُ الليلِ لا بُدَّ مِنْه[1] . وكقولـه تعـالى : ﴿ إذَا السماءُ انْفَطَرَتْ ﴾(٧٦) ، فمعنـاهُ على هذا : فوالله إذا قَدر الله عليَّ ليعذِّبني عَذاباً شديداً .

وإنما جازَ وقوعُ (إن) التي للشّرط موقعَ (إذا) الزّمـانيـة ، لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما يَحتاج[2] إلى جوابٍ .

والشّيئانِ إذا تضارَعَا جازَ أنْ يقعَ كلُّ واحدٍ مِنْهُمَا موقِعَ صاحِبِه ، فمما وقعت فيه (إنْ) موقعَ (إذَا) قولُـه تعـالى : ﴿ لَتَـدْخُلُنَّ الْمسجِـدَ الحَرَامَ إنْ شَـاءَ اللهُ آمِنِيْنَ ﴾(٧٧) ، وقـولُ النبي عليـه السَّـلام حينَ وقَفَ على القبورِ : « إنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكم لاحِقُونَ »(٧٨) يريدُ إذَا شاءَ الله . ومنـه قول الشاعر(٧٩) :

فـإلاّ يكُنْ جِسْمِي طَـويـلاً فـإنَّني ... لـه بـالفِعـالِ الصَّـالحـاتِ وَصُولُ

1. سقط المثال والتعليق عليه من نسخة م .
2. في ط : كل واحدة منهما تحتاج .

(٧٦) سورة الانفطار ٨٢ : ١ .
(٧٧) سورة الفتح ٤٨ : ٢٧ . والآية : ﴿ لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرُّؤيا بالحَقِّ لَتَـدْخُلُنَّ المَسْجِـدَ الحَرَامَ إنْ شَـاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحلِّقِين رُؤوسَكم ومُقَصِّرِينَ لا تَخَـافُونَ فَعَلِم مـا لَمْ تَعْلَمُـوا فَجعَـلَ مِنْ دُونِ ذَلكَ فَتحاً قَرِيباً ﴾ .
(٧٨) من حـديث للنبي ﷺ أخرجـه مسلم (١ : ٢١٨) ، من حـديث أبي هريرة رضي الله عنـه والنسائي (٤ : ٩٤) ، وابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنهـا ، وفي مختصر مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها من حـديث طويل فيـه : « قَـالَتْ : قلتُ : كيفَ أقولُ لَهُم يا رسولَ الله ؟ قال : السلامُ على أهْلِ الدِّيار مِنَ المؤمنينَ والمسلمينَ ويرحمُ اللهُ المُتَقَدمِينَ مِنَّـا والمُسْتَأخِرين وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ » . ١ : ١٣٤ .
(٧٩) هو رجل من الفزاريينَ (الحماسة بشرح المرزوقي ٣ : ١١٨١) وفيه :
إلاَّ يكنْ عظمي طَـويـلاً فـإنني ... لـه بـالخصـالِ الصـالحـاتِ وَصُولُ

معناهُ : فإذا لَمْ يَكُن جِسمي طويلاً فإنّني أطوّلهُ[1] بالأفعالِ الحِسانِ .
ولا يَصحُّ الشرط ههنا لأنّ قِصَرَ جسمه شيء قد كانَ وقعَ ، والشرطُ ههُنا محال .

ومثلُهُ قول الآخر(٨٠) :

فَإنْ أكُ قَدْ فَارَقْتُ نَجداً وأهْلَه   فَما عَهْدُ نَجْدٍ عِنْدَنَا بِذَميمِ

وأما وقوع إذا بمعنى إن فكقول أوس بن حجر(٨١) :

إذَا أنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الجَهْلِ والخَنَا   أصَبْتَ حَليماً أوْ أصَابَكَ جَاهِلُ

والإعراضُ عن الخَنا مُمكن أن يكون وممكن ألاّ يكون فَليسَ هَذا مِنْ مواضِعِ (إذا) وإنّما هو [١٣ ب] مِنْ مواضِعِ (إن) .

وأما ورودُ المدحِ في صورةِ الذّمّ فكَقَولهِم : أخْزاهُ اللهُ ما أشعرَهُ ، ولَعنَهُ الله ما أفصحهُ ! ، وقَولِ كعبِ بنِ سعد الغنوي(٨٢) :

---

١. في م : فإني أطوله ؛ وفي ط : فإني أُطيله .

---

(٨٠) لم أقف على قائله .

(٨١) الديوان : ٩٩ .

(٨٢) البيت من قصيدة كعب بن سعد الغنوي السابقة (ص ١٠٦) وهو في المفضليات والجمهرة : (يؤدي الليل) . وما أثبته المؤلف هنا كرواية الأمالي ٢ : ١٥٠ ، وسمط اللآلي : ٧٧٣ : (وهوت أمه دعاء عليه ، معناه التعجب كما تقول : قاتله الله !) الجمهرة . وأورده ابن فارس وقدم له : (فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ ، معناه كقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره ، فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه ، ومنه قولهم : هوت أمه وهبلته وثكلته) . قال كعب يرثي أخاه ... ص ١٦٩ . وقد أورد صاحب الخصائص في كتابه الآية : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ٤٩ من سورة الدخان (٤٤) في باب : (في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول ما لم يدع داع إلى الترك والتحوّل) ٢ : ٤٥٧ و ٤٦١ .

هوت أمُّه ما يبعثُ الصبحُ غـادياً　　ومـــاذا يردُّ الليــل حينَ يـؤوبُ

وذكرَ ابنُ جنّي : أن أعرابيـاً رأى ثـوبـاً فقـالَ : مـالَـهُ محقـه الله ؟! قـال : فقلتُ لـه : لم تقول هـذا ؟ فقـال : إنّـا إذا استحسَنّـا شيئـاً دَعوْنَـا عَلَيـهِ ! وَأَصْلُ هـذا أنَّهمْ يَكْرهـونَ أنْ يمدَحـوا الشّيءَ فيصيبُوهُ بـالعين ؛ فيعدِلُونَ عن مَدْحِهِ إلى ذمّه .

وأمـا وُرودُ الـذّمِّ في صُورة المَدْح ، فكقـولِـه تعـالى : ﴿ إنَّـكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيْدُ ﴾[٨٣] وقول الشاعر[٨٤] :

وقلتُ لِسيِّـــدِنـــا : يـــا حليـــ　　ـــمُ إنَّـك لم تَـأْسُ أَسْواً رفيقـاً

وأمـا التقليلُ الوارِدُ بصورةِ التكثير فنحـو قـولـك : (كَمْ بطـلٍ قتـل زيد ! وكم ضيف نَزَلَ عليه !) . وأنت تريـدُ أنـه لم يَقتل قَـطُّ بَطلاً[١] ولا قَرى ضَيفـاً قـط ، ولكنّـك تقصـدُ الاستهزاءَ بـه ، كما تقولُ للبَخيـل : يـا كريم ! وللأحمق : يا عاقل !

وأمـا التّكْثيرُ الوارِدُ بصورةِ التّقليل فنحو قولـك : (رُبَّ ثـوبٍ حَسنٍ

---

١. في م ، ط : بطلاً قط .

---

(٨٣) سورة هود ١١ : ٨٧ . والآية : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُد آبَاؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعلَ فِيْ أَمْوالِنَا مَا نَشَاءُ إنّكَ لأَنْتَ الحَليمُ الرَّشِيدُ ﴾ . قـال القرطبي (٩ : ٨٧) : قيل : إنهم قالوا كلامهم على وجه الاستهزاء والسخرية . وهـذا هو مـا ذهب إليـه ابن السِّيد هنـا . وقيل : إنهم قالوه على الحقيقة .

(٨٤) أورده ابن فـارس في بـاب مـا يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء قـال : (يقولـون للرجـل يُستجهل : يـا عـاقـل ! وأورد البيت : ٢١٤) . وفي كتـاب المسـائـل والأجـوبـة لابن السّيـد البطليوسي في باب الكلام على (رُبّ) وحقيقة وضعها ، وقد نشر الدكتور إبراهيم السـامرائي فقرات منه في مصنف (نصوص ودراسات عربية وإفريقية) ص : ١٧١ .

قد لبستُ ، وربّ رَجُلٍ عالم قد لقيتُ) . فتقلل ما لبستَ من الثّياب ومن لقيتَ من العُلماء تواضُعاً ، ليكون أجلَّ لكَ في النُّفوسِ ؛ لأنَّ الرجُلَ إذا حَقَّر نفسَه تواضُعاً ثم اختُبِر فوُجِدَ أعظمَ ممّا وَصَفَ به نفسَه عَظُمَ في النفوس ، وإذا تعاظَمَ وأنزلَ نفسه فوق منزلتِها ثم اختُبرَ فوُجِدَ أقلَّ ممَّا قال ، استُخِفَّ به وهان على[1] من كان يعظِّمه . وقد يُستعمل تقليل الشيء وهو كثير في الحقيقة لضروبٍ من الأغراضِ والمقاصد ، كالرجل يهدِّدُ صاحبَه فيقول : (لا تُعادِني فربَّما نَدِمتَ) . وهذا مكانٌ ينبغي أن تكثُرَ فيه النَّدامةُ وليس بموضعِ تقليل . وإنَّما تأويلُهُ أن النَّدامة على هذا لو كانت قليلةً لوجَبَ أن يتجنَّبَ ما يؤدي إليها ، فكيف وهي كَثيرةٌ ؟ فصارَ فيه من معنى المبالغة ما ليس في التكثيرِ لَوْ وقع ههنا .

ومن هذا قولُه تعالى : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسلمين ﴾[(٨٥)] .

وإنَّما تأتي (رُبَّ) بِمَعْنى التّكثيرِ في مَواضع الافتخار . والوجْهُ في ذلك أن المُفتخر يريدُ أنّ الأمرَ الذي يَقِلُّ وجودُه من غيره يكثُرُ وجودُه منه ، فيستعيرُ لفظَ التّقليل في موضعِ لفظ[2] التّكثيرِ إشارة إلى هذا المعنى وليكون أبلغ في الافتخار[3] .

---

1. في ط : على كل من .
2. في ط : في موضع التكثير .
3. العبارة السابقة كلها لم ترد في م .

---

(٨٥) سورة الحجر ١٥ : ٢ . (وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير أي يودّ الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين ، قاله الكوفيون . وقال بعضهم : هي للتقليل في هذا الموضع ، لأنهم لو قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب) . القرطبي ١٠ : ١ ـ ٢ .

وقد توهَّمَ قومٌ أن (رُبَّ) للتّكثير(٨٦) حين خَفِي عليهم ما ذكرناهُ [١٤ أ] من تداخُل المَعاني . وهذه غَفلةٌ شديدةٌ لأنَّا نجدُ المدحَ يخرجُ مُخرج الذمِّ ، والذمَّ يخرج مخرجَ المَدْح ، ولا يُخرجها ذلك عَنْ موضوعِها الذي وُضِعَا عليه في أصل وضعها . كما أنَّ الاسمَ العلمَ[1] الَّذي وُضِعَ في أصلِ وضعه للخصوصِ قد يعرضُ له العمومُ ، والنكرةُ التي وُضِعَتْ في أصل وضعها للعموم قد[2] يعرض لها الخصوص ، ولا يُبطل ذلك وضْعَهُما الذي وُضِعَا عليه أوّلاً . وإنّما ذلك لكثرةِ المَعاني وتداخُلِها واختلافِ الأغراض وتبايُنها ، فَمتى وجدتَ شَيئاً قد خالفَ أصلَهُ فإنّما ذلك لسببٍ وغَرضٍ ، فيجبُ لكَ أن تبحث عليه[3] ولا تتسرَّعْ إلى بعض الأصولِ دون تثبُّتٍ وتأملٍ .

فمن مشكل هذا الباب قول أبي كبير الهذلي(٨٧) :

أزهيرَ إنْ يَشبِ القَذالُ فإنَّني ... رُبْ هَيْضلٍ مَرِسٍ لففتُ بِهيضَلِ

زهير ههنا ترخيم زهيرة وهي ابنته فلذلك فَتَح الرَّاءَ[4] . و (رُبْ) ههنا مخففة من (ربَّ) .

---

1. في م : أن العلم .
2. في ن : وقد .
3. في ط : تبحث عنه .
4. لم ترد العبارة في م ، ن . وهي مثبتة من ط .

---

(٨٦) نسبه ابن هشام في المغني (١ : ١٤٣) إلى ابن درستويه وجماعة . قال : وليس معنى (ربّ) التقليل دائماً ، خلافاً للأكثرين ، بل تردُ للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً .

(٨٧) ديوان الهذليين ٢ : ٨٩ (يقول : يا زهيرة إن يشب القذال وهو ما بين الأذنين والقفا ، والهيضل والهيضلة واحد . وهم الجماعة من الناس يغزى بهم . مرس : ذو مراسة وشدة) .

وقول أبي عطاء السندي(٨٨) :

فَـإِنْ تُمْسِ مهجـورَ الفِنـاء فَرُبَّما أقـامَ بـهِ بعـدَ الـوفـودِ وفـودُ

والمرادُ بهـذينِ البيتينِ التّكثيرُ ولكنْ خرَجَـا مخْرجَ التقليـل ليكـون أمدح ، والمعنى أن هذا لو كان قليلاً لكان فيه فخرٌ لصاحبه فما ظنُّـك بـه وهو كثير ؟! ويحتملُ قولُ أبي عطـاء السِّنـدي أنْ يكـونَ أرادَ تقليـلَ مـدّة حيـاةِ المرثيّ[1] التي كَثُرَتْ فيها عليـه الوفودُ . فعلى نحـو هـذه التـأويـلات فتأوّل ما وردَ مخالفاً للأُصول .

وملاكُ هذا الباب معرفةُ الحقيقةِ والمَجاز ، وهو بابٌ يَـدِقُّ على من لم يتمهّرْ في هـذه الصِّنـاعـة فلـذلـكَ يُنكر كثيراً ممّـا هو صحيحٌ ، ولله درُّ أبي الطيب المتنبي حيثُ يقول(٨٩) :

وكَمْ مِنْ عـائبٍ قـولاً صحيحـاً وآفتُـــــهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقيمِ
ولكنْ تــأخــذُ الآذانُ منـــه على قَـــدْرِ القرائـــح والْعُلُــومِ

ومن طَريفِ المجاز العارض من طريق التركيب إيقاعُهم أدوات المعاني على السّبب ومرادهم المسبَّب تـارةً ، وتـارةً يوقِعُـونَهـا على المسبب ومرادُهم

1. في ن : حياة مدة المرثي .

(٨٨) البيت من حماسية لأبي عطاء السندي يرثي بها يزيـد بن عمر بن هبيرة (قتلـه المنصور ١٣٢) وبعده :

فــإنـــك لم تبعـــد على متعهــد بلى كل من تحت التراب بعيـــد

والمقصود بالوفود : الذين قصدوا إليه لقضاء حوائجهم ، ونيل الأُعطيات .

(٨٩) البيتان من قطعة له في الديوان (بشرح الواحدي : ٣٣٨) . وروايـة الـديوان بشرح العكبري (٤ : ١٢٠) : على قدر القريحة والعلوم .

السبب[٩٠] ، وإنما يفعلون هذا لتعلُّق أحدهما بالآخر . فمثال الأوّل قوله تعالى : ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٩١] ، فأوقعَ النَّهْيَ على الموت في اللفظ والموتُ ليس بفعلٍ لهم فيصحُّ نهيُهم عنه وإنما نهاهُمْ عَنْ مفارقة الإسلام ، فمعناهُ لا تُفارقوا الإسلامَ حتّى تَمُوتوا عَليه فأوقعَ النهيَ على الموت لأنه السببُ الذي من أجلِ توقّعهِ وخَوفه يلزمُ الإنسانَ أن يستعدَّ [١٤ ب] لورُودِه ويتأهّبَ له بصالحِ عمله ، والثّاني مثلُ قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[٩٢] وليس المرادُ إثباتَ شفاعةٍ غيرِ نافعةٍ لأنّه لا شَفاعة هناكَ في الحقيقة ، بدليلِ قوله تَعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِيْنَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[٩٣] فأوقعَ النَّفْيَ على المَنفعة التي هي المسببُ ، ومرادُه تعالى : الشفاعة ، التي هي السببُ فكأنَّهُ قالَ : فما تكونُ شفاعةٌ فتكون منفعةٌ . ونحوه قولُكَ : ما نَفَعنِي كلام زيدٍ . فهذا كلامٌ يحتمل معْنَيَيْن :

أحدهُما : أن تريدَ إثباتَ الكلام ونفيَ المَنفعة وحدَها .

والثاني : أنْ تريدَ نَفْيَهُما معاً . أي لم يكُنْ منه كلامٌ فتكونَ منفعةٌ .

ومن هذا الباب[1] قول امرئ القيس :

---

1. في ن : ومن هذا . في ط : ومثله .

---

(٩٠) انظر الخصائص لابن جني ٣ : ١٧٣ ـ ١٧٧ ، باب : في الاكتفاء بالسبب من المسبّب ، وبالمسبّب من السّبب .

(٩١) سورة البقرة ٢ : ١٣٢ . والآية : ﴿ ووصّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ يا بَنِيَّ إن اللهَ اصطفى لكم الدين فلا تَمُوتنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسلمونَ ﴾ .

(٩٢) سورة المدثر ٧٤ : ٤٨ .

(٩٣) سورة الشعراء ٢٦ : ١٠٠ ـ ١٠١ .

☆ عَلى لاحبٍ لا يهتدى بمناره(٩٤) ☆

ولم يُرِدْ إثباتَ المنار ونفيَ الهدايةِ به ولو كان ثَمَّ منارٌ لكانت ثَمَّ هدايةٌ وإنما المعنى ليسَ به منارٌ فتكونَ هِداية .

ومن هذا قول العرب : (لا أُرَيَنَّكَ ههنا) ، أي لا تكونَنَّ ههنا فإني أراك ! فالُمراد بالنَّهي الكونُ لا الرُّؤية .

ونحوُهُ قوله النابغة(٩٥) :

لا أعرِفَنْ رَبرَباً حُوراً مَدامِعُها كَأنَّ أبكارَها نِعاجُ دُوَّارِ

فعلى هذا مخرج هذا[1] الباب ، واللهُ أعلمُ[1] .

☆ ☆ ☆

---

٦. في م ، ط : فعلى هذا مجرى هذا الباب . ـــ (والله أعلم) من ط .

---

(٩٤) الديوان ٦٦ وتمامه :

عَلَى لاحبٍ لا يُهتَدى بِمَنَارِهِ إذَا سَاقَهُ العَوْدُ النُّبَاطيُّ جَرْجَرا

قال الأعلم : (قول لا يهتدى بمناره : أي ليس فيه علم ولا منار فيهتدى به ، يصف أنه طريق غير مسلوك فلم يُجعل فيه علم . واللاحب : الطريق البين الذي لحبته الحوافر أي أثرت فيه فصارت فيه طرائق وآثار مبيّنة . هذا أصله ثم يستعمل لكل طريق بيّن وخفي) . النباطي : المنسوب إلى النّبط ، وهو أشد الإبل وأصبرها . وقوله : إذا ساقه العود النباطي جرجرا ، يريد : إذا شمه المسنّ من الإبل القوي صوّت ورغا لبعده ، ولما يلقى فيه من مشقّة .

(٩٥) البيت في ديوانه بشرح البطليوسي : ٤٢ أوقع النهي على نفسه والمراد به غيره ، ومثله لا أراك ههنا أي لا تكن بمكان أراك فيه . فمعنى البيت : لا تكونوا بمكان تسبى فيه نساؤكم فأعرف ذلك فيهم . وابن السكيت : ٨٢ وفيه : كأنهن نعاج حول دوار . وورد البيت في المغني ١ : ٢٧١ ، وقال معلقاً : (وهذا النوع مما أقيم فيه المسبب مقام السبب) .

البَابُ الثَّالِثُ

في الخلاف العارض من جهَة الإفراد والتركيب

هذا باب طريفٌ جداً وقد تولّدتْ منهُ بين الناسِ أنواعٌ كثيرةٌ من الخلاف ، وهو بابٌ يحتاجُ إلى تأمُّلٍ شديد ، وحِذْق بوجوهِ القِياس ، ومعرفة تركيب[1] الألفاظ ، وبناء بعضِها على بَعض ؛ وذلكَ أنكَ تجد الآيةَ الواحدةَ ربَّما استَوْفتْ الغرضَ المَقْصُودَ بها من التعبُّد فلم تُحوجك إلى غيرِها ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكم ﴾(١) . و ﴿ يَا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا آمِنُوا باللهِ وَرَسولِه ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَأطِيْعُوا اللهَ وَأطِيْعُوا الرَّسُول ﴾(٣) ، فإنَّ كل واحدةٍ من هذه الآيات قائمةٌ بنفسها مُستوفيةٌ الغَرضَ[2] المُرادَ منها من التعبّد[2] . وكذلك الأحاديثُ الواردة كقوله عليه الصلاة والسلام[3] : « الزَّعِيم غارِمٌ »(٤) ، و « الْبَيِّنَةُ على الْمُدَّعِي واليمينُ على المُدَّعى عَلَيه »(٥) . ورُبَّما وردت الآية غير مُستوفيةٍ

1. (تركيب) لم ترد في ط .
2. في م ، ط : للغرض . ـــ في م : المراد بها من التعبّد .
3. في م ، ط : كقوله .

(١) سورة النساء ٤ : ١ . الآية : ﴿ يَا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِساءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرحامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٣٥ . الآية : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَاب الَّذي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَالكِتَاب الَّذي أَنْزَل مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُر باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ .

(٣) سورة التغابن ٦٤ : ١٢ . الآية : ﴿ وَأطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ المبينُ ﴾ .

(٤) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه كلهم من حديث أبي أمامة قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخطبة عام حجة الوداع : العارية مؤداة والزعيم غارم والدين مقضيّ » . قال أبو عيسى : وفي الباب عن سمرة وصفوان بن أمية وأنس . قال : وحديث أبي أمامة حديث حسن غريب . الترمذي ٣ : ٥٦٥ ، ابن ماجه : ٨٠٤ ، أبو داود ٣ : ٤٠٢ .

(٥) أخرج الإمام الترمذي الحديث بهذا اللفظ في كتاب الأحكام من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . الجامع الصحيح ٣ : ٦٢٦ .

للغرضِ المُرادِ من التَّعبد وَوَرد تمامُ الغرضِ في آيةٍ أُخرى ، وكذلكَ الحديث . كقوله تعالى : ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ ومَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْها ومَا لَهُ في الآخِرَةِ من نَصيبٍ ﴾(٦) . [١٥ أ] فظاهر هذه الآيةِ أنَّ مَن أرادَ حَرْثَ الدُّنيَا أُوتِي منها ، ونحنُ نُشاهدُ كثيراً مِن النَّاس يَحرِصُون على الدُّنيا ولا يُؤتَوْنَ منها شيئاً[1] .

فهو كلامٌ محتاجٌ إلى بيانٍ وإيضاحٍ . ثم قال في آيةٍ أُخْرى : ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فيها ما نَشَاءُ لِمن نُرِيدُ ﴾(٧) فإذا أُضيفتْ هذه الآيةُ إلى الآية الأولى بانَ مُرادُ الله تعالى وارتفع الإشكال . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإذا سَألكَ عِبادي عنِّي فإنِّي قريبٌ أُجيبُ دَعْوة الدَّاعي إذا دَعَانِ ﴾(٨) ونحنُ نَرى الدّاعي يَدْعُو فلا يُستجابُ له . ثم قال في آيةٍ أُخرى : ﴿ بل إيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إلَيْهِ إنْ شَاءَ ﴾(٩) فدلَّ اشتراطُ المَشيئةِ في هذه الآيةِ الثَّانية على أنه مُرادٌ في الآية الأولى .

وربَّما وردتْ الآيةُ مُجْملةً ثم يُفَسِّرُها الحديث ، كالآياتِ الواردة مُجْملةً في الصّلاةِ والزّكاةِ والصِّيامِ والحَجِّ ؛ ثم شَرحتِ السُّنةُ والآثارُ جميع

---

1. في م ، ط : شيئاً منها .

---

(٦) سورة الشورى ٤٢ : ٢٠ .

(٧) سورة الإسراء ١٧ : ١٨ . الآية : ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ ، عَجَّلْنا لَهُ فيها مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا له جهنّم يصْلاها مَذْمُوماً مدْحُوراً ﴾ .

(٨) سورة البقرة ٢ : ١٨٦ . الآية : ﴿ وَإذا سَألك عِبَادِي عَنّي فإنِّي قَرِيبٌ أجيبُ دَعْوةَ الدّاع إذا دَعَانِ ، فليَستَجِيبُوا لِيْ وليُؤمِنُوا بِي لَعَلَّهمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

(٩) سورة الأنعام ٦ : ٤١ . الآية : ﴿ بَلْ إيَّاهُ تَدْعُونَ فيَكْشفُ مَا تَدْعُونَ إلَيْهِ إنْ شَاءَ وتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ .

ذلك ، كقوله تَعالى : ﴿ واللاَّتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأمْسِكُوهُنَّ في الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْت أو يَجْعَلَ الله لَهُنَّ سبيلاً ﴾(١٠) ، ثم قال ﷺ : « خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً : الْبِكرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِئَةٍ وتغريبُ عام والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مئةٍ والرَّجم »(١١) ولأجلِ هذا صار الفقيهُ مُضْطراً في استعمالِ القِياسِ إلى الجمعِ بينَ الآيات المفترقة والأحاديث[1] المتغايرَةِ ، وبناء بَعْضِها على بعض .

ووجهُ الخلافِ العارضِ من هذا الموضعِ أنه رُبَّما أخذَ بعضُ الفقهاء بمفردِ الآية ، وبمفردِ[2] الحديث ، وبنى آخرُ قياسَه على جهةِ التركيب الَّذي ذَكرنا ؛ بأنْ يأخذَ بمجموعِ آيتين ، أو بمجموعِ حديثين ، أو بمجموعِ آياتٍ ، أو بمجموعِ أحاديث ، فيفضي بها الحالُ إلى الاختلافِ فيما يَنتحلانه[3] ، وربَّما أفضتْ بها الحالُ إلى التناقض فأحلَّ أحدُهما ما يحرّم الآخرُ[4] ، وربما أفضى بها الأمر إلى اختلافِ العَقائد فَقطْ ، وربَّما أفضى بها إلى الاختلافِ في الأسبابِ فقط ، كاختلافِهم في سبب تحريم الخمر : فإنَّ قوماً يستدلُّون على وُجوبِ تحريمِها بمجرَّدِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ

1. في م ، ط : وبين الأحاديث .
2. في م ، ط : أو بمفرد .
3. في م ، ط : ينتجانه .
4. لم ترد العبارة في ن .

(١٠) سورة النساء ٤ : ١٤ .

(١١) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت بتكرار قوله : خذوا عني . وقوله : والنفي سنة : ٣ : ١٣١٦ ، وأخرجه بنحوه الدارمي ٢ : ١٨١ ، وابن ماجه ٢ : ٨٥٢ . وفي كتاب التفسير للبخاري (سورة النساء) قال ابن عباس : لهن سبيلاً يعني الرجم للثيب والجلد للبكر .

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[١٢] . وقومٌ يستدلّون على وجوب تحريمها[1] بمجرد قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إنَّما الْخَمْرُ وَالْميسرُ وَالأنْصَابُ وَالأزْلاَمُ رجسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لعَلَّكُم تُفْلِحونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أنتُم مُنتَهونَ ﴾[١٣] . وقوم يرون ذلك بطريق التركيب وبناء الألفاظ [١٥ ب] بعضها على بعض وذلك أنه لمّا قالَ تباركَ وتَعالى : ﴿ يَسألُونكَ عَنِ الخَمرِ وَالَميسرِ قُلْ فِيهمَا إثمٌ كبيرٌ وَمَنَافِعُ للنَّاسِ ﴾[١٤] ، ثم قالَ في آيةٍ أُخْرى : ﴿ قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ وَالإِثْمَ ﴾[١٥] تركّبَ من مجموعِ الآيتين قياسٌ أنتجَ تحريمَ الخَمرِ ، وهُوَ أنْ يقالَ : كلُّ إثم حرام ، والخمر إثم ، فالخمر إذن حرام . والإثم من أسماء الخمر ، وأنشد اللغويون[١٦] :

شربتُ الإثمَ حتّى زالَ عقلي كذاكَ الإثمُ يذهبُ بالعُقول

1. في م ، ط : يستدلون عليه بمجرد .

(١٢) سورة الحشر ٥٩ : ٧ . الآية : ﴿ مَا أفَاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبى وَاليَتامى وَالمسَاكِين وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لا يَكونَ دُولَةً بَيْنَ الأغنياءِ مِنْكُم وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخذُوهُ وما نهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، واتَّقُوا الله ، إنَّ اللهَ شديد العقاب ﴾ .

(١٣) المائدة ٥ : ٩٠ ـ ٩١ . ونصها : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إنَّما الخمْرُ والَميسرُ وَالأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيطانِ فاجْتَنِبوه لَعَلكمْ تُفْلحُونَ إنَّما يُريدُ الشَّيطَانُ أنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضاءَ في الخمْرِ والمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعن الصَّلاةِ فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهونَ ﴾ .

(١٤) البقرة ٢ : ٢١٩ . والآية : ﴿ يسألونكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للنَّاسِ وَإثمُهُما أكبَرُ مِنْ نَفْعِهما ويَسألُونَكَ مَاذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفكَّرُونَ ﴾ .

(١٥) سورة الأعراف ٧ : ٣٣ . الآية : ﴿ قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّي الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحقِّ ، وَأنْ تشركوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَأنْ تَقُولُوا على اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

(١٦) قال في اللسان (أثم) : والإثم عند بعضهم الخمر ، قال الشاعر : =

ومثل هذا قولُه تعالى فيما حكاه عن قوم لوط : ﴿ أتأتُون الفَاحشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أحَدٍ مِنَ العَالَمين ﴾(١٧) ثم قال في هذه الآية التي ذكرناها : ﴿ قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنها وما بَطن ﴾ ، فتركّبَ من مَجموع الآيتينِ قياسٌ وهو : كُلّ فاحشةٍ حرامٌ ، وفعلُ قوم لوط فاحشةٌ ، ففعلُ قومِ لوطٍ إذاً حرامٌ . فعلى مثل هذا أنتجت النتائج وركّبت القياسات .

ووَقع بين أصحاب القِياس الخلافُ بحسب تقدُّم القياسِ أو بحسب تأخُّره .

وخالَفَهُمْ قومٌ آخَرون لم يَروا القياسَ ، ورأوا الأخذَ بظاهرِ الألفاظِ فَنشأ من ذلكَ نوعٌ آخَرُ من الخِلاف .

ومما اختلفتْ[1] فيهِ أقوالُ الفُقهاء لأخذِ كلّ واحدٍ منهم بحديثٍ مُفرد اتّصل به ولم يتصل به سواه ، ما روي عن عبد الوارث بن سعيد أنه قال : (قدمتُ مكّةَ فألفيتُ فيها[2] أبا حنيفةَ فقلتُ له : ما تقولُ في رجلٍ باع بَيعاً وشرَط شرطاً ؟ فقال : البيعُ باطلٌ والشّرطُ باطِل . فأتيتُ ابن أبي

1. في ط : اختلف .
2. في ط : بها .

= شربتُ الإثم حتى ضلَّ عقلي كذاك الإثم تذهبُ بالعقول
ونقل قول ابن سيده : إنه إنما سمّاها إثماً لأن شُربها إثم .
قال ابن منظور : قال أبو بكر : وليس الإثم من أسماء الخمر بمعروف ، ولم يصح فيه ثبت صحيح . قلت : والوجه ما قاله ابن سيده .

(١٧) سورة الأعراف ٧ : ٨٠ . الآية : ﴿ وَلُوطاً إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أتأتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أحَدٍ مِنَ العَالَمينَ ﴾ .

لَيلى فسألتُـه عن ذلـك فقـال : البيعُ جـائز والشرطُ بـاطل . فـأتيتُ ابنَ شُبرمـة فسـألتُـه عن ذلـك فَقَـال : البيعُ جـائزٌ والشّرطُ جـائز . فقلتُ في نَفسي : يا سبحانَ[1] الله ! ثلاثَةٌ من فُقَهاءِ العِراق لا يَتّفقونَ على مَسألـة ! فعُدتُ إلى أبي حنيفةَ فأخبرتُهُ بما قال صاحِباهُ ، فقال : مـا أدري مَـا قـالا لك ؛ حدثني عَمرو بن شُعيب عَنْ أبيهِ عن جـدّه قـال : (نَهى رسولُ الله ﷺ عَن بيعٍ وشرط)[١٨] فالبيعُ باطِلٌ والشّرطُ باطل . فَعُدتُ إلى ابن أبي ليلى فأخبرتُه بما قـالَ صـاحبـاهُ فقـال : مـا أدري مَـا قـالا لـكَ . حـدّثني هشامُ بن عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنهـا قـالتْ : (أمَرَني رسولُ الله ﷺ أنْ أشتري بريرَة فَأعتِقَها)[١٩] البَيعُ جائزٌ والشرطُ باطلٌ . قال : فَعُدت إلى ابن شبرمة فأخبرتُه بما قالَ [١٦ أ] صاحباه فقال : ما أدْري مـا قالا لك . حَدثني مِسْعَر بن كـدام عن محـاربٍ بن دثـارٍ عن جـابرٍ قـال : (بِعْتُ النبي ﷺ بعيراً وشرَطَ لي حُملانـه إلى المـدينـة)[٢٠] البيـع جـائـز والشرطُ جائزٌ) .

---

1. في ط : سبحان .

---

(١٨) قـال رسول الله ﷺ : « لا يحل سلف وبيع ولا شرطـان في بيع ... الحـديث » . رواه الخمسة وصححه الترمذي وابن خزيمة والحـاكم . وأخرجـه الحـاكم بلفـظ : « نهى عن بيع وشرط » ومن هـذا الوجـه أخرجـه الطبراني في الأوسـط . وهو غريب . (سبل السلام ٣ : ١٦ . ولموضوع الشروط في البيع والعتق : إرشاد الساري ٦ : ٦٨) .

(١٩) وانظر في حديث عتق السيدة عائشة لبريرة ، إرشاد الساري ٦ : ٧٦ فما بعدها . وسبل السلام ٣ : ١٠ ، ومسلم : ٦٧١ ، الدارمي ٢ : ٢٥٣ ، النسـائي ٧ : ٣٠٠ ، وصحيح البخـاري (طبعة استانبول) ٣ : ١٢٩ .

(٢٠) ورد الحـديث في (مسلم) من حـديث جـابر من طرق أخرى غير التي أشار إليهـا المـؤلف . وفيها أن النبيّ ﷺ قال له : « قد أخذت جملك بـأربعـة دنـانير ولـك ظهره إلى المـدينـة » ، انظر قصة الحديث وسائر رواياته في مسلم : ١٢٢١ ـ ١٢٢٤ .

وقد تَرِدُ الآيةُ والحديثُ[1] بلفظٍ مُشْتَرَكٍ يَحتملُ تأويلاتٍ كَثيرة ؛ ثم تَرِدُ آيةٌ أُخرى أو حَديثٌ آخر بتخصيصِ ذلكَ اللّفظ المشتَرك وقَصْرِهِ على بعضِ تلكَ المَعاني دونَ بعض ، كقولـه عَزَّ من قائل : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ﴾(٢١) فإن لَفْظَة الضَّلال[2] لَمّا كانت مُشتركة تقعُ على معانٍ كثيرة توهَّم قوم ممّن لم يكنْ له فهمٌ صحيح بالقرآن ولا معرفة ثاقبة باللسان أنه أراد الضلال الذي هو ضد الهدى فزعموا أنهُ كانَ على مذهب[3] قومه أربعين سَنَةً ، وهذا[3] خطأ فاحشٌ ، نعوذ بالله من اعتقاده فيمَن طَهَّرَه الله تعالى لِنُبُوَّتِهِ وارتضاهُ لِرسالته ، ولو لم يكنْ في القرآن العزيزِ ما يَرُدُّ قولَهم لكان فيما وردَ من الأخبارِ المتواترةِ ما يَرُدُّ عليهم ، ذلك لأنه قد[4] رُويَ أنهم كانُوا يُسَمّونه في الجاهلية (الأَمينَ) وكانوا يرتَضُونه حَكَماً لهم وعَلَيْهِمْ . وكانتْ عندهم أخبارٌ كثيرةٌ يَرْوُونها وإنذاراتٌ[5] من أَهل الكتابِ والكُهّانِ بأنّهُ يكون نبياً ، ولولا أنّ كتابنا هذا ليسَ موضُوعاً لها لاقْتَصصناها ، فيكفَ والقرآنُ العزيزُ قد كَفانا هذا كله بقوله عَزَّ وجلّ[6] في سُورة يوسُفَ عليه السلام[6] : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِليكَ هذا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾(٢٢) ، فهذا نصٌّ جليٌّ في شرح ما وَقع في تلك الآيةِ من الإبهام وبيَّن أيضاً[7] أنه تعالى إنما أرادَ الضَّلال

1. في م ، ط : أو الحديث .
2. في ن : الضلالة .
3. في ط : دين قومه ـــ وهو خطأ .
4. في ط : لأنه روي .
5. في م ، ط : وإنذار .
6. في م ، ط : عزّ من قائل . ـــ (عليه السلام) زيادة من ط .
7. في م ، ط : في موضع آخر .

(٢١) سورة الضحى ٩٣ : ٧ .

(٢٢) سورة يوسف ١٢ : ٣ . في تفسير القرطبي ٩ : ١٢٠ (أي من الغافلين عما عرفناكه) .

الذي هو الغَفْلَةُ كما قـال في مَوْضِعٍ آخر : ﴿ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى ﴾(٢٣) أي لا يغفل . وقـال تعـالى[1] : ﴿ أنْ تَضِـلَّ إحْـداهُمَـا فَتُـذكِّرَ إحْـداهُمَـا الأُخْرَى ﴾(٢٤) أي تَغفل وتنسى[2] ، وقالت الصُّوفيـةُ : مَعنـاه[2] : ووجـدك محبّاً في الهُدى فَهداك . فتأوّلُوا الضَّلال هنا بمعنى المحبّـة . وهـذا قولٌ حَسن جدّاً ، وله شاهِدٌ من القُرآن واللُّغة .

أما شـاهـده من القرآن فقولـه تعـالى فيما حكاه[3] مِن قول إخْوَةِ يُوسف لأَبيهم : ﴿ تَالله إنَّـكَ لَفِي ضَلاَلِـكَ الْقَـدِيمِ ﴾(٢٥) إنّما أَرادُوا بـالضَّلال هُنـا إفراطَ مَحَبَّتِه في يُوسف عليـه السلام ، وعلى جميعهم[4] . وأمّـا شـاهِـدُه من اللُّغـة فـإنـه جـائِزٌ في مَـذاهب العَرب أن تسمّى المحبّـة ضَلالاً ، لأن إفراط المحبّـة يَشغَـلُ المحبَّ عن كلِّ غَرضٍ ويحمِلُـه على النِّسيـانِ والإغفـال لكلِّ واجبٍ مُفْتَرض ؛ ولـذلِـكَ قِيـلَ : (الْهـوَى يُعمي ويُصِمّ)(٢٦) . فَسُمّيت

1. في م ، ط : وقال .
2. في م ، ط : أي وتغفل . ـــ كلمة (معناه) لم ترد في ن .
3. في م ، ط : فما حكاه الله تعالى من .
4. في م ، ط : صلى الله عليهم أجمعين .

(٢٣) سورة طه ٢٠ : ٥٢ . والآية : ﴿ قال عِلمُها عِنْدَ ربِّي في كِتابٍ لا يَضِلّ ربِّي ولاَ يَنْسى ﴾ .
(٢٤) سورة البقرة ٢ : ٢٨٢ . وجاء في الآيـة : ﴿ ... واستَشْهِدُوا شَهيدَينِ مِنْ رِجالِكُم فإنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَين فَرَجُلٌ وامْرأتـانِ مِمّن ترضَوْن من الشُّهَـداء أنْ تَضِلَّ إحْـداهـا فَتُـذكِّر إحـدَاهـا الأخرى ﴾ .
(٢٥) سورة يوسف ١٢ : ٩٥ . والآية : ﴿ قَالُوا تَاللهِ إنَّكَ لَفي ضَلاَلِكَ الْقَديمِ ﴾ .
(٢٦) نقل في كشف الخفا (١ : ٤١٠) عن المقاصد الحسنـة للسخـاوي في حـديث : (حبـك الشيء يعمي ويصم) قـال : رواه أبو داود والعسكري عن أبي الـدرداء مرفوعـاً ومـوقـوفـاً . والـوقف أشبه .
وقيل في معناه : إن النبي ﷺ أراد أن من الحب مـا يعميـك عن طريق الرشـد ويصمـك عن استماع الحق . وقيـل معنـاه : أن العين تعمى عن النظر إلى مسـاوئـه وتصمّ الأذن عن استعمال العذل فيه . وقيل معناه : يعمي ويصم عن الآخرة .

المحبةُ ضَلالاً إذ كانت [١٦ ب] سَبَب[1] الضَّلال على مَذاهبهم في تَسمية الشّيء باسم الشّيء إذا كان منهُ بسَبب .

ومن هذا الباب قولُه سُبحانه[2] وتَعالى في سورة نوحٍ عليه السلام : ﴿ أنِ اعْبُدُوا اللهَ واتّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لكُمْ مِنْ ذُنُوبكُم وَيُؤخّرْكُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمّى ﴾(٢٧) والأجَلُ قد علمنا أنه لا تأخيرَ فيه . وقد بيَّن ذلك بقولِه في عقبِ الآية : ﴿ إنَّ أجَلَ اللهَ إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ ﴾ ، وقال في موضعٍ آخر : ﴿ فَإذا جاءَ أجَلُهُمْ لا يَسْتأخِرون سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٢٨) ، فوجَب أن يُنظر في مَعنى هذا[3] التأخير ما هو ؟ ثم وجَدنا هذه الآيةَ المبهمةَ المُجملة قد شَرحَتْها آيةٌ واضحةٌ مُفصَّلةٌ كَفَتْنَا التأويلَ ، ولم تحوجْنَا إلى طَلب الدَّليل ، وهي قولُه تعالى في أوَّل سُورة هُود عليه السلامُ : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إلى أجَلٍ مُسَمّى ﴾(٢٩) فدلّت هذهِ الآيةُ على أنّه إنما أرادَ بتأخيرِ الأجل التّمتيعَ الحسَنَ[4] ، لأنَّ التّمتيعَ الحسنَ يجتمعُ[5] فيه الغِنى ، والسَّلامة

1. في ط : تَسبّب .
2. في ن : قوله تعالى .
3. في ط : في معنى التأخير .
4. في ن : لم ترد كلمة (الحسن) .
5. في ن : يجمع فيه .

(٢٧) سورة نوح ٧١ : ٣ ـ ٤ . الآية : ﴿ أنِ اعْبُدُوا اللهَ واتّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ، يَغْفِرْ لكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إلى أجَلٍ مُسَمّىً ، إنَّ أجَلَ اللهِ إذا جَاءَ لاَ يُؤخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

(٢٨) سورة النّحل ١٦ : ٦١ . الآية : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أجلٍ مُسَمّى فَإذا جَاءَ أجَلُهُمْ لا يستأخِرون سَاعةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

(٢٩) سورة هود ١١ : ٣ . الآية : ﴿ وَأنْ اسْتغفروا رَبّكُمْ ثُمّ تُوبُوا إلَيْهِ يُمتعكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إلى أجَلٍ مُسَمّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإنْ تَوَلَّوْا فإني أخَافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ .

من الآفاتِ ، والعزُّ ، والذِّكرَ الحَسَنَ . والعربُ تُسَمِّي هذه الأشياءَ كلها زيادةً في العُمر وتُسَمِّي أضدادَها وخلافها نُقصاناً من العمر . وقد جاءَ في بعضِ الحَديث : « أنَّ مُوسَى عليه السلام شكَا إلى الله تَعالى بعدوٌّ له فأوحى الله تَعالى إليه : أنّي سأميتُه . فلَمَّا كانَ بعد زَمنٍ رآهُ فقيراً ينسجُ الْحَصِير ، فقال : يا رَبِّ أَلَمْ تعدني أنْ تُميتَه ؟ فقالَ : أوَ لَيْسَ قَدْ أفْقَرْتُه ؟ » .

وقد تَعيّن علينا في هذا الموضِع أن نذكرَ عَلى كَمْ مَعنىً يتصرَّفُ الحياة والموت في اللسان العربي ليتبيّنَ[1] ما ذكرناهُ بشواهِدِهِ حتّى لا يَبقى فيهِ لطاعنٍ مطعنٌ ، بحول الله تَعالى .

اعلمْ أنَّ **الحياةَ والموتَ** لَفظتانِ مُشتركتانِ مُستعملتانِ[2] في **اللُّغَةِ العربيّة** على ثلاثَة عشَر وجهاً : أحدها الوجودُ والعَدم ، والثاني مقارنةُ النفس الحيوانية الأجسام[3] ومفارقَتُها إياها ، والثّالث العزُّ والذُّل ، والرابع الغِنى والفَقر ، والخامس الهُدى والضَّلال ، والسادس الجهل والعلم[4] ، والسابع الحركةُ والسُّكون ، والثامن الخِصْبُ والجَدب ، والتاسع اليَقظةُ والنَّوم ، والعاشر اشتعالُ النّار وخُمودُها ، والحادي عشر المَحبَّةُ والبَغضاء ، والثاني عشر الرُّطوبة والْيَبْس[5] ، والثالث عشر الرجاءُ والخوف [١٧ أ] . ونحن نورد على كل وجه من هذه الوجوه أمثلة تشهد بصحة ما قلناه إن شاءَ الله تعالى .

---

1. في م ، ط : ليبيّن .
2. في م ، ط : تستعملان .
3. في م ، ط : للأجسام .
4. في م ، ط : العلم والجهل .
5. في ن : التيبس . ورجحت رواية النسخ الأُخرى ؛ وسترد (اليبس) في التّفصيل .

أما الحياةُ والموتُ المرادُ بها مُقارنةُ النّفوسِ للأجسام ومُفارقَتها إيّاها فشُهرتها تُغني عن إيرادِ مثالٍ لها .

أما الوجودُ والعَدمُ فكقولهم للشّمسِ ما دامتْ موجودةً حيّةً ، فإذا عُدمتْ سمّوها مَيتة . قال ذو الرّمّة[٣٠] :

فَلَمّا رأينَ الليلَ والشّمْسُ حَيّةٌ حياةَ الّذي يَقضي حُشاشةَ نازعِ

شَبّه الشّمسَ عند غرُوبها بالحيِّ الذي يَجُودُ بنفسه عندَ الموت . وهو من التّشبيه البَديع .

وقال آخر :

إذا شئتُ أدّاني صَرُومٌ مُشيّعٌ مَعي وَعَقامٌ تَتّقي الْفَحْلَ مُقْلِتُ
يَطُوفُ بِها مِنْ جانِبَيْها ويَتّقي بِها الشّمْسَ حَيٌّ في الأكارِعِ مَيّتُ[٣١]

يريدُ ظِلّها في نصفِ النهار . أرادَ أنّهُ موجودٌ في الأكارعِ مَعْدُومٌ من[1] سائر الجسم .

وأما العز والذل ، والغِنى والفقر[2] ، فَنحوُ ماقدمناهُ من حديثِ

---

1. في ط : في سائر .
2. في م ، ط : الفقر والغنى .

---

(٣٠) البيت من قصيدة طويلة في الديوان : ٤٥٢ . يقول : بقي من الشمس مثل ما بقي من الذي ينزع عند الموت . قال ابن المعتز : إن قوله : (والشمس حية) من بديع الاستعارة .

(٣١) لم أقف على قائل البيتين . والصروم : الناقة التي لا ترد النّضيح (الحوض) حتى يخلو لها ؛ تنصرم عن الإبل - وأقلتت المرأة والناقة كانت مقلتاً ومقلاتاً ، وهي التي تلد واحداً ثم لا تلد - وناقة عقام : بازل شديدة . والأكارع والأكرع : (جمع كراع) ، وهي القوائم .

مُوسى عليه السّلام ، ونحو ما رُوي عَنْ رسولِ الله ﷺ من قوله[٣٢] : « مَنْ سَرَّهُ النسأ في الأَجل ، والسَّعةِ في الرّزقِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » ، ومنه قولُ الشَّاعِرِ[٣٣] :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَراح بِمَيتٍ ... إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاء

إنما الْمَيْتُ مَنْ يعيشُ كَئِيباً ... كاسِفاً بالُه قَلِيلُ الرَّجَاء !

وقال آخر[٣٤] :

فأثْنُوا عَلَيْنا لاَ أَبا لأَبيكُمُ ... بأفعالنا إنَّ الثناءَ هُوَ الْخُلْدُ

وقال آخر[٣٥] :

وكانَ أبو عمرو مُعاراً حياتَهُ ... بعمروٍ فلمّا ماتَ ماتَ أَبُو عَمْرو !

يقول : كان ابنُه عمرو يُحيي ذكرَه ، فكأنّه حَيّ ، فلما ماتَ انقطَع ذكرُه ، فكأنه إنما مات حينئذ .

---

(٣٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ في مسلم : « من سرّه أن يُبسط عليه رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه » . صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، وصحيح البخاري ، كتاب البيوع . وانظر تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني على الحديث في مختصر صحيح مسلم ١ : ٢٣٠ . وانظر أيضاً روايات أخرى للحديث في الفتح الكبير ٢ : ١٨٨ .

(٣٣) البيتان من أصمعية لعديّ بن رعلاء الغسّاني (الأصمعيات : ١٥٢) من أبيات قالها في شأن يوم أباغ ، وهو يوم للغساسنة على المناذرة . قال المحققان (أ . شاكر ، أ . هارون) : (والبيتان في شأن من تدعه الحرب سلماً معافى في ثياب من الذل والخزي ، فحياته ليست إلا موتاً . ولكن البيتين سارا بعد ذلك مسير المثل والحكمة الخالدة لكل حياة ذليلة رخيصة) .

(٣٤) البيت من قطعة للحادرة يفتخر فيها بنصر قومه بني ثعلبة بن سعد وحلفائهم على تميم وأحلافهم في يوم كفافة . وروايته في الأغاني (٣ : ٢٧٠) : بإحساننا إن الثناء هو الخلد . والحادرة (أو الحويدرة) هو قطبة بن أوس ، شاعر جاهلي مقلّ . والحادرة ـ لغة ـ الضخم .

(٣٥) لم أقف على قائله .

وأما ما يُرادُ به **الهدى والضلالُ ، والعلمُ والجهلُ** ، فكقوله تعالى[٣٦] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اسْتَجِيبُوا للهِ وللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ ﴾[٣٧] المعنى : أو مَن كانَ ضالاً فهديْنَاهُ ، وجاهِلاً فعلَّمناه .

وتقولُ العرب للذكي النبيه : حيٌّ ، وللبَليد الغبيّ : ميتٌ !

وقال لقمانُ لابْنِه[٣٨] : (يا بني جالِسِ العلماءَ وازحَمْهمْ بركُبَتَيْكَ فإنَّ اللهَ يُحْيِي القلبَ الميتَ بالكلمةِ من الحكمةِ يَسْمعها كما يُحيي الأرض بالمطر) .

وأمّا [١٧ ب] **الحياةُ والموتُ** المرادُ بهما **الحركةُ والسُّكونُ** فنحوُ قولِ الرَّاجز[٣٩] :

قَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ تَمُوتَ[1] الرِّيحُ فأرْقُدُ اليومَ وأستريحُ

فجعَل هُبوبَ الرِّيحِ حياةً ، وسكونَها موتاً .

---

1. في ط : يموت .

---

(٣٦) سورة الأنفال ٨ : ٢٤ . والآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنوا اسْتَجِيبوا للهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعَاكم لِمَا يحييكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يحولُ بينَ المرء وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إليْه تُحْشَرُونَ ﴾ .

(٣٧) سورة الأنعام ٦ : ١٢٢ . والآية : ﴿ أَوَ مَنْ كانَ ميْتاً فأحيَيْناهُ وجَعَلنَا لَهُ نوراً يمْشِي بهِ في النَّاس كَمنْ مَثَلهُ في الظُّلمات ليْسَ بِخَارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ للكافِرينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(٣٨) النص في العقد ٣ : ١٥٢ ـ ١٥٣ . وعبارته ثمة : (يا بنيّ زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرضُ الميتة بمطر السماء . ولقمان هو لقمان الحكيم) . (انظر فيه تفسير القرطبي ١٤ : ٥٩ ـ ٦١) .

(٣٩) في لسان العرب (نشر) : ـ ولم ينسبه ـ :

إني لأرجو أن تموت الريح فأقعد اليوم وأستريحُ

وقال المجنون(٤٠) :

يَمُـوتُ الْهـوَى منّي إذا لَقِيتُهـا ويَحْيَـا إذَا فَـارَقْتُهـا فيعـودُ !

وقالَ آخر :

ومَجْلُودةٍ بـالسَّـوطِ فيـه[1] حيـاتُهـا فإنْ زالَ عنها الجلدُ بالسَّوطِ ماتت

يعني الدّوّامة(٤١) .

وأما ما يُرادُ به **الخِصْبُ والجَدب** ، فإنَّ العربَ تَقُولُ : أتيتُ الأرضَ فـأحييتُهـا إذا وجَـدتهـا مُخصبـة . ويقـال : (أرض حَيّـةٌ) أي بـالهـاء ، و (أرض ميتٌ) أي بغير هـاء ؛ قـال الله تَعَـالَى : ﴿ وَأَحْيَيْنَـا بِـهِ بَلْـدَةً مَيْتاً ﴾(٤٢) وقَال الراجزُ(٤٣) :

أَقْبَـلَ سَيْـلٌ جَـاءَ مِنْ أَمْرِ الله يَحْرِد حَرْدَ الْحَيَّـةِ المغلَّـهْ

قال بعضُ أصحابِ المَعاني : أرادَ بالحيّةِ الأرضَ المخصبـة . والمُغلـةَ ذاتُ الغَلّة ، ويَشهـد[2] لهـذا التّـأويلِ روايـةُ مَنْ رَوى : الجَنّـة بـالجيم والنون . وقـال آخرون : إنما أراد الحيـة نفسهـا . والمُغِلّـة : ذات الغل ، والحقـد .

---

1. في ن : فيها . ورجحت رواية النّسخ الأخرى .
2. في ط : وتشهد .

---

(٤٠) البيت لجميل بثينة من أبيات له مشهورة . (الديوان : ٦٧) .

(٤١) قال في اللسان (دوم) : دومت الشمس في كبد السماء : أي دارت ، ومنه اشتقت دوامة الصّبي التي تدور كدورانها .

(٤٢) سورة قٓ ٥٠ : ١١ . والآية : ﴿ رزقاً للعباد وأحيينا به بلدةً ميّتاً كذلك الخروج ﴾ .

(٤٣) البيت في الأمالي ١ : ٧ . وروايته فيه وفي اللسان : حرد الجنة . ونقل البكري في السمط ١ : ٣١ عن أبي حاتم أن قطرباً هو الـذي صنع هـذا الرجز . وانظر تخريج الميمني وتعليقـاتـه ثمّة . حرد : قصد .

وشَبَّه تلوّي السيل وانعطافَه في جَرْيِهِ[1] بتلوّي الحَيّة وانعِطَافها إذا مَشتْ .
وهذا نحو قول ابن الرومي[2] :

بين حِفَـافَيْ جَـدْولٍ مَسْحُـورِ كَـالسَّيْفِ أَوْ كَـالحَيَّـةِ المَـذْعُـورِ(٤٤)

الحفافان : الناحيتان[3] .

وأما **اليقظةُ والنومُ** فكقولِ الله تَعالى : ﴿ اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والَّتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِها ﴾(٤٥) فسمي النوم وفاة . وسـألَ رجل ابنَ سِيرينَ عَن رجـلٍ غـاب عن مجلسه فقـال لـه : أمـا علمت أنـه تُـوفّي البارحةَ ؟ فلمّا رأى جَزع السّائل قرأ : ﴿ اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والَّتي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها ﴾ .

وقال الشاعر(٤٦) :

نمـوتُ ونَحيـا كلَّ يـومٍ وليلـةٍ ولا بدَّ يومـاً أن نموتَ وَلاَ نحيـا !

---

1. (في جريه) لم ترد في ن .
2. في ط : ذي الرمة . وهو سهو .
3. لم ترد العبارة في م ، ط .

---

(٤٤) من رجـز لابن الرومي يصف فيـه العنب الرازقي وهـو نـوع أبيض طـويـل الثمرة . وسيـاق الأبيات ثمة :

ثم جلسنـا جلسـة المحبـور
على حفـافي جـدول مسجـور
أبيض مثـل المهرق المنشـور
أو مثل متن المُنصـل المشهـور
ينسـابُ مثل الحيّـة المـذعـور

والأبيات من شعره السائر ، وفيه روايات مختلفة كثيرة (انظر الديوان ٣ : ٩٨٧) .

(٤٥) سورة الزمر ٣٩ : ٤٢ .

(٤٦) لم أقف على قائله . وانظر الصفحة ٥١ .

وأما **اشتعالُ النّارِ وخُمودُها** فمشهور مُتعارف[1] أيضاً .

فمنه قولُ ذي الرّمة(٤٧) :

فقلتُ لـه ارْفَعْها إليــكَ وأَحْيِهــا بِروحِـكَ واقتَتْـهُ لها قِيتَــةً قَــدْرا

يصف ناراً اقتدحها[2] .

وقال آخر في مثله(٤٨) :

وزهراءَ إنْ كفّنتهــا فَهــو عَيشُهــا وإنْ لم أكفِّنْهَـــا فمــوتٌ معجّــلُ

يعني بالزّهراء الشّررة السّاقطة من الزّند عند الاقتـداح ، يقول : إن بـادرتَ إليهـا عنـدَ سُقوطهـا من الـزّنـد فلففْتَهـا في خِرقَـةٍ حَيِيَتْ ، وإن تركْتَها ماتَتْ وطفئت[3] ! .

وأما **الحياةُ والموتُ** المُستعملانِ بمعنى[4] : **المحبّةِ والبَغضاء فكقول الشاعر** [١٨ أ]

أبلـغْ أبــا مــالــكٍ عَنّي مُغلغَلــةً وفي العِتــابِ حَيــاةٌ بينَ أَقْــوامِ(٤٩)

1. (متعارف) لم ترد في م ، ط .
2. وردت العبارة في ط قبل البيت .
3. لم ترد العبارة في ن .
4. في م : وأما المحبّة والبغضاء .

(٤٧) البيت في ديوانه (ص ٢٤٦) وقبله :

فلمــا بــدتْ كفّنتُهــا وهي طفلــة بطلســـاء لم تكمــل ذراعـــاً ولا شبراً

فلما بدت : أي النـار ، كفنتها : أي غطيتها وهي طفلة صغيرة . والطلسـاء : يعني خرقـة وسخة ضمّنها النار حين اقتدح ـ ومعنى بروحك أي بنفخـك أي انفخهـا نفخـاً رقيقـاً ـ واقتت لنارك : أي أطعمها ، يريد : اجعل فوقها من الحطب قليلاً قليلاً .

(٤٨) لم أقف على قائله .

(٤٩) البيت في اللسان (غل) ، ولم ينسبه . والمغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد .

أي إذا تَعاتَبُوا حَيِيَتْ المودةُ بَينهم ، وإذا تَركُوا الْعِتابَ ماتَت المودة أي ذَهبت وانقطعت ، وصاروا إلى البَغضاء والتَّهاجُر .

وأما الرُّطوبة واليَبس فكنَحو ما ذَهب إليه السُّدِّي في قوله تَعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْميِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾(٥٠) قال[1] : مَعناه : يُخْرِجُ السُّنبلة الخَضراءَ من الحبَّةِ اليابسةِ ، ويُخْرِجُ الحبّةَ اليابسةَ من السُّنبلةِ الخَضراء . وهذا راجعٌ إلى معنى الخِصْب والجَدْبِ من بعض وجوهِهِ ، وكقول[2] ابنِ مَيّادة(٥١) :

سحائِبُ لا مِنْ صَيِّفٍ ذي صَواعِقٍ ... ولا مُخْرِفاتٍ ماؤُهُنَّ حَميمُ
إذَا ما هَبَطْنَ الأرضَ قد مَاتَ عُودُها ... بكينَ بِها حتَّى يَعيشَ هَشيمُ

وَأمَّا الرجاءُ والخوفُ فَلاَ أذكرُ عَلَيهِمَا شاهداً غيرَ قول أبي الطيب(٥٢) :

1. في ن : قال قوم .
2. في م ، ط : وينحو نحوه قول .

(٥٠) سورة الروم ٣٠ : ١٩ . والآية : ﴿ يُخرج الحيّ من الميتِ ، ويُخرجُ الميّتَ من الحَيّ ، ويحيِي الأرضَ بعدَ موتِها وكذلكَ تُخرجون ﴾ . ونقل في تفسير القرطبي (٤ : ٥٦) وقال عكرمة والسدي : هي الحبّة تخرج من السنبلة ، والسنبلة تخرج من الحبة ، والنواة من النخلة ، والنخلة من النواة ؛ والحياة في السنبلة والنخلة تشبيه .

(٥١) ابن ميادة من مخضرمي الدولتين . والبيتان في الأغاني ٢ : ٢٨٥ ، يصف فيهما الغيث . ولهما خبر طريف ثمة . ورواية الأغاني : (صيب ... محرقات) في البيت الأول . والصيف : المطر ينزل صيفاً . والمخرفات : التي تمطر في الخريف . والحميم : المطر الذي يأتي بعد أن يشتد الحرّ . وللهشيم معانٍ ، منها : النبت الذي بقي من عام أول .

(٥٢) هو ثاني أبيات قطعة للمتنبي في سيف الدولة ، وقد استبطأ السيف مدحه وتغيّر لذلك وقبله :

أرى ذلكَ القربَ صارَ ازورارا ... وصارَ طويلُ السلامِ اختصارا

تَركتنِيَ اليَـــومَ في خَجْلَــــــةٍ أمُــــوتُ مِرَاراً وأحْيَــــــا مِرَارا

فهذه وُجوهُ الحياةِ والموتِ في كلام العرب ؛ قـد استوفينـا أقسامهـا لِما جَرى من ذِكر الآيةِ المتقدّمة .

ثم نرجعُ إلى ما كنّا فيـه فنقول : إنّ من طَريف هـذا البـابِ أنّـهُ قـد تتولّدُ منه مَقـالتـان مُتَضـادتـان كلاهُمَا غلـطٌ وخَطـأ ، ويكونُ الصّواب[1] والحقُّ في مقالةٍ ثالثةٍ مُتوسّطةٍ بينهما ، ترتفعُ عن حَدِّ التّقصيرِ وتنحـطُّ عن حَدّ الغُلوّ والإفراط .

وإذا تأملتَ المقالات التي شَجرت بين أهلِ مِلّتنا في الاعتقاداتِ رأيتَ أكثَرهـا على هـذهِ الصِّفَـةِ . وقـد نَبّهَنـا رسولُ الله ﷺ عَلى ذَلِـك بقولـه : « دينُ اللهِ بَيْنَ الْغَـالِي والْمُقَصِّرِ »[٥٣] فهـذا تصريحٌ منـه بهـذا الـذي ذكرنـا وتحـذيرٌ منـه . وقـال أيضـاً : « خَيْرُ الأمورِ أوْسَـاطُهـا »[٥٤] وقـال رجـلٌ

---

١. في ن : كلاهما غلط ويكون الحق في مقالة .

= يقول : أنا في خجلة من النـاس لإعراضـك عني فصرت كأني أموت خجلاً وأحيـا مراراً ، لأن الخجلة كانت عارضة ، إذا زالت حييت ، وإذا عادت صرت كالميت .

الشرح من الواحدي على الديوان : ٥١٢ . وانظر شرح العكبري ١ : ٩٤ .

(٥٣) عَقد المحدثون أبواباً مفردة للنهي عن الغُلوّ في الـدين . انظر مثلاً : البخـاري ٨ : ١٤٤ ، ومجمع الزوائد ١ : ٦١ .

قلت : وجدت في البيان والتبيين للجـاحـظ في درج كلام لـه ١ : ٢٠٢ : « ودين اللهِ تبـارك وتعالى بين المقصّر والغالي » .

(٥٤) أوسطهـا . وفي لفـظ أوسـاطهـا . قـال ابن الغرس : ضعيف . وقـال في المقـاصـد : رواه ابن السّمعاني في ذيـل تـاريخ بغـداد لكن بسنـد فيـه مجهـول عن علي رضي الله عنـه مرفـوعـاً . وللديلمي سند عن ابن عباس مرفوعاً : « خير الأعمال أوساطهـا » في حـديث أولـه : « دوموا على أداء الفرائض » . كشف الخفاء : ١ : ٣٩١ .

للحَسن البصريِّ ، رحمه الله[1] : (علمني ديناً وَسُوطاً لا ساقطاً سُقُوطاً ولا ذاهباً فُروطاً ؛ فقال : أَحْسَنتَ ! خيرُ الأمور أوساطُها) .

وهذا نوعٌ يطولُ فيه الكلامُ إن ذهبنا إلى تتبُّعه . ولكنّا نذكرُ منهُ شَيئاً يُستدلُّ به على غَيره .

فمن ذلك أنَّ قوماً لمّا خطرَ ببالهِمْ أمرُ القَدرِ والقَضاء ، وأحبُّوا الوقوفَ على حقيقةِ ما ينبغي أن يُعتقدَ من[2] ذلك تأمَّلُوا القرآنَ العزيزَ والحديث المأثورَ ، فوجدوا فيهما أشياء ظاهرُهـا الإجبـارُ [١٨ ب] والإكراهُ كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجاهِلِينَ ﴾(٥٥) ، وقوله : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾(٥٦) ، وقوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم ﴾(٥٧) في آياتٍ كثيرة غير هذه . ووجدوا في الحديث المأثور أيضاً نحو ذلك كقوله ﷺ : « السَّعيدُ مَن سَعِد في بَطنِ أمِّه والشقي مَنْ شَقِيَ في بَطنِ أُمِّه »(٥٨)

1. (رحمه الله) من م ، ط .
2. في م ، ط : يعتقد في ذلك .

(٥٥) سورة الأنعام ٦ : ٣٥ . الآية : ﴿ وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تبتغي نفقاً في الأرْضِ أَوْ سُلَّماً في السَّماء فتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ ﴾ .

(٥٦) سورة البقرة ٢ : ٧ . الآية : ﴿ خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(٥٧) سورة النساء ٤ : ١٥٤ ـ ١٥٥ . الآية : ﴿ فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وقَتْلِهِمُ الأَنْبِياءَ بغَيْرِ حَقٍّ وقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

(٥٨) أخرجه مسلم في كتاب القدر في حديث طويل من رواية عبد الله بن مسعود رفعه . وفيه : « الشقي من شقي في بطن أمّه والسعيد من وعظ بغيره » ٤ : ٢٠٣٧ . وأخرجه ابن ماجه مرفوعاً من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ : ١٨ ، ووقفه الدارمي على ابن مسعود بلفظ : =

فَبنوا من هذا النَّوعِ من الآياتِ والأحاديثِ مقالةً أصَّلُوها على أنَّ العبدَ مُجْبَرٌ ليسَ له شيءٌ من الاستطاعةِ ، وصَرّحُوا بأنَّ مَنِ اعْتَقَد غيرَ هذا فَقَدْ كَفَر .

وخَطر ببالِ آخرين مثلُ ذلك ؛ ورأوا مذهبَ هؤلاء فَلم يَرتضُوه مُعتقداً لأنفُسِهم ، فتصفَّحُوا القرآنَ والحديثَ ، فوجَدُوا فيهما آياتٍ أُخَر ، وأحاديثَ ظاهرُها يُوهِمُ أنّ العبدَ مُستطيعٌ مُفَوَّضٌ إليهِ أمرُه يفعل ما يشاء ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ ﴾[٥٩] ، وقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾[٦٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً ﴾[٦١] ، وقوله عليه السّلام[1] : « كُلُّ مَوْلودٍ يُولدُ على الفِطْرة حَتى يَكونَ أبواهُ هُمَا اللّذانِ يُهوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أو يمجِّسَانِه »[٦٢] ، وقوله : « يقولُ اللهُ تعالى :

1. في م ، ط : ﷺ .

= « .. والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنّ شر الروايا روايا الكذب » وليس فيه ذكر للسعيد . سنن الدارمي ١ : ٦٩ .

(٥٩) سورة الزمر ٣٩ : ٧ . الآية : ﴿ إِنْ تَكْفُروا فَإِنَّ اللهَ غنيٌّ عَنْكُمْ ، وَلا يَرْضَى لِعبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ، ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ ، إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

(٦٠) سورة فصلت ٤١ : ١٧ . الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فاستَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

(٦١) سورة الإنسان ٧٦ : ٣ .

(٦٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجنائز ٢ : ١٠٤ بلفظ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه ... الحديث » . وفي كتاب التفسير بلفظ ما من مولود ٦ : ٢٠ . وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة كذلك بلفظ : « ما من مولود » : ٢٠٤٧ .

خلقتُ عِبادِي حُنفاءَ كلَّهم فأجَالَتْهُمُ[1] الشيـاطِينُ عَن دينهم »(٦٣) فبَنوا من هذا النَّوعِ من الآياتِ والأحاديثِ مَقالةً ثانيـةً مُنـاقضـة للمقالـةِ الأُولى ، أصَّلُوها عَلى أنَّ العبدَ مُخَيَّرٌ مُفَوَّضٌ إليه أمرُه يفعلُ ما يشاءُ ويَستطيعُ على ما لا يريدُ[2] ربه ؛ تعالى الله عمَّا يقولُهُ الجاهلونَ عُلُوّاً كبيراً .

ثم عَمَدتْ كلُّ فرقـةٍ من هـاتينِ الفِرقتين إلى مـا خـالفَ مـذهبَهـا من الآياتِ والأحاديثِ فطلبَتْ له التأويلَ البعيد . ورَدُّوا ما أمكنهم ردَّه من الأحـاديثِ المُنـاقضـة لمـذهَبهم ، وإنْ كانَ صحيحـاً ، كمن يرومُ سَتر ضوء النَّهارِ ، ويؤسسُ بنيانَه على شفا جُرُفٍ هارٍ !

ولما تأملت طائفـةٌ ثـالثـةٌ مقـالتَيْ[3] الفَريقين[3] معـاً لم يرتَضُوا بواحـدةٍ منها معتَقَـداً لأنفسهم ورأوا أنهَا جميعـاً خَطـأ ، لأنَّ المقـالَـة الأُولى تجويزٌ للباري تَعالى ، وإبطالٌ للتكليف . والمقالةُ الثّانيـةُ تجهيلٌ للبـاري تعـالَى بـأمرِ خَلْقـهِ ، وتعجيزٌ لـهُ عن تَمامِ مشيئَتِـهِ فيهم[4] وكِلا[4] الصِّفتينِ [١٩أ] لا يليقُ بِمَنْ قد وصَف نفسَهُ بأنَّهُ أحكمُ الحاكمين ، وأقدرُ القـادرين . ووصف نفسه جلَّ جلالُه بقوله : ﴿ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقـةٍ إلاَّ يَعْلَمُهـا وَلاَ حَبَّـةٍ في ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابسٍ إلاَّ في كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(٦٤) .

---

1. في ط : فاجتالتهم .
2. في م ، ط : على ما لا يريده .
3. في م : مقالة . ـــ في م ، ط : الفرقتين .
4. (فيهم) لم ترد في ن . ـــ في م ، ط : وكلتا الصفتين لا تليق .

---

(٦٣) في صحيح مسلم ، عن عيـاض بن حمار المجـاشعي ، أن رسـول الله ﷺ قـال ذات يـوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممّا علمني يومي هذا : كل مـال نحلتـه عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم ... » إلخ الحديث . وانظر مختصر صحيح مسلم ٢ : ٢٨٣ .

(٦٤) سورة الأنعام ٦ : ٥٩ .

ورأوْا أن الأخذ بالآيات والأحاديث الأُول ليسَ بأَولى من الأخذِ بالآيات والأحاديث الأُخَر وأنَّ الحقَّ إنّما هو في واسِطَةٍ تنتظمُ الطَّرَفين وتَسْلَمُ مِن شَناعة المَذْهَبين ، واعْتَبرُوا القرآنَ والحديث ببصائرَ أصحّ من بَصائرِ الفريقين فوجدُوا آيات وأحاديث تجمع[1] شَتيتِ المَقالتين وتُخبر بغلطِ الفَريقين ؛ كقوله تَعالى : ﴿ وَلَوْلا أنْ ثبّتناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَليْلاً ﴾(٦٥) ، وقَوله في سُورة يوسُف عليه السَّلامُ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ ﴾(٦٦) ، وقَوله : ﴿ وَمَا تَشَاؤُوْنَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾(٦٧) فأثبتَ للعبد مشيئةً لا تتم له[2] إلا بمشيئةِ ربه عزّ وجلّ . ووجدُوا الأمةَ مُجمعةً على قَولهم : لا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ بالله العليّ العظيم[3] ، وفي هذا إثباتُ حَوْلٍ وقُوّةٍ للعَبدِ لا يَتِمّان إلا بمعونةِ الله سبحانه[4] إيّاه ، ووجَدُوا الأمَّةَ مُجمعةً على الرَّغْبة إلى الله في العصْمة والاستعاذة به من الخذلان . بِقَولهم[5] : اللّهُمَّ لا تَكِلنا إلى أنْفُسِنا فنَعجز وَلا إلى النّاسِ فنضيعَ .

وَرَأوْا اللهَ تعالى قد أثبتَ لنفسِه في مُحْكمِ وَحيهِ علمَ غَيبٍ وعلم شَهادة

---

1. في ط : تجمع بين شتيت .
2. في ط : لا تتم إلا . ــ في م ، ط : ربه تعالى .
3. (العلي العظيم) من نسخة ن .
4. (سبحانه) من نسخة ن .
5. في م ، ط : وقولهم .

---

(٦٥) الإسراء ١٧ : ٧٤ .

(٦٦) سورة يوسف ١٢ : ٢٤ . الآية : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بهِ وهَمَّ بها لوْلا أنْ رَأى بُرهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنصرفَ عَنْهُ السُّوءَ والْفَحْشَاءَ ، إنَّهُ مِنْ عِبَادِنا المُخْلَصِينَ ﴾ .

(٦٧) سورة الإنسان ٧٦ : ٣٠ . الآية : ﴿ ومَا تشاؤُوْنَ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ ، إنَّ اللهَ كان عليماً حَكيماً ﴾ .

بقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادَة ﴾(٦٨) . فَعِلْمُه الغيبَ علمُـه الأشيـاءَ[1] قبلَ كونِهـا ، وعلمُـه الشَّهـادة علمُـه بـالأشيـاء وقتَ كونِهـا . واعْتَبَرُوا أحوالَ الإنسانِ التي وقع فيها التكليفُ وأحوالَه التي لم يَقَع فيها تَكليفٌ ، فوجدُوا اللهَ تعـالَى لم يَـأْمُره بـأَلاَّ يسمـعَ ولا يُبصِرَ[2] ، ولا يـأكلَ ولا يَشرب ، على الإطلاق إنّما أمرَه بـأن يَستعمـل الآلـةَ التي يَسمـعُ بهـا ويبصرُ بهـا ويـأكلُ ويشرب[3] ؛ في بعضِ الأشياء ، ولا يَستعملهـا في بعضٍ ؛ فوجَب أن يكونَ بين الأمرينِ فرقٌ ، ولا فرقَ ههُنَـا إلا أنّـهُ مُكّن من أَحَـدِ الأمرين ، وجُعلت له استطاعةٌ عَليه ولم يُمكَّن من الآخر . وكذلكَ رَأَوْا حركـةَ يـدِ المَفْلُوج تخالفُ حركة يدِ الصَّحيح فثبَت أنَّ بَينهما فرقـاً ولا فرقَ إلا وجودُ الاستطاعـةِ في إحْـداهـا دونَ الأُخرى[4] ووجـدُوا مع هـذا أحـاديثَ تؤيّـدُ بُطلانَ قولِ الفَريقين مَعـاً ، وتـدلُّ على أنَّ الحـقَّ متـوسّـطٌ بينَ غلُـوِّ أحـدِ الفريقين وتقصيرِ الآخر ؛ كنحو مـا رُويَ عن جعفرٍ الصّـادق[5] ، رضيَ الله عنهُ : (أنّ رَجُلاً قال له : هل العبـادُ مُجْبرونَ ؟ فقـال[6] : اللهُ أَعْـدَلُ مِنْ أنْ يُجبرَ عَبدَهُ [١٩ ب] على مَعْصِيتِه[6] ثم يعذبَه عليها !! فقال له السَّائل : فهل أمرُهُمْ مفوَّضٌ إلَيْهِم ؟ فقـالَ : اللهُ أعـزّ مِنْ أن يجـوزَ في ملكـهِ مـا لاَ يريدُ . فقالَ له السائل : فكيفَ ذلك إذاً ؟ قـال : أمرٌ بين الأمرين ؛ لا جَبرٌ ولا تفويضٌ) .

1. في م ، ط : علمه بالأشياء .
2. في م ، ط : بألا يبصر ولا يسمع .
3. سقط (يشرب) من ط .
4. في م ، ط : إلا وجود الاستطاعة على وجهٍ لا يقتضي ما توهّمته القدرية من التفويض .
5. في م ، ن : الطيار . والمثبت من ط .
6. في م ، ط : فقال جعفر ــ على معصية .

(٦٨) سورة الأنعام ٦ : ٧٣ .

وكنحو ما رُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه (لما انصَرفَ من صِفّين) قامَ إليه شيخٌ فقال : يا أميرَ المؤمنينَ أرأيتَ مسيرَنا إلى صِفّين ، أبقضاء وقدر ؟ فقالَ عليّ رضيَ اللهُ عنهُ[1] : والله ما عَلَوْنا جبلاً ، ولا هَبطْنا وَادِياً ، ولا خَطَونا خطوةً ، إلا بقَضاءٍ وقَدرٍ ! فقال الشيخُ : فعند الله أحتسب عَنائِي إذن ما لِي من أجرٍ ! فقالَ له عليٌّ رحمه الله[2] : مَهْ يا شيخ ! فإنّ هذا قولُ أولياء الشيطان وخُصماء الرحمن قدريّة هذه الأمة . إن الله أمرَ تخييراً ، ونهى تحذيراً ؛ لم يُعْصَ مغلوباً ولم يُطَعْ مُكرَهاً !! فضحك الشيخ ونهض مسروراً ثم قال :

أنتَ الإمامُ الّذي نرجُو بطاعَتهِ   يومَ القيامةِ من ذي العَرْشِ رِضوانا
أوضحتَ من دِينِنَا ما كانَ مُلْتَبِساً   جزاكَ ربُّكَ عَنَّا فِيهِ إحْسَانَا

وقد رُوي عن ابنِ عبّاس ـ رضي الله عنه ـ نحوَ مَقالة جَعفر .

فلمّا وجَدُوا جميعَ هذا الّذي ذكرناهُ جَمعوا الآياتِ والأحاديث وبَنوْا بعضَها على بَعض فأنتج لهم من مجموعِها مقالةٌ ثالثةٌ سَليمةٌ من شَناعة المقالَتين ، منتظمةٌ لكلّ واحدٍ من الطَّرفين ، ارتفعتْ عن تَقصير الجَبْريَّة وانحطَّتْ عن غُلوِّ القَدريّة فوافقت قولهُ ﷺ : « دينُ الله بين الغالي والمقصِّر »(٦٩) بَنوا تفريعَها على أصلٍ ، وجُملة[3] الغرضِ منه : أنَّ لله تعالى علم غيب سبق بكل ما هو كائن قبل كونه ثم خلق الإنسان فجعل له عقلاً

---

1. في م : فقال علي : والله ...
2. في م ، ط : فقال له علي : مه ..
3. في م : جملة . في ط : جمل .

---

(٦٩) ارجع إلى ص ١٣٠ .

يرشدُهُ واستطاعة يصحُّ بها تكليفه ثم طوى علمه السابق عن خلقه وأمرهم ونَهَاهُمْ وأوجَبَ عليهمُ الحجّة من جِهة الأَمْرِ والنهيِ الواقِعَيْنِ عليهم لا من جهة عِلْمِهِ السَّابق فيهم ، فهم يتصرفون بين مطيع وعاصٍ وكلُّهم لا يعدو علم الله السابق فيه .

فمن علم الله تعالى منه أنه يختارُ الطَّاعة فلا يجوزُ أن يختار[1] المعصيةَ ومَنْ عَلِمَ أنه يختارُ المعصيةَ فلا يجوزُ أن يختار[2] الطّاعة . ولَوْ جازَ ذلك لم يكُنْ علم الله تَعالى موصُوفاً بالكمالِ ، ولكانَ كعلمِ المخلوق[3] الّذي يُمكن أن يقعَ الأمرُ[4] كما علم ، ويمكن أن يقعَ بخلاف ما علم . وليسَ في عِلم الله الأمورَ قبل وقوعِها إجبارٌ على ما تَوهَّمَهُ [٢٠ أ] المجبّرُون[5] . ولا تتم لأحد استطاعة على ما يَهُمُّ به من الأمور إلا بأنْ يعينَهُ الله تعالى عليه أو يَكِلَهُ إلى حَوْلِهِ ويُسلِمَهُ إليه . فإن عَصَمَهُ اللهُ مما يَهُمُّ به من المعصيةِ[6] كانَ فضلاً وإنْ وَكَلَه إلى نفسِه كانَ عدلاً .

فإذا اعتبرتْ حال العبد من جهةِ الإضافة إلى علمِ الله السّابق فيه الذي لا يعدُوه وُجِد في صورة المُجْبَرْ ، وإذا اعْتُبِرتْ حالُه من جهة الإضافةِ إلى الاستطاعةِ المخلوقَةِ لهُ والأمرِ والنّهيِ الواقعَيْنِ عَليه وُجِدَ في صُورةِ المفوَّضِ إليه .

---

1. في م : يتخيّر .
2. في م : يتخيّر .
3. في ط : كعلم المخلوقين .
4. (الأمر) لم ترد في ط .
5. (ولو جاز ... المجبرون) العبارة لم ترد في م .
6. في ط : المعاصي .

وليس هنـاكَ إجبـارٌ مطلقٌ ، ولا تفـويضٌ مطلـقٌ ، إنّما هـو أمرٌ بينَ أمرينِ يدِقُّ عن أفكارِ المُعتبرين ويُحيّرُ أذهانَ المتأمّلين .

وهذا هو معنى ما أشار إليه حُـذّاقُ أهل السُّنّـة رحمهم الله بقولهم : إن العبدَ لا مُطلقٌ ولا موثّقٌ .

فما ورد من الآيات والأحـاديث التي ظـاهِرُهـا الإجبـارُ فهو مصروفٌ إلى أحد ثلاثة أشياء :

إما إلى العلم السّابقِ الذي لا مُخْرجَ للعبدِ منـه ولا يُمكنـه أن يتخيَّر[1] غيرَه .

وإمّا إلى فِعلِ فَعلهُ اللهُ تعـالى بـه[2] على جهـةِ العِقـاب كقولـه : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بكُفْرِهِمْ ﴾(٧٠) .

وإما إلى الإخبـارِ عَنْ قُـدْرَتـهِ تعـالى على مـا يَشـاءُ ؛ كقولـهِ تعـالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى ﴾(٧١) .

وما ورد من الآيـات والأحـادِيثِ ظـاهرُه التفويضُ فهو مصروفٌ إلى الأمرِ والنَّهيِ الـواقِعَيْن عليـه ، وإنّما غَلِطَت القَـدريّـةُ في هـذا لأنهم لا يُثبتونَ للهِ تَعالى عِلماً سابِقاً بالأمور قبلَ وُقوعها . وعلمُ الله عندهم مُحـدثٌ ـ تعالى اللهُ عمّـا يقولـه الجـاهلون علواً كبيراً[3] ـ فـاعتَبَرُوا حـالَ العبـدِ من جهةِ الأمرِ والنَّهيِ والاستطاعةِ المركّبةِ فيه لا مِن جِهَة العِلم السّابق[4] .

1. في م ، ط : يختار .
2. (به) من ن .
3. الجملة الاعتراضية لم ترد في م .
4. (فاعتبروا ... العلم السابق) لم ترد في ط .

(٧٠) سورة النساء ٤ : ١٥٥ .
(٧١) سورة الأنعام ٦ : ٣٥ .

وغَلطت الجَبريّةُ لأنهمْ اعتَبروا حالَ العبدِ من جهةِ علمِ الله السّابق فيه لا من جهة الأمرِ والنّهي الواقِعَيْنِ عَليه ، وظَنّوا أَنَّ عِلمَ الله تعالى بجميعِ ما يفعَلهُ العبدُ قبلَ فِعله إياهُ إجبارٌ منه لهُ على الفِعل . وكِلا القَولين غلطٌ لأنهم أخَذُوا بالطّرفِ الواحدِ ، وتَركوا الطّرفَ الآخر[1] . فكان المذهبُ أحسنَ المذاهب لمنْ آثَر الخَلاص والسّلامة[1] .

ورأى المشيخةُ وجِلّةُ العلماء الوقفَ عن الكلامِ في ذلك والخوضِ فيه لقوله ﷺ : «إذَا ذُكِرَ القَضَاءُ فَأَمْسِكُوا» .(☆ ولم يكنْ نهيُهُ ﷺ ونهيُ العلماء عن الكلامِ في ذلك من أجلِ أنَّ هذا أمرٌ لا تُمكن معرفةُ الحقيقةِ منه ، وإنّما كان من أجلِ دِقّته وخَفائهِ ، وأنه أمرٌ : الخطأ فيه أكثرُ من الإصابة . فأنتَ تَرَى القدريّة والجبريّة إلى يومنا هذا يَخْتصِمُون فيه ، ويناقِضُ بعضُهمْ بعضاً ، ولا يَصِلُون منهُ إلى شفاء نفسٍ . وكلٌّ فرقةٍ من الفَريقين يُفضي مذهبها إلى شَناعَةٍ إذا أُلْزِمَتْها فرّت عَنها .

وكلا الطائِفتين قد أخطأتْ في التّأويلِ ، وضلّتْ عَن نهجِ السّبيلِ ، ووصَفتِ الله تعالى بصفاتٍ لاتَليقُ به عندَ ذوي العُقُولِ☆)[2] .

وهذه ـ أعزّك الله ـ جُملةٌ قليلةٌ تَفصيلُها كثيرٌ . وهو بابٌ ضيّقُ المجالِ جداً ؛ والخائض فيه تَسبق إليه الظّنّةُ بغيرِ ما يعتَقِدُه ؛ فلذلكَ نتَحامى الكلامَ فيه بأكثرِ ممّا نَبّهنا عليه ، مع أنّا لم نضَعْ كتابَنا هذا للخوض في المقالات ؛ إنّما وضعناه [٢٠ ب] لِنُبَيِّنَ[3] المواضِعَ التي نشأ منها الخِلاف .

لكنّا[4] نقولُ : يَنبغي لمنْ طَلَبَ هذا الشأنَ ولم يقنعْهُ ما رآه العلماءُ ،

1. لم ترد الفقرة السابقة في ط . ـ تتمة الفقرة لم ترد في م .
2. ما بين نجمتين لم يرد في غير م .
3. في ط : لتبيين .
4. في ط : ولكنا .

وأمروا بـه من ترك الخـوض فيـه ، أن يُراعيَ أصلَين فـإن صَحّـا لــه من معتقده فليعلمْ أنهُ قـد أصـاب فَصَّ الحق ؛ وإن أخطـأهمـا أوْ واحـداً منهما فليعلم أنهُ قد غَلِطَ فليراجعِ النظر .

أحدهما : أنّه لا فاعلَ على الحَقيقة إلاَّ اللهُ تعالى ، وأن كلَّ فاعلٍ غيره إنّما يفعلُ بمعونةٍ من عِنده ومادّة يمدُّه بها من فَيضِه وحَوْلِه ، ولو وكَلـه إلى نفسِه لَما كان له فعلٌ البتَّة .

والثاني : أن أفعالَ الباري ـ عزَّ وجَلَّ ـ كُلُّهـا حكمـةٌ محضـةٌ لا عبثَ فيها وعدلٌ محضٌ لاَ جَوْرَ فيه ، وحُسنٌ محضٌ لا قبحَ فيـه ، وخَيرٌ محضٌ لا شرّ فيه . وأنّ هذه الأشياء[1] إنما تَعرض في أفعالنـا إمّـا لِوُقوع الأمرِ والنّهي علينا[2] وإما لما ركز في خِلقتنا[2] من القُوّةِ العَقليّة التي تُرينـا بعضَ الأَشيـاء حَسَناً وبعضَها قبيحـاً . وكِلا[3] الصّفَتينِ لا يُوصَفُ بِهِما البـاري ـ سُبحـانـه وتعالى ـ لأنه لا آمِرَ فوقَه ولا ناهي ، وهو خالقُ العقلِ ومُوجدُه .

وجملةُ ذلك أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقاتِ في جهةٍ من الجهات . فكلُّ قولٍ أدّاكَ إلى تشبيههِ بخلقـه في ذاتٍ أوْ فعل فـارفضـهُ رفضَ النّواة وانبـذْهُ نبذ القَذاةِ[4] . واعلم أن الحقَّ في غيره فـابحث عليـه حتى تظفرَ بـهِ ، وإنْ لم يَتَّفقْ لكَ فهمُ الغَرض منهُ والمُراد ، فاشدد يدَكَ[5] بعُروة هـذا الاعتقـادِ ولا تَتَّهِمْ بارِئكَ في حِكمته ، ولا تُنازعْهُ في قُدرتِه . واعلمْ بأنّهُ غنيٌّ عنـك وأنت

---

1. في م ، ط : الأفعال .
2. في ن : عليها . ــ في م ، ط : خلقنا .
3. في ط : وكلتا .
4. في ط : القذاة ... النواة .
5. في م : يديك .

مفتقرٌ إليه ؛ ووارِدٌ بما تزوّدتَ من عَملك عليه ، تَبارك المنفردُ[1] بأقضيته وأحكامِه ، الّذي لا يُنـازَعُ في نقضه وإبرامِه . ولا يَمْتري العاقلونَ في عَدله ، ولا ييأسُ المُذنبونَ مِن عَفْوِه وفضلِه . لا رَبٌّ سِواهُ ، ولا معبودَ حاشاه .

☆ ☆ ☆

1. في ط : المتفرد .

البَابُ الرَّابِع

في الخلاف العارض من جهَة العُموم والخصوص

هذا الباب نوعان :

أَحَدُهما يعرِضُ في مَوضوع اللَّفظة المُفردة .

والثَّاني يعرضُ[1] في التَّركيب .

فأمّا الذي يَعرض في مَوضُوعِ اللّفظةِ المُفردة فَنحوُ الإنسان فإنّه يُستعملُ عموماً وخُصوصاً .

أمّا العمومُ فكقوله تعالى : ﴿ يَا أيُّها الإنسانُ مَا غرَّكَ بِرَبِّكَ الكريمِ ﴾(١) [٢١ أ] ، وقوله : ﴿ إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ ﴾(٢) ويدلُّ على أنّه لفظٌ عامٌ لا يخصّ واحداً دونَ آخر قَوْلهُ : ﴿ إلاَّ الذينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصّالحاتِ ﴾(٣) فاستَثْنى منه ولا يُستثنى إلا من جُملة . ونحو هذا قول العرب : (أهلكَ الناسَ الدينارُ والدرهم) ، وقولُهم : (المَلَكُ أفضلُ من الإنسان) ، و (الإنسانُ متعبّد دونَ سائرِ الحَيوان[2]) .

والخصوصُ نحو قولِهم : (جاءني الإنسانُ الذي تعلم ولقيتُ الرّجُلَ الذي كَلّمك) . وقوله : (شربتُ الماءَ وأكلتُ الخبز) ؛ ولم يَشربْ جَميعَ

1. (يعرض) من : م ، ط .
2. في ط : الحيوانات .

(١) سورة الانفطار ٨٢ : ١٦ .
(٢) سورة العصر ١٠٣ : ٢ .
(٣) سورة العصر ١٠٣ : ٣ .

الماء ولا أكلَ جميعَ الخبزِ ، وهذا كثيرٌ مَشهورٌ تُغني شُهرتُه عن الإكثار منه .

وقد يأتي من هذا البابِ في القُرآن العَظيمِ[1] والحَديث أشياءُ يتّفقُ الجميعُ[2] على عمومها أو على خصوصها وأشياءُ يقع فيها الخلاف .

فمن العُموم الّذي لم يُختلف فيه قولُه تَعالى : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾(٤) ، و ﴿ يَا أيُّها النّاسُ إنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ ﴾(٥) ، وقولُ النبيّ ﷺ : « الزَّعيمُ غَارِمٌ والبَيِّنَـةُ عَلَى المُدَّعِي واليَمينُ على المُدَّعَى عَلَيهِ »(٦) ونحوُ ذلك كثير .

ومن الخُصوص الذي لم يُختَلفْ فيه قوله تعالى : ﴿ الَّذينَ قَالَ لَهُمُ الناسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهم ﴾(٧) وهذا القولُ لم يَقُلْهُ جميعُ النّاسِ وإنّما[3] قالَهُ رَجُلٌ واحدٌ ، وهو نُعيمُ بنُ مَسعود ؛ ولا جمعَ لهم جميع الناسِ ، وإنّما جَمع لَهم جُزْءٌ منهم .

---

1. (العظيم) من : م ، ط .
2. في م : الجمع .
3. في ن : إنما .

---

(٤) سورة النساء ٤ : ١ . الآية : ﴿ يا أيُّها النّاس اتّقُوا رَبكُم الذِي خلَقكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وَخلَق مِنها زَوْجَهَا وَبَث مِنْها رِجَالاً كثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ إنَّ اللهَ كان عَليْكُم رَقِيباً ﴾ .

(٥) سورة فاطر ٣٥ : ٥ . الآية : ﴿ يا أيُّها النّاس إنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُم الْحَيَاةُ الدُّنيا ، وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الْغَرُورُ ﴾ .

(٦) سبق تخريج الحديث في موضع سابق .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ١٧٣ . الآية : ﴿ الَّذينَ قالَ لَهُم النَّاس إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخشَوْهمْ فَزَادَهَمْ إيماناً وقَالوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكيل ﴾ .

ومما وقَع فيه الخِلافُ فاحتاجَ إلى فَضل نظر قولُه تَعالى : ﴿ إِنْ تُبْـدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾(٨) .

قـالَ قومٌ : إنّ هـذه الآيـة نزلتْ عُمـوماً ثمّ خُصِّصَت[1] بقـولـه ﷺ : « صُفِحَ لأُمتِي عما حَدَّثَتْ به نُفوسَها مَا لَم تَكلَّمْ بـه أو تَعْمل »(٩) ، ورُوي عن عائشةَ ، رضي الله عنها ، أنّها قالتْ : هي خُصوصٌ في الكافِر يُحاسبه اللهُ بما أَسَرَّ وأعلَنَ . والقول الأول أَصَحّ وأوضَحُ[2] لقولهِ تعـالى بـإثر ذلـك : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ ﴾(١٠) ولا خـلافَ في أنّ الكافِرَ مُعـذّبٌ غيرُ مغفـورٍ لـه . فَـدلَّ هـذا على أنّ الخِطـابَ وقَـع عُمـومـاً لا خُصوصاً ، ثم خصّص بما ذكرناه[3] .

ومن ذلـك قولُـه تَعـالى : ﴿ كُلٌّ لَـهُ قَـانِتُونَ ﴾(١١) قـال قـومٌ : هـذا خُصوص في أهل الطّـاعـةِ ، واحتجُّـوا بـأن (كـلاً) وإن كانت في غـالب أمرها للعُموم فإنها قد تأتي للخُصوص[4] كقولِه تَعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً

1 . في م : نسخت .
2 . في م : أوضح وأصح .
3 . ثم ... إلخ لم يرد في م .
4 . في ط : للتخصيص .

(٨و١٠) سورة البقرة ٢ : ٢٨٤ . الآيـة : ﴿ لِلَّهِ مَـا فِي السَّمٰوات ومـا في الأَرضِ ، وإِنْ تُبْـدُوا مَـا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَـاسِبْكُم بِـهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَـاءُ ، ويُعَـذِّبُ مَنْ يشـاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
وانظر ما في الآية من أحكام : تفسير القرطبي ٣ : ٤٢٠ ـ ٤٢٤ .

(٩) من حـديث رواه أبو هريرة رضي الله عنـه ، وهـو في مختصر صحيح مسلم ١ : ٢٣ : « إن الله تبارك وتعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به هنا أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به » .

(١١) سورة البقرة ٢ : ١١٦ . الآية : ﴿ وقَـالُوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَـداً سُبْحَـانَـهُ ، بَلْ لَـهُ مَـا فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ ، كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ ﴾ .

تَملِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كلِّ شَيْءٍ ﴾(١٢) [٢١ ب] ، وقولـه : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها ﴾(١٣) ثُمّ قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ ﴾(١٣) وقال آخرون : هي عُمومٌ . واختلفَ القائلونَ بالعُموم ؛ فقال قَومٌ : أرادَ أنَّهم مُطيعونَ له يومَ القيامة . وهذا يُروى عن ابنِ عباسٍ ، رضيَ الله عنهما[1] . وقال آخَرون : مُطيعون في الدُّنيا . واختلفَ القائلون بالطّاعة في الدُّنيا فقالَ بعضُهم : طاعةُ الكافِرِ سُجود ظِلّه لله عز وجل[2] واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ ولله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَالأرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدوِّ وَالآصَالِ ﴾(١٤) وقال آخَرون : معناهُ أنّ كُلَّ ما خَلق اللهُ تَعالى ففيه أَثَر الصَّنعة قائم وميسَم العُبوديّة[3] شاهدٌ أنّ لهُ خالقاً حكيماً ، لأن أصلَ القُنوت في اللُّغة : القِيام ؛ ويدلُّ عليه قولهُ ﷺ : « وَقَدْ سُئِلَ أيّ الصّلاةِ أفضلُ فَقال : طُولُ القُنُوتِ »(١٥) . فالخَلْقُ كُلّهم : مُؤمنهم وكافِرُهم قائمونَ بالعُبوديّة إمّا إقراراً بألسنتهم وإمّا بِأثر الصَّنعةِ البيّنة فِيهم[4] .

---

١. الجملة الدعائية من ط .
٢. عز وجل : من ط .
٣. في م ، ط : أثر للصنعة قائم وميسم للعبودية .
٤. في م : بأثر الصنعة فيهم . في ط : بآثار .

---

(١٢) سورة النمل ٢٧ : ٢٣ . الآية : ﴿ إنّي وَجَدْتُ امْرأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(١٣) سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٤ ـ ٢٥ . الآيتان : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ، قَالوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

(١٤) سورة الرعد ١٣ : ١٥ .

(١٥) أخرجه مسلم من حديث جابر : ٥٢٠ ، وابن ماجه من حديث جابر ١ : ٤٥٦ . وأخرجه النسائي من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي ٥ : ٥٨ . والإمام أحمد في مسنده ٣ : ٣٠٢ .

ومن هذا الباب قَولهُ تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاه في الدِّين ﴾(١٦) . قال قومٌ : (هذا خُصوصٌ في أَهل الكِتاب لا يُكرَهُون على الإِسلام إذا أَدُّوا الجِزيـة) وهو قَولُ الشَّعبي(١٧) .

وكانَ ابنُ عبــاس ، رضي الله عنهما[1] ، يراه أيضــاً خُصــوصــاً وفسَّره فقال(١٨) : (مَعناه أنَّ المَرأة من الأنصارِ كانتْ لا يعيشُ لها وَلدٌ فتنـذرُ على نَفْسِها لئن عاشَ[2] لَتُهوِّدنّه ! فلمّـا أُجلي بَنُو النَّضير إذا فيهم نـاسٌ من أبنـاء الأَنصار . فقالَتِ[3] الأنصارُ : يـا رسول الله ! أبنـاؤُنـا ! فـأنزلَ اللهُ تَعـالى[4] هذه الآية) .

وقال قومٌ هي عُمومٌ ثم نُسِخَت بقولـه عَزّ وجَلّ[5] : ﴿ جَـاهِـد الْكُفَّـارَ والْمُنَافِقِينَ ﴾(١٩) .

ومن هـذا البـاب قـولـه تعـالى[6] : ﴿ عَلَّمَ الإِنْسَـانَ مَـا لَمْ يَعْلم ﴾(٢٠)

---

1. رضي ... لم ترد في ن .
2. في ط : لئن عاش ولدها .
3. في م ، ط : فقال .
4. 5. 6. من ط .

---

(١٦) سورة البقرة ٢ : ٢٥٦ . الآية : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَـدْ تَبَيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
وقد نقل القرطبي (٣ : ٢٨٠ ـ ٢٨٣) ما قيل في تفسير الآية ، وما ورد في أحكامها .

(١٧) قال القرطبي : هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحّاك .

(١٨) نسبه القرطبي إلى ابن عباس ، رواية عن أبي داود (٣ : ٢٨٠) .

(١٩) سورة التوبـة ٩ : ٧٣ . الآيـة : ﴿ يـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ جَـاهِـدِ الْكُفَّـارَ وَالْمُنـافِقِينَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

(٢٠) سورة العَلق ٩٦ : ٥ .

فذهب قوم إلى أنه خصوص[1] واختلفوا في حقيقة ذلك فقال بعضهم : أرادَ آدم عليه السّلامُ واحتجُّوا بقولِه تعالى : ﴿ وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(٢١) .

وقالَ بعضُهم : أرادَ مُحمّداً ﷺ واحتجُّوا بقولِه تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَم ﴾(٢٢) .

وقال آخرونَ : هي عُمومٌ في جميع الناس . وهذا هو الصَّحيح[2] ؛ وما تَقدّم لا يَقُومُ عليه دَليل[3] !.

ومن ذلك قولهُ ﷺ : « الْمؤمنُ يأكلُ في مِعىً واحد ، والكافرُ يأكلُ في سَبْعةِ أمْعاء »(٢٣) ، قال قومٌ : (هذا خُصوصٌ في جَهْجاه[4] الغِفاريّ ، ورَدَ على النّبي ﷺ يُريد الإسلامَ فَحَلَبت له سبعُ شِياه فشربَ لبَنها . ثم أسلم فَحَلَبت له شاةٌ واحدةٌ فكفَتْه ؛ فَذَكر ذلكَ للنّبي ﷺ فقال هذه المقالة) .

فقال[5] [٢٢أ] قومٌ إنّه عُمومٌ في كُلّ كافر ، واختلفُوا في حَقيقة مَعْناهُ ؛

1. سقطت الجملة من ن ، سهواً .
2. في ط : وهو الصحيح .
3. العبارة من م .
4. رسم الاسم في ن : جهجه .
5. في م ، ط : وقال .

(٢١) سورة البقرة ٢ : ٣١ . الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(٢٢) سورة النساء ٤ : ١١٣ . الآية : ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ، وأَنزلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وكانَ فَضْلُ اللهِ عليْكَ عَظِيماً ﴾ .

(٢٣) أخرجه مسلم عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وأبي هريرة : ١٦٣٠ ـ ١٦٣٣ . والبخاري من حديث ابن عمر وأبي هريرة ٦ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ . وابن ماجه من حديث أبي هريرة (وعن ابن عمر بتقديم وتأخير في اللفظ) ٢ : ١٠٨٤ . والدارمي من حديث جابر وأبي هريرة ٢ : ٩٩ .

فقـال قومٌ : معنـاه أن المؤمنَ يُسمّي اللهَ تَعـالى على طعـامِـه فتكون[1] فيـه الْبَرَكةُ ، والكافِر بخلافِ ذلك .

وقال آخرون : إنّما ضربَ هذا مَثلاً للزّهادةِ في الـدُّنيـا والحِرْصِ عليهـا فجَعل الْمؤمِنَ لقناعتِه باليَسيرِ من الدُّنيا كالآكِلِ في معىً واحـد ، والكافرَ لشدّةِ رغبتهِ في الدُّنيا كالآكلِ في سبعة أمعاء .

وهـذا القـولُ أصَـحُّ الأقـوال . ويشـدُّ لصحّتـهِ مـا رواهُ أبـو سعِيـد الخُدري ، رضيَ اللهُ عنـه[2] ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « إن أَخْوَفَ مـا أخـافُ عليكم مـا يخرِجُ اللهُ لكم من بَركاتِ الأَرضِ ؛ فقـال لـه رجُلٌ : يـا رسولَ الله ! هل يـأتي الخيرُ بـالشرّ ؟ فسكتَ رسول الله ﷺ حتّى ظننّـا أنه يُوحى إليه . ثمّ مسَح العرَقَ عن جَبينه وقالَ : أينَ السـائل ؟ فقـال : هـا أنـا ذا يـا رسولَ الله ! فقـال : إنَّ الخيرَ لا يـأتي إلا بـالْخَيرِ ، ثلاثـاً ، ولكنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حلوةٌ وإنَّ مما يُنبت الربيعُ مـا يَقْتُل حَبَطـاً أو يُلِمُّ إلا آكلة الخضر تأكلُ حتّى إذا امتلأَتْ خاصِرَتاهـا استَقْبلتِ الشّمسَ فَبـالَتْ وثَلَطَت ، ثم عادَتْ فـأكلَتْ ، إنّ هـذا المـالَ خضرةٌ حُلوة مَنْ أخـذَهُ بحقّـهِ وَوَضعَهُ في حقّه فَنعمَ المعونة هو[3] ؛ ومَنْ أخـذه بغيرِ حَقّـه ووضعَـهُ في غير[4] حَقّه كان كالذي يأكُلُ ولا يَشْبَعُ »[(٢٤)] .

---

1. في م : فيكون .
2. الجملة الدعائية لم ترد في ن .
3. الكلمة من ن .
4. في ط : بغير .

---

(٢٤) أخرجه البخاري ٢ : ١٢٧ ، ومسلم : ٧٢٨ ، والنسـائي ٥ : ٩٠ من حـديث أبي سعيـد الخـدري بألفاظ متقاربة . وانظر النهاية في غريب الحديث ٢ : ٤٠ . والجمهرة ١ : ٢٢٥ .

ونحوٌ من هـذا أيضـاً قـولُ أبي ذَرّ رحمـهُ الله[1] : (تَخْضِمُـونَ ونَقْضِمُ والْمَوعِدُ الله)[(٢٥)] .

والخَضمُ : الأكلُ بالفم كلّه . فضَربه مثلاً للرَّغبـة في الـدُّنيـا ، والقضْمُ : الأكلُ بأطرافِ الأسنان ؛ فَضربه مَثلاً للقَناعة ونَيل البُلغةِ من العَيْش .

وقيـل : الخضم أكل الرطب والقضم أكلُ اليـابس . وهـو نحـو المعنى الأول .

وقد يأتي مِن هذا الباب ما مَوضُوعه في اللُّغـةِ على العُموم ثمّ تُخصّصـه الشَّريعة كالمتعة فإنّهـا عنـد العَرب اسمٌ لكلّ شَيء استُمتع بـه لا يُخَصُّ بـه شَيء[2] دونَ آخر ، ثم نُقلت عَن ذلك واستُعملت في الشَّريعة على ضَربين :

أحـدهمـا : في المِتعـةِ الّتي كانت مُبـاحـة في أوّلِ الإسلام ثُمّ نُهِيَ عَنهـا ونُسخت بالنّكاح والوَلِيّ .

والثاني : ما تُمَتّعُ بـه المرأةُ من مَهرهـا ، كقولـه تعـالى : ﴿ وَمَتّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَـدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَـدَرُهُ ﴾[(٢٦)] ، ولأجلِ هـذا الـذي ذَكرنـاه وقَع الخِلافُ في قوله تعالى : ﴿ فَمَـا استَمْتَعْتُمْ بِـهِ مِنْهن فَـآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[(٢٧)] .

1. رحمه الله من ن . وفي ط : ونحو هذا قول أبي ذر .
2. في م : شيئاً .

(٢٥) النهاية ٢ : ٤٤ ، الخصائص ٢ : ١٥٧ .
(٢٦) سورة البقرة ٢ : ٢٣٦ . الآية : ﴿ لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَـاءَ مَـا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ ، عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بـالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(٢٧) سورة النساء ٤ : ٢٤ . الآية : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إلاَّ ما ملكَتْ أيْمَـانُكُمْ ، كِتَابَ اللهِ =

فكانَ ابنُ عبّاس يَذهب بمعناهُ إلى المِتعة الأُولى . وذهَب جماعةُ الفُقهاء إلى أنّ المِتعة الأُولى مَنسوخة ، وأنّ هـذه الآيـةَ كالّتي من (البَقرة) ؛ وأن مَعْنى قولهِ [٢٢ ب] : ﴿ فآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ ﴾[1] إنّما أرادَ المَهر .

والـدّليـلُ على صِحّـةِ قـولِ الجمـاعـةِ قـولُـه : ﴿ فـانكِحُـوهُنّ بـإذنِ أَهْلِهِنّ ﴾(٢٨) فَهذا المهرُ بإجماعٍ[2] .

☆ ☆ ☆

1. العبارة السابقة لم ترد في ط .
2. في ط : بالإجماع .

= عَليْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مـاوَرَاءَ ذَلِكُم أنْ تَبْتَغُوا بـأمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـافِحِينَ ، فَمـا اسْتَمْتَعْتُمْ بِـهِ مِنْهُنّ فَآتُوهنّ أجُورَهُنّ فَرِيضَةً ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيما تراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الفريضَةِ ، إنّ اللهَ كانَ علِيماً حكيماً ﴾ .

(٢٨) سورة النساء ٤ : ٢٥ . الآية : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَستطِعْ مِنكُمْ طَولاً أنْ يَنكحَ المُحصنات المُؤمنات فمِنْ مَا ملكتْ أيْمانُكمْ مِنْ فَتياتِكمُ المؤمنَات ، وَاللهُ أعْلَمُ بإيمَانِكمْ ، بعضُكمْ مِنْ بَعْضٍ ، فَانكِحُوهُنّ بإذْنِ أهلِهنّ وَآتُوهُنّ أجُورهُنّ بـالْمعرُوفِ ، مُحْصَنـات غيْرَ مُسـافِحـات وَلا متّخِـذات أخْـدانٍ ، فَـإذَا أُحْصِنّ فإنْ أتينَ بفاحِشةٍ فعَليْهِنّ نِصْفُ مَا عَلى المُحصَنـاتِ مِنَ الْعَـذَاب ذلـك لِمنْ خَشِيَ الْعَنتَ مِنْكُمْ وَأن تَصبروا خَيْرٌ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

البَابُ الخَامِس

في الخلاف العارض مِن جهَةِ الرّوايَةِ

هذا البـابُ لا تتمُّ الفـائـدةُ التي قَصـدنـاهـا منـهُ إلا بمعرفـةِ العِلَلِ التي تَعرضُ للحديثِ فَتُحيل مَعناه ؛ فربّما أوهمتْ فيه معارضةً بعضِـه لبعض ، وربّما ولّدتْ فيهِ إشكالاً يُحوِج العلماءَ إلى طَلب التّأويل البَعيد .

ونحنُ نذكرُ العِلَل كم هي ؟ ونـذكُر من كلّ نوعٍ منهـا مِثـالاً أو أمثلـة يُستدلّ بها على غيرها إنْ شاءَ الله تَعالى .

اعْلَمْ أنّ الحديثَ المأثورَ عن رَسُول الله ﷺ وعن أصحابِه والتّابعين لهمْ بإحسان[1] ، رضيَ الله عنهم ، تَعرض لهُ ثماني عِلل :

أُولاها[2] : فسادُ الإسناد .

والثّانية : من جهةِ نقلِ الحَديثِ على مَعناه دونَ لَفظه .

والثالثة : من جِهَةِ الجَهلِ بالإعراب .

والرّابعة : من جهةِ التّصحيفِ .

والخامسة : من جِهةِ إسقاط شيءٍ من الحَديث لا يتمّ المعنى إلاّ به .

والسّادسة : أنْ يَنقُلَ المحدّث الحـديثَ[3] ويُغفل نقلَ السّبب المُوجب له أو بِساط الأمر الّذي جرَّ ذكره .

والسّابعة : أن يَسمع المُحدّث بعضَ الحديث ويفوتَهُ سَماعُ بعضِه .

والثامنة : نقلُ الحَديث من الصّحف دون لقاء الشّيوخ .

---

1. (بإحسان) من ن فقط .

2. في ن ، ط : أولها .

3. في ط : بعض الحديث .

العلة الأولى :

وهي فَسادُ الإسنـاد وهـذه العلّـةُ أشهَرُ العِلل عنـد النّـاس ، حتّى إن كثيراً منهم يتَوهّمُ أنه إذا صَحَّ الإسناد صَحَّ الحديث ؛ وليس كذلك ؛ فإنه قد يَتّفقُ أن يكونَ رُواةُ الحديث مَشهورين بـالعـدالـةِ ، مَعروفين بصحّـةِ الـدّين والأمـانـةِ ، غيرَ مطعـونٍ[1] عَليهم ولا مُستراب بنقلهم وتَعرضُ[2] مَـع ذلـك لأحـاديثهم أعراضٌ على وجُـوه شَتّى من غيرِ قَصـدٍ مِنهم إلى ذلـك ؛ على ما تَراهُ في بقيّة هذا الباب ، إن شَاء اللهُ سُبحانه وتعالى .

والإسنادُ يعرضُ له الفَسادُ من أوجه[3] :

منها الإرسالُ وعدمُ الاتّصال .

ومنها أن يكونَ بعضُ رُواتِه صـاحبَ بِـدعـة ، أو متّهماً بكـذبٍ وقلّـة ثقة ، أو مشهوراً ببَلَهٍ وغَفلة ، أو يكونَ متعصّباً لبعضِ الصّحابة مُنحرفـاً[4] عن بَعضهم . فإنَّ مَنْ كان مَشْهُوراً بالتّعصّب ثم رَوى حَديثاً في تَفضيلِ مَنْ يَتعصّب لـه ولم يَرِدْ منْ[5] غَيرِ طريقـه لـزم أن يُسْتَرابَ بـه[6] ، وذلـك أنَّ إفراطَ عصبيّة الإنسـانِ لمنْ يتعصّبُ لـه وشـدّة محبتـه [٢٣ أ] يَحملُـه على افتعـالِ الحَـديث ، وإن لم يفتعلـه بَـدَّلـه وغيَّر بعضَ حُروفـه ؛ كنحو مـا

---

١. في (ن) : غير مطعونين عليهم . في م ، ط : وغير مطعون .
2. في ط : ويعرض .
3. في م : من وجوه .
4. في ن : متحرفاً .
5. في ن : (في) .
6. في ن : له .

فعلتِ الشّيعة : فإنهمْ رَوَوا أحاديثَ كثيرةً في تَفضيل عليّ رضي الله عنـه ، ووجوب الخلافة لهُ يُنكرِها أهلُ السُّنة ؛ مثل روايتهم[(١)] : « أنَّ نجماً سَقط على عَهـد رسولِ الله ﷺ فقـالَ : انظُروا فَفي منزلِ مَن وقع[1] فهو الخليفـة بعـدي ، فنظروا فـإذا هو قـد سَقـط في دار عليّ . فـأكثَر النّـاسُ في ذلـكَ الكلامَ فـأنزلَ اللهُ تَعـالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إذا هَـوى . مَـا ضَـلَّ صَـاحِبُكُمْ ومـا غَوَى ﴾[(٢)] » فهـذا حـديثٌ لا يشـكُّ[2] ذُو لُبٍّ في[3] أنّـه مصنوعٌ مُركَّبٌ على الآية !

وكالذي فَعلت المُعتزلة فإنَّهم تجاوَزُوا تَغيير الحَـديث إلى أنْ رامُوا تغييرَ القُرآن[(٣)] ، فلم يَصحّ لهم ذلك في القُرآن لإجماعِ الأُمّة عَليه ، وصَحّ في كَثيرٍ من الحَـديث ، فغيّروا في المُصحف مواضـعَ كثيرة كقراءتهم : (مِن شَرٍّ مـا

1. زاد في (ن) : وقع فيه .
2. في ط : أحد ذو لب .
3. كلمة (في) لم ترد في ن .

(١) وفي الحديث المشار إليه : « فقال جماعة من الناس : قـد غوى محمد في حب عليّ ، فـأنزل الله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ إلى قولـه تعـالى : ﴿ وحيٌ يوحى ﴾ » . ويجعلونـه من روايـة ابن عباس ، وأنس بن مالك .
والحديث باطل لا أصل له . (انظر : اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعـة للسيوطي ١ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ الطبعة الأولى) .

(٢) سورة النّجم ٥٣ : ١ ـ ٢ .

(٣) في كلام المؤلف مبالغة ، دعته إليها غيرتـه ، وفيـه مجـازفـةٌ أيضـاً . ولا بـدّ من أن نفهم قولـه ـ رحمـه الله ـ : (فغيّروا في المصحف ... إلـخ) على معنى الأخـذ بغير القراءات المشهـورة ، وتوجيه المعنى عليها أحياناً .

خَلق)[٤] بالتَّنوين ، وقراءتهم : (قالَ عَذابي أُصِيْبُ بِهِ مَنْ أَساءَ)[٥] بسين غيرِ مُعجمة وفَتح الهَمزة . وقالوا في قولِه تَعالى : ﴿ وَلَقَد دَرَأْنا لِجَهَنَّم كَثيراً مِنَ الْجِنِّ والإنْسِ ﴾[٦] إنّ[1] معناه دفَعنا . وأنشَدُوا قولَ المثقّب[٧] :

---

١. (إن) لم ترد في ن .

---

(٤) قال أبو حيّان الأندلسي في البحر المحيط (٨ : ٥٣٠) : قرأ عمرو بن فايد (مِنْ شرٍّ) بالتنوين . ونقل عن ابن عطية المحاربي الأندلسي : قرأ عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم يخلق الشرّ (مِنْ شَرٍّ) بالتنوين (ما خَلَق) على النّفي . قال : وهي قراءة مردودة ، مبنية على مذهب باطل . الله خالق كل شيء . ولهذه القراءة وجهٌ غير النفي فلا ينبغي أن تُرَدّ ، وهو أن يكون (ما خلق) بدلاً من (شر) على تقدير محذوف أي : مِنْ شرٍّ شرِّ ما خلق . فحذف [كلمة شرّ الثانية] لدلالة (شر) الأولى .

(٥) الأعراف ٧ : ١٥٦ . قال ابن جنّي (المحتسب ١ : ٢٦١) : إنها قراءة الحسن البصري وعمرو بن فايد الأسواري . وفي البحر المحيط (٤ : ٤٠٢) : وقرأ زيد بن علي والحسن وطاووس وعمرو بن فايد (مَنْ أساء) من الإساءة . ونقل عن أبي عمرو الداني أنه لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاووس . وقال ابن حيّان : وللمعتزلة تعلّق بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد ، ومن جهة خلق المرء أفعاله ، وأنّ (أساءَ) لا فعل فيه لله تعالى .

(٦) سورة الأعراف ٧ : ١٧٩ . الآية : ﴿ ولَقَد ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِنَ الْجِنِّ والإنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها ولَهُمْ أعْيُنٌ لا يُبْصِرونَ بِها ولَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أولئِكَ كالأنْعامِ بَل هُم أضَلُّ أولئِكَ هُمُ الغافِلونَ ﴾ .
ولم أقف على من قرأ (دَرَأْنا) بدال غير معجمة ، كما نقل المؤلف . ولم يتحدّث عن مثل هذه القراءة : أبو حيان في البحر المحيط ، أو القرطبي في (الجامع) ، أو الزمخشري في (الكشاف) ، أو ابن جني في (المحتسب) ، أو القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن (١ : ٣٠٥) .

(٧) والبيت للمثقّب العبدي من مفضلية مشهورة (المفضليات : ٢٩٣) وفي شرح المفضليات للتبريزي (٢ : ١٠٣٣) . قال في الشرح : معنى درأت : دفعت وأزلت الشيء عن موضعه . والوضين بمنزلة الحزام . ودرأته : مددته وشددت به رحلها . والدين هنا : الدأب والعادة . تحدث الشاعر عن ناقته ، وشكواها من حلّه وترحاله وكثرة أسفاره .
ولم يروِ أحدٌ من القدماء الثقات (ذرأت) بالمعجمة . وهذا تحريف لا شكّ .

تَقــولُ إذَا ذَرَأْتُ لهـــــا وَضِيني   أهـــذا دينُـــهُ أبـــداً وَدِيني ؟

وليسَ كما زَعَمُوا ؛ إنّما يُقال في الدَّفع : (دَرأتُ) بـدالٍ غير مُعجمـةٍ ، وكـذلـك رُوي بيتُ المثقب بـدالٍ غير معجمـة ، وإنمـا (ذرأنـا) بـالـذال مُعجمةً بمعنى خَلَقْنا .

وقد رُوي عن بَعضهم أنّه قَرأَ : (ولقد درأنا) بالدال غير مُعجمة[1] .

ومّما يبعثُ على الاسترابةِ بنقلِ النّاقل أنْ يُعلَم منهُ حِرصٌ على الدُّنيا ، وتهافتٌ على الاتّصالِ بالُملوك ونَيل المَكانـة والحظوة عِنـدهم . فـإنَّ مَنْ كان بهـذه الصّفـة لم يُـؤمَنْ عليـهِ التّغييرُ والتّبـديـل ، والافتعـال[2] للحَـديث ، والكذب ، حِرصاً على مكسَب[3] يحصلُ عَليه ؛ ألا تَرى إلى قول القائل(٨) :

ولستُ وإنْ قُرِّبْتُ يَـومـاً ببـائـعٍ   خَـلاقي ولا دِيني ابتغـاءَ التَّحبُّبِ

ويعتـــدُّه قــومٌ كثيرٌ تِجـــــارةً   ويَمنعني من ذاكَ دِيني ومَنْصِبي

وقـد نبّـه رسول الله ﷺ على نحـوِ هـذا الّـذي ذكرنـاهُ بقـولـه : « إنَّ الأحـاديثَ سَتكْثُرُ بعْـدي كَما كَثُرَتْ عَنْ الأنبيـاء قَبْلِي فَما جَـاءَكُمْ عَنِّي

---

1. (بالدال غير المعجمة) لم ترد في ن .
2. في م و ط : أو الافتعال .
3. في م : مكتسب .

---

(٨) البيتان من قطعة حماسية للبعيث الحنفي (شرح الحماسة للمرزوقي ١ : ٣٧٩) ولأبيه شعر أيضاً في الحماسة . قال الآمدي في ترجمة البعيث إنه شاعر محسن . وقال عن أبياته هذه إنها أبيات جياد مختارة .
والبيتان يتردّدان في كتب الأدب والاختيارات الشعرية في أثناء نصّه المختار . (وانظر أيضاً المؤتلف والمختلف : ٧٢ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٧٦) .
ورواية البيت الأول : (خلاقي ولا قومي ... إلخ) .

فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَمَا وَافَقَ كتَـابَ اللهِ[1] فَهُوَ عَنِّي ؛ قُلْتُـه أَوْ لم أَقُلْهُ »[(٩)] [٢٣ ب] .

وقد رُوي أنّ قَوماً من الفُرسِ واليَهودِ وغيرِهم لّما رأوا الإسلامَ قـد ظَهر وَعَمَّ ودوّخ وأذلَّ[2] جميعَ الأممِ ورأوا أنّـه[3] لا سبيلَ إلى مُنـاصبتـه رجَعـوا إلى الحِيلـة والمَكيـدة فـأظْهَرُوا الإسـلامَ عن غَيْرِ[4] رغبـةٍ فيـه وأَخَـذُوا أنفُسَهم بالتعبُّدِ والتقشُّفِ فلمّا حمد الناسُ طَريقتهم وَلَّدُوا الأحـاديثَ والمقـالاتِ ، وفَرّقُوا النّاسَ فِرَقاً . وأكثرُ ذلكَ في الشّيعـةِ كما يُحكى عن عَبـد اللهِ بن سَبـأ اليَهودي : (أنّه أسْلَم واتّصل بعلي ، رضي الله عنه ، وصار من شِيعته فلمّـا أُخبر بقَتلـه وموتـه قـال : كـذبتُم والله لو جئتمـوني[5] بـدمـاغـه مَصْروراً في سَبعين صُرّة مـا صـدّقتُ[6] بمـوتـه ؛ ولا يمـوتُ حتّى يَمـلأ الأرضَ عـدلاً كما مُلئت جَوراً ، نجد ذلـك في كتـاب الله) ! فصـارت مقـالـةً يُعرفُ أهلُهـا

---

1. في (ن) : كتاب الله تعالى .
2. (وأذل) لم ترد في ن .
3. في م ، ط : ورأوا أن لا سبيل ...
4. في م ، ط : من غير .
5. في م ، ط : جئتمونا .
6. في م ، ط : ما صدقنا .

---

(٩) في الموافقات للشاطبي الأندلسي (٤ : ١٨) ما نصه : (وربّما ذكروا حديثاً يعطي - يُفيد - أن الحديث لا يَلتفتُ إليه إلا إذا وافق كتاب الله تعالى . وذلك ما روي أنه عليه الصلاة والسّلام قال : « ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا . وكيف أخالف كتاب الله ، وبه هداني الله ؟ » قال عبد الرحمن بن مهدي : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث .
قالوا : وهذه الألفاظ لا تصحّ عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه) . انتهى .
قلت : وبين الروايتين عند البطليوسي والشاطبي خلاف في نهاية الخبر . ولم أقف على الصّيغة التي أوردها المؤلف في الإنصاف لهذا الخبر .

بالسَّبَئيّة ؛ وأنه قال : (إنّ عَلِيّاً هو الإلّه ، وأنّـه يُحيي المَوتى ، وأنّـه غـابَ ولم يَمُت !) .

وإذا كان عُمر بن الخطاب[1] رضي الله عنـه يتشـدّد[2] في الحـديث ، ويَتوعَّد عليـه والزّمـانُ زمـانٌ ، والصَّحـابـة مُتوافرون ، والبِـدعُ لم تَظهر والنّـاسُ في القَرن الـذي أثْنى عليـه رسولُ الله ﷺ فما ظنُّـك بـالحـالِ في الأزمنةِ التي ذَمَّها رسول الله ﷺ[3] وقد كَثُرت البِدَع وقلَّت الأمانة ؟

وللبخاري[4] ـ رحمه الله ـ في هذا الباب غَنـاءٌ[5] مشكورٌ وسَعيٌ مبرور ؛ وكذلك لِمُسلم(١٠) وابنِ مَعِين[6] ؛ فإنهم انتقدوا الحـديث ، وحرّروه ، ونبهوا على ضُعفاء المحدّثين والمتّهمين بـالكـذب ، حتّى ضَجَّ من ذلـك مَنْ كان في عَصرهم . وكان ذلـك أحـد الأسبـاب التي أوغرتْ صـدورَ الفُقهـاء على البُخاري ، فلم يَزالوا يرصُدون لـه المكارهَ حتى أَمكنتهم فيـه فُرصةٌ بكلمـةٍ قالَهـا فَكفّروه بهـا[7] وامتَحنُوه وطَردوه من موضعٍ إلى موضع ، وحتّى حمل

---

1. (بن الخطاب) لم ترد في ن .
2. في (ن) : يشدد .
3. (رسول الله ﷺ) عبارة لم ترد في غير ن .
4. في م ، ط : وللبخاري أبي عبد الله .
5. في م ، ط : عناء .
6. في ط : ولابن معين .
7. كلمة (بها) من م ، ط .

---

(١٠) الإمام البخاري محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) .
والإمام مسلم بن الحجّاج (ت ٢٦١) .
وابن معين ، وهو : يحي بن معين بن عون الغطفاني (مولاهم) البغدادي أحد الأئمّة الأعلام ، ومن أعلم الناس بصحيح الحديث ، وسقيمه . وفي طبقات الحنابلة : قال يحي بن معين : كتبنـا عن الكذّابين وسجرنا به التنّور وأخرجنا به خبزاً نضيجاً !!
(طبقات الحنابلة ١ : ٤٠٢ ، وطبقات الحفاظ : ١٨٥ ، تاريخ بغداد ١٤ : ١٧٧) .

بعضَ الناسِ قَلقُه من ذلك على أن قال(١١) :

ولابنِ مَعينٍ في الرِّجالِ مَقالةٌ سَيُسْأَلُ عنها والمليكُ شهيدُ
فإنْ يكُ حقّاً قولُه فهو غيبةٌ وإن يكُ زُوراً فالعِقابُ شديدُ !

وما أخلَق قائلَ هذا الشّعر بأن يكونَ دفع مَغْرَماً ، وأسرَّ حَسْواً في ارتغاء(١٢) ، لأنّ ابن مَعين فيما فعَل أجدرُ بأن يكون مأجُوراً مِن أن يكون موزوراً ، وألاّ يكونَ في ذلك [٢٤ أ] مَلوماً بل مشكوراً(١٣) .

العلة الثانية :

وهي نقلُ الحديثِ على المَعنى دون لفظِ الحَديث[1] بعينِه . وهذا البابُ يَعظُم الغلطُ فيه جدّاً . وقد نشأت منه بين النّاسِ شُغوبٌ شَنيعة ؛ وذاك أن أكثر المُحَدِّثين لا يُراعون ألفاظَ النبيِّ ﷺ التي نطق بها ، وإنما ينقُلون إلى مَنْ بعدهم معنى ما أَرادَهُ بألفاظٍ أُخَرَ[2] . ولذلك تجدُ الحديثَ الواحدَ في المعنى الواحدِ يَرِدُ بألفاظٍ شَتّى ولُغاتٍ مُختلفة يزيدُ بعضُ ألفاظِها على بعضٍ وينقُص بعضُها عن بَعض[3] . على أنّ اختلافَ ألفاظِ الحديثِ قدْ

---

1. في ط : دون اللفظ . وفي م : دون لفظ المحدّث .
2. في ط : أخرى ... نجد .
3. (وينقص بعضها عن بعض) ناقصة في ط .

---

(١١) لم أقف على قائل الشعر .

(١٢) قول المؤلف : (أسرّ حسواً في ارتغاء) هذا مَثلٌ . وعبارته في كتب الأمثال : (يُسر حسواً ... إلخ) . ويضرب في الرجل يُبدي (يظهر) أمراً وهو يريد غيره ! قال الأصمعي : وأصله : الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصّة ... وهو في ذلك ينال (يشرب من اللّبن !) . فصل المقال : ٧٦ .

(١٣) نقل الخطيب البغدادي في ترجمة يحي بن معين قول بعض المحدّثين فيه :

ذهب العليمُ بعيب كل محدّثٍ وبكلّ مختلفٍ من الإسنادِ
وبكلّ وَهْمٍ في الحديث ومُشكلٍ يُعيي به علماء كلّ بلادِ

يَعرِضُ من أجل تكرير النبي ﷺ (في)[1] مجالسَ عدّة مُختلفة . وما كان من الحديثِ بهذه الصّفة فليس كلامُنا فيه ، وإنما كلامُنا في اختلافِ الألفاظِ التي[2] تعرِضُ من أجلِ نقلِ الحديثِ على المعنى .

ووجه الغلط الواقع من هذه الجهة أنّ الناس يتفاضلون في قرائحهم وأفهامهم كما يتفاضلون في صورهم وألوانهم وغير ذلك من أمورهم وأحوالهم فربما اتفق أن يسمع الرّاوي الحديثَ من النبي ﷺ أو من غيره فيتصوّر معناهُ في نفسِه على غير الجهة التي أرادها فإذا عَبَّر[3] عن ذلك المعنى الذي تصوَّر في نفسِه بألفاظٍ أُخَر كان قد حَدَّث بخلافِ ما سمعَ عن[4] غيرِ قصدٍ منهُ إلى ذلك . وذلكَ أنّ الكلامَ الواحدَ قد يحتملُ معنيين وثلاثةً . وقد تكون فيه اللفظةُ المشتركةُ التي تقعُ على الشّيء وضدّه كقوله ﷺ : « قُصُّوا الشّواربَ[5] وأَعفُوا اللّحَا(١٤) » . فقوله : « أعفُّوا » يحتمل أن يريد : وَفِّروا وكثّروا[6] . (ويُحتمل أن يريد به : قلّلوا وخفّفوا)[7] فلا يُفهم مراده من ذلك إلا بدليلٍ من لفظ آخر ؛ والمعنيان جميعاً موجودان في كلام العرب . يُقال : عَفا وَبَرُ الناقة إذا كَثُر ، وكذلك : عَفا[8] لحمُها . قال الله

---

1. لم ترد في : ن .
2. في ط : الذي يعرض .
3. في م ، ط : وإذا عبّر .
4. في م ، ط : من غير .
5. في م ، ط : الشارب .
6. في م ، ط : أن يريد به كثّروا ووفّروا .
7. لم ترد العبارة في ن .
8. كلمة (عفا) لم ترد في م ، ط .

---

(١٤) سبق تخريجه .

عزّ وجل : ﴿ حتّى عَفَوْا ﴾[15] أي كَثُروا . قال جرير[16] :

ولكنّـــا نُعضُّ السيف منهـــا بـأسـؤقِ عــافيــاتِ اللَّحْمِ كُــوم

ويقال عفا المنزل إذا درس . قال زهير[17] :

عَفـــا مِنْ آلِ فــاطمـــةَ الجِــواءُ فيُمنٌ فـــالقــوادمُ فـــالحســـاءُ[1]

ففي مثلِ هذا يجوزُ أن يذهبَ النبي ﷺ إلى المعنى الواحد [٢٤ ب] ، ويذهب الراوي عنه إلى المعنى الآخر ؛ فإذا أدّى معنًى ما سمع دون لفظـهِ بعينه كان قد رَوى عنه ضدَّ ما أراده غيرَ عامد .

ولو أدّى لفظَه بعينِه لأوشكَ أن يفهمَ منه الآخر ما لم يفهم الأوّل .

وقد علم ﷺ أن هذا سيعرضُ بعده فقال مُحذِّراً من ذلـك[18] : « نَضَّرَ

1. ورد في ط ، م : الشطر الأول فحسب .

(١٥) سورة الأعراف ٧ : ٩٥ . والآية : ﴿ ثم بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئةِ الحَسَنةَ حتى عَفَوْا وقالوا قَدْ مسّ آباءَنا الضَّرّاءُ والسَّراءُ فَأخذْناهم بَغْتَةً وهُمْ لا يَشْعُرون ﴾ . وفي القرطبي عن ابن عباس : حتى عفوا : أي حتّى كثروا .

(١٦) ورد البيت قبل هذا الموضع وهو للشاعر لبيد في ديوانه : ١٠٤ (ط الكويت) الصفحة : ٣٦ .

(١٧) ديوان زهير (صنعة ثعلب) : ٥٦ .

(١٨) أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت الأنصاري : « نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه . فرب مبلغ أحفظ من سامع » وبألفاظ أخرى . وأخرجه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه . وعن جبير بن مطعم ، والخطبة فيه في ٢ : ١٠١٥ . وفي كتاب العلم (فتح الباري ١ : ١٣٠) : « فإن الشاهِدَ عَسَى أنْ يبلّغ مَنْ هُوَ أوْعى لَهُ مِنْه » .
وفي الدارمي ١ : ٧٤ : « فَرحِمَ اللهُ مَنْ سَمِعَ مقالَتِي اليوم فَوَعاها فَرُبَّ حامِلِ فقهٍ ولا فِقْهَ لَـهُ . ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أفْقَهُ منه » . (عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) .

اللهُ امْرءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوعَاهَا وَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَها فَرُبَّ مُبلِّغٍ أَوْعَى مِنْ مُبَلِّغٍ »[1] .

ومن نحو هذا ما روي عنه ﷺ : « أنَّ رجلاً جَاءَه فقال : أيجوزُ إتيانُ المرأة في دُبُرِها فقالَ : نَعَمْ ، فلما أدْبَرَ الرجلُ قال : رُدُّوه عليّ فلما رجع قال : في أي الخرطتين[2] أردت ، أمّا من دُبُرِها في قُبلها فَنَعم وأمّا من دبُرها في دبُرها فلا »(١٩) .

وقد غلط قوم في حديث عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى : « إذا حاضتِ المرأة حَرُمَ الجُحران »(٢٠) فتوهّموا أن هذا الكلامَ ينفكُّ منه جواز الإتيان في الدُّبُر ! وهذا غلطٌ شديدٌ ممّن تأوّله .

وَقَدْ[3] رواه بعضهم : (الجُحرانُ) بضم النّون ، وزعَم أن الجُحران : الفرجُ . ذكَر ذلك ابن قتيبة .

والرواية الأولى هي المشهورةُ ، وليس في الحديثِ شيءٌ ممّا توهّموه . وإنما كان يلزمُ ما قالوه لو كانت الطهارةُ من المحيضِ شرطاً في جواز إتيان المرأة في جُحريها معاً ، فكان يلزمُ عند ذلك أن يكونَ ارتفاعُ الطهارة

1. في ط : من سامع .
2. الخربتين في ط .
3. في م : وقال .

(١٩) باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن (ابن ماجه ٦١٩ - ٦٢٠) . وانظر : النهاية في غريب الحديث (خرب) .

(٢٠) أورده بألفاظه في النهاية (جحر) ، وقال : يُروى بكسر النُّون على التثنية ، تريد الفرج والدُّبر ، ويروى بضم النون وهو اسم الفرج بزيادة الألف والنون تمييزاً له عن غيره من الجحرة . وقيل : المعنى أن أحدهما حرام قبل الحيض ، فإذا حاضت حرما جميعاً .

سَبباً لتحريمها معاً ، كما كان شَرطاً في تحليلها معاً . فإذا لم يجدوا سَبيلاً إلى تصحيح هذه الدَّعوى لم يلزمْ ما قالوه .

وإنما المعنى في قول[1] عائشة رضي الله عنها أن فَرْجَ المرأةِ يُخالف دبُرها في إباحة أحدهما وتحريم الآخر . والإباحةُ التي خالفت بينهما معلقةٌ بشرط الطّهارة من الحيضِ ، فإذا ارتفع شرطُ الطّهارة ارتفعت الإباحةُ التي كانت معلّقةً به ، فاستويا معاً في التّحريم لارتفاعِ السّبب الذي فرَّق بينهما . وهذا كقول قائلٍ لو قال : (إذا أَسْكَرَ النبيذ حَرُمَ الشرابانِ) ؛ يريدُ الخمرَ والنبيذَ ، أي استويا في التَّحريم . لأن النّبيذَ إنما خالفَ الخمرَ بشرط عدمِ الإسكارِ ؛ فلما ذهبَ السببُ والشرطُ الذي فرّق بينهما تساويا معاً في التحريم[2] فكما أن هذا القولَ لا يلزمُ منه إباحة الخمرِ قبل وجودِ الإسكار في النبيذ فكذلكَ قولُ عائشةَ رضي الله تعالى عنها لا يلزم منه إباحةُ نِكاح الدُّبرِ قبل وجودِ الحَيض في الفَرْج .

ونظير هذا أيضاً [٢٥أ] أنَّ[3] رجلاً لو كانَ معَه ثوبان : أحدهما فيه نجاسةٌ تَحْرُمُ عليه الصلاة به ، والآخر طاهرٌ يجوز له الصلاة به . ثم أصابت الثاني نجاسةٌ فقال له قائل : قد حَرُمت الصلاةُ عليك[4] بالثوبين . إنما أرادَ أنّ الثوبَ الثاني قد صار مثلَ الأول في التحريم ؛ لعدمِ الشّرط المفرِّق بينهما .

وقد جاء في حديث النبي ﷺ ما ينحو نحو هذا ، وإن لم يكنْ مثله

1. في سائر النّسخ : في حديث . والمثبت من (ن) .
2. في التحريم : سقطت من م .
3. في م ، ط : لو أن رجلاً .
4. في م ، ط : عليك الصلاة بالثوبين إنما الراد .

من جَميع الوُجوه . وذلكَ ما رُوي عنه من قوله عليه السَّلام : « مَنْ سَرَّه أن يذهبَ كثيرٌ مِنْ وَحَرِ صَدْرِهِ فَلْيَصُمْ شهرَ الصَّبْرِ وثلاثةَ أيامٍ مِنْ كُلِّ شهر »(٢١) . يُريد بشهر الصَّبر شهرَ[2] رمضان . وليس المُراد أن شهرَ الصّبر مُباحٌ الأكلُ فيه لمن لم يَسُرّه ذهابُ وحَرِ صدره ؛ وإنّما معناهُ فليضف إلى شهر الصّبر الواجبِ صومُه على كل حالٍ ثلاثةَ أيّامٍ يصومُها من كل شهر .

ومن طَريف[3] الغلط الواقع في اشتراك الألفاظ ما روي (من)[4] : « أن النبي ﷺ وهب لعلي رضي الله عنه عمامة تسمّى السَّحاب فاجتاز علي رحمه اللهُ[5] متعمّماً بها فقال النبي عليه السَّلام[6] لمن كان معه : أما رأيتُم عليّاً في السَّحاب »(٢٢) أو نحو هذا من اللفظ ، فسمعه بعض المتشيّعين لعلي رضي الله عنه فظنّ أنه يريد السَّحاب المَعروف . فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة أنّ علياً في السحاب[7] ! ولذلك قال إسحاق بن سويد الفقيه(٢٣) :

1. في م ، ط : وذلك ما روي منه ﷺ من قوله :
2. كلمة (شهر) من ن فقط .
3. في م ، ط : ظريف ، بالمعجمة .
4. (من) لم ترد في ن .
5. في م ، ط : رضي الله عنه .
6. في م ، ط : ﷺ لمن كان معه أرأيتم .
7. في م ، ط زيادة : إلى يومنا هذا .

(٢١) النسائي في باب صوم ثلاثة أيام من الشهر . والمجازات النبوية : ٢٧٢ باللفظ نفسه . قال ابن الأثير : (وَحَر) : هو غشه ووساوسه . وقيل : الحقد والغيظ . وقيل : العداوة . وقيل : أشد الغضب .

(٢٢) في النهاية (سحب) فيه : « كان اسم عمامة النبي ﷺ سحاباً سميت به تشبيهاً بسحاب المطر لانسحابه في الهواء » .

(٢٣) هو إسحاق بن سويد العدوي ، فقيه محدّث ، معدود في رجال البصريين ؛ من ثقات المحدثين . (الجرح والتّعديل ٢ : ٢٢٢) .

برئتُ من الخَوارجِ لستُ مِنْهُم		من الغَزّالِ منهم وابنِ بابِ
ومن قومٍ إذا ذَكَرُوا عليّاً		يردّونَ السَّلامَ على السَّحابِ
ولكني أُحبُّ بكلِّ قَلْبي		وَأعلَمُ أنَّ ذاكَ مِنَ الصَّوابِ
رسولَ اللهِ والصّدّيقَ حُبّاً		بهِ أرجو غداً حُسنَ الثوابِ(٢٤)

وقد جعل بعض[1] العلماء من هذا الباب الحديث المروي في خلق آدم على صُورةِ الرّحمن . قالوا : وإنما قال رسول الله[2] ﷺ : « خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلى صُورَتِهِ »(٢٥) والهاء راجعة إلى آدم ، فتوهم بعض السّامعين أنّها عائدة على الله سبحانه وتعالى ، فنقله على المعنى دون اللفظ ؛ وهذا الذي قالوه لا يلزم . وسنتكلّم على هذا الحديث إذا انتَهينا[3] إلى موضعه من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

فهذه أمثلة من هذا النوع تنبّه على بقيّته إن شاء الله تعالى .

العلة الثالثة :

وهي الجهلُ بالإعراب ومعاني كلام العرب [٢٥ ب] ومجازاتها ، وذلك أن كثيراً من رواة الحديث قومٌ جُهّالٌ بلسانِ العَرب[4] لا يفرّقون بين

1. في ط : بعض من العلماء .
2. في ط : قال ﷺ .
3. في م ، ط : إذا أتينا .
4. في م ، ط : باللسان العربي .

(٢٤) الشعر في الكامل للمبرّد ٣ : ١٩١ ـ ١٩٢ . والعقد لابن عبد ربه ٢ : ٤٠٥ . والبيتان ١ ـ ٢ في : الفرق بين الفرق : ١١٩ .
والغزال لقب واصل بن عطاء أحد متقدّمي المعتزلة .
وابن باب هو عمرو بن عبيد بن باب : أحد رؤوس المعتزلة ، وكان زاهداً ورعاً .
(٢٥) سبق تخريج الحديث .

المرفوع ، والمنصوب ، والمخفوض ؛ ولعمري لو أن العرب وضعت لكل معنىً لفظاً يؤدّي عنه لا يلتبسُ بغيره لكان لهم عذرٌ من[1] ترك تعلّم الإعراب ، ولم يكن لهم[2] حاجةٌ إليه في معرفة الخطأ من الصواب .

ولكن العرب قد تفرق بين المعنيين المتضادّين بالحركات فقط واللفظ واحد . ألا ترى أن الفاعل والمفعول ليس بينهما أكثر من الرفع والنصب فربّما حدّث المحدّث بالحديث فرفع لفظة منه ينوي بها أنّها فاعلة ونصب أخرى ينوي بها أنّها مفعولة فنقل عنه السّامع ذلك الحديث فرفع ما نصب ونصب ما رفع جهلاً منه بما بين الأمرين فانعكس المعنى إلى ضدّ ما أراده المحدّث الأول .

ألا ترى أن قوله ﷺ : « لا يُقتلُ قُرَشِيٌّ صَبْراً بَعْدَ اليوم »(٢٦) إذا جزمتَ اللام من (يقتل) كان له معنى ، وإذا رفعتَ كان له معنى آخر .

ولو أن قارئاً قرأ :

﴿ هُوَ الأوّلُ والآخَرُ ﴾(٢٧) ففتح الخاءَ لكان قد كفَر وأشركَ بالله[3] ، وإذا كسر الخاء آمن وَوَحَّد ، فليس بين الإيمانِ والكفرِ غَير حركةٍ .

---

1. في م ، ط : في ترك .
2. في ط : بهم .
3. في خ : بالله تعالى .

---

(٢٦) في صحيح مسلم (٣ : ١٤٠٩) من حديث عبد الله بن مطيع عن أبيه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : لا يُقتل قرشيّ صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة » .
وقتل الصبر هو أن يُمسك (يُحبس) شيء من ذوات الروح ثم يُرمى بشيء حتّى يموت !

(٢٧) سورة الحديد ٥٧ : ٣ . والآية : ﴿ هو الأوّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطِنُ وهو بكُلِّ شيءٍ عليم ﴾ .

ولذلك قالَ ﷺ : « رَحِمَ اللهُ امرأً أصْلَحَ مِنْ لِسانِه »[٢٨] . وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : « تَعَلَّموا الفرائِضَ والسُّنَّةَ واللَّحنَ كما تَتَعلَّمون القُرآنَ »[٢٩] .

واللحن : اللغة ، قال الشاعر[٣٠] :

وما هاج هذا الشوق إلاّ حمامةٌ تبكّتْ على خَضْراء سُمر قيودُها
صدوحُ الضُّحى معروفة اللحن لم تَزلْ تقودُ الهوى من مُسْعدٍ ويقودها

وكذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ ﴾[٣١] ليسَ بين الإيمان والكفرِ فيه غيرُ فتح الواو وكسرها . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ ﴾[٣٢] .

ولو أنّ رجلين تقدَّما إلى حَكَمٍ يدَّعي أحدُهما على صاحبه بثوبٍ فقرّره الحكَم على ذلك ، فإنه إنْ قال : (ما أخذتُ له ثوبٌ) فَرَفَع[1] أقرّ

1. في ط : بالرفع .

(٢٨) في الفتح الكبير (للجلال السيوطي) : « رحم الله امرأً أصلح لسانه » . (انظره في ٢ : ١٣٢) وتخريجاته ثمة .

(٢٩) في سنن الدارمي (٢ : ٣٤١) في خبر أسنده ، قال عمر بن الخطاب : « تعلّموا الفرائض واللّحن والسنن كما تعلّمون القرآن » .

وفي النهاية في غريب الحديث (٤ : ٢٤١) في حديث عمر : « تعلّموا السنّة والفرائض واللحن كما تعلّمون القرآن » ، أي اللغة . وقال الزمخشري (الفائق في غريب الحديث ٢ : ٤٥٨) المعنى : تعلّموا الغريب واللحن لأن في ذلك علم غريب القرآن ، ومعانيه ومعاني الحديث والسنّة .

واللحن : اللغة والنحو ، واللحن أيضاً : الخطأ في الإعراب ، فهو من الأضداد .

(٣٠) البيتان لعلي بن عميرة في الأمالي (لأبي عليّ البغدادي) ١ : ٥ . وفيه : (تغنّت على ...) .

(٣١) سورة الحشر ٥٩ : ٢٤ . الآية : ﴿ هُوَ اللهُ الخالِقُ ، البارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأسماءُ الحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السّمواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ ﴾ .

(٣٢) سورة المرسلات ٧٧ : مواضع عدة منها .

بالثوب على نفسه ، ولزمه إحضارُ ثوب ! وإن قالَ : (ما أخذتُ له ثوباً) ، فنصبَ لم يُقرّ بشيء ، ولزمته اليمينُ إن لم تَقُم عليه به بيّنة .

وكذلك لو قال رجلٌ لامرأته : (أنت طالقٌ ان دخلتِ الدار) ، فإنّه إن فتحَ الهمزة طلقتْ عليه في ذلك الوقتِ [٢٦أ] دون تأخير ، وإن كسَر الهمزة لم تطلُق عليه في ذلك الوقت ، وإنّما تطلقُ عليه فيما يستقبل إن كان منها دخولٌ في الدّار[1] .

ويروى أن الكسائي رحمه الله كُتب إليه : (ما تقول في رجل قال(٣٣) :

فإنْ ترفُقِي يا هِندُ فالرِّفْقُ أيمنٌ   وإن تَخْرُقِي يا هندُ فالخُرْقُ أشْأَمُ
فأنتِ طلاقٌ والطَّلاقُ عزيمةٌ   ثلاثٌ ومَنْ يَخْرُقْ أعقُّ وأظْلَمُ) ؟

فقال الكسائي رحمه الله :

(إن كان رَفع العزيمةَ ونصب الثّلاثَ فهي ثلاثُ تطليقات . وإن كان نصبَ العزيمة ورفَع الثلاث فهي واحدةٌ . يريد أنه إذا رفع العزيمةَ ونصبَ الثلاث صار التقديرُ : فأنت طالقٌ ثلاثاً ، والطلاق عزيمة على التّقديم والتأخير . وإذا نصَب العزيمة ورفع الثلاثَ لم يَنْوِ ثلاث التقديم ، وصار التقدير : فأنت طلاق[2] . وتمَّ الكلام ؛ ثم قال : والطلاقُ في حالِ

1. في ط : الدار . وفي خ : للدار .
2. في خ وط : طالق .

(٣٣) انظر المغني (١ : ٥٤) . والخزانة (٢ : ٦٩ ، ٧٥) . وشرح شواهد المغني (١ : ١٦٨) وبعد هذين البيتين :

فَبِيني بها أنْ كنتِ غير رفيقة   وما لامرئٍ بعد الثّلاث مُقَدّمُ !

وهي أبيات لم يُعرف قائلها .

عزيمةُ المطلّق عليه ثلاثٌ ، فلم يكنْ في هـذا الكلامِ مـا يـدلُّ على أن هـذا المطلق عَزم على الثلاث فيقضى[1] عليه بواحدة .

وقـد يمكن أيضـاً أن يَرفع الثلاثَ والعزيمـةَ معـاً ، فيكونَ التقـدير : فأنتِ طالقٌ ثلاثٌ ، والطَّلاق عزيمة ، فيلزمُ من ذلـك ثلاث تطليقـات ، والله أعلم) .

العلة الرابعة :

وهي **التصحيف** . وهذا أيضاً بابٌ عظيمُ الفساد في الحـديث جـداً . وذلـك أنَّ كثيراً من المحـدّثين لا يَضبطـون الحروفَ ، ولكنّهم يُرسلـونهـا إرسالاً غير مُقَيَّدة ، ولا مثقّفة ، اتّكالاً على الحفظ ؛ فإذا غَفل المحدّث عمّـا كتب مدّةً من زمـانـه ، ثم احتـاج إلى قراءةِ مـا كتَب ، أو قرأه غيرُه فربّما رفَع المنصوب ونصَب المرفوع كما قلنا ، فانقلبت المعاني إلى أضدادها .

وربّما تصحَّف له الحرفُ بحرفٍ آخر لعدم الضَّبط فيـه فـانعكس المعنى إلى نقيضِ المراد به . وذلك أن هذا الخـطَّ العربي شـديـدُ الاشتبـاه وربّما لم يكن بين المعنيين المتضـادَّين غيرُ الحركـةِ أو النقطـة كقـولهم : (مكرِم) بكسر الراء إذا كان فـاعـلاً ، و (مُكرَم) بفتـح الراء إذا كان مفعـولاً . ورجلٌ أَفْرع بالفاء إذا كان تامّ الشعر ، وأقرع بالقاف : لا شعر في رأسه ! وفي الحديث : « كان رسول الله ﷺ أَفرع »(٣٤) .

---

1. في خ وط : يقضي .

---

(٣٤) النهاية ٣ : ٤٣٦ وفي حديث عمر : « قيل له : الفُرعـان أفضل أم الصلعـان ؟ فقـال : الفرعـان . قيل : فأنت أصلع . قال : كان رسول الله ﷺ أفرع » .
قال ابن الأثير : (الفرعان : ج الأفرع ، وهو الوافي الشعر . وقيل : الذي لـه جُمَّـة . وكان النبي ﷺ ذا جمة) .

وقد جاءت من هذا البابِ أشياءُ كثيرةٌ طريفةٌ عن[1] المُحدِّثين ، نحو ما يروى عن يَزيد بن [٢٦ ب] هارون(٣٥) : (أنه روى : كنّا جُلوساً حول بِشر بن معاوية) وإنما هو حول سرير معاوية[2] .

وكما روى عبد الرزّاق(٣٦) : (يُقاتلون خور كرمان) وإنما هو خوز بالزاي(٣٧) معجمة .

وكما صَحَّف شُعبةُ(٣٨) التِّلِبَّ العَنبريَّ(٣٩) ، فرواه بثاء مثلثة مكسورة

---

1. في ط : أشياء طريفة من .
2. في ط : بسر بن معاوية .

---

(٣٥) هو يزيد بن هارون الواسطي (١١٨ ـ ٢٠٦) ، السلمي (مولى لهم) ، قال فيه الإمام أحمد : كان حافظاً متقناً للحديث ، وقال فيه : ثقة ، صدوق في الحديث . وكان يزيد يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ، ولا فخر . (ونقل الزركلي في الأعلام أن البلخي أشار إلى (كتاب) فيه أحاديثه رآه عبد الرحمن بن مهدي ووجد فيه غلطاً) انتهى . انظر فيه تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٧ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٦٦ ، طبقات الحفاظ ١ : ١٣٢ .

(٣٦) هو عبد الرزاق بن همّام الصّنعاني (١٢٦ ـ ٢١١ هـ) من حفّاظ الحديث الثّقات . من كتبه : (المصنّف في الحديث) وهو مطبوع .

(تهذيب التهذيب ٦ : ٢١٠ ، طبقات الحنابلة ١ : ١٥٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٢١٦) .

(٣٧) في معجم البلدان (خوز) : الخوز هم أهل خوزستان ونواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان .

(٣٨) هو شعبة بن الحجاج العتكي الأزدي (مولاهم) (٨٢ ـ ١٦٠) الواسطي ثم البصري ، من أئمة رجال الحديث حفظاً ودراية وتثبّتاً . وهو أول من فتش في العراق عن أمر المحدّثين ، وجانَبَ (أهل) الضعفاء والمتروكين .

(تاريخ بغداد ٩ : ٢٥٥ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ ، حلية الأولياء ٧ : ١٤٤) .

(٣٩) التلبّ العنبري : في كتاب الجرح والتعديل (٤ : ٤٤٨) : تلب بن ثعلبة ، عنبري ويقال : تميمي ، له صحبة ، روى عنه ابنه . وفي (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) للعسكري : ٣٩٢ أن في شعراء بني تميم : التلبّ العنبري . وقد أشار إلى ما وقع في اسمه من تصحيف .

والبيت للتلب العنبري نفسه ، صنعه ليستعدي به على رجل من قومه كان يُهاجيه . وكان معاصراً لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولام ساكنة ، وإنما هو التِّلِبّ بالتاء ، معجمة ، باثنتين ، وكسر التاء واللام وتشديد الباء ، على وزن طِمِرّ . ويدلُّ عليه قول الشاعر(٤٠) :

إنّ التِّلِبَّ لَـهُ عِرسٌ يمانِيَـةٌ كأنَّ فسوتها في البيتِ إعْصارُ !

وروى بعضُهم : (دخلتُ الجنّة فرأيتُ فيها حبائلَ اللُّؤلؤ)(٤١) ولا وجه للحبائل ههنا لأن الحبائلَ عند العرب الشِّباكُ التي يُصادُ[1] بها الوُحوش ، واحدتها حبالة . ومن كلام العرب : (خش ذؤالة بالحبالة)(٤٢) . وإنما هو جَنابذ اللؤلؤ والجنابذ : جمع جنبذة وهي القبّة .

---

1. في م ، ط : تصاد .

---

(٤٠) العرس بكسر العين : الزوجة .
وانظر في (خوز) النهاية في غريب الحديث (٢ : ٨٧) ، وفي (التلب) ، اللسان (٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) .

(٤١) ورد الحديث بهذه الصيغة في صحيح البخاري (٢ : ٩٣) . وعبارته بنصّها : (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا تُرابها مسك) . وفي مسند الإمام أحمد (٥ : ١٤٤) : جنابذ اللؤلؤ .
قال ابن الأثير (النهاية ٢ : ٣٣٣) : (وفي صفة الجنة : فإذا فيها حبائل اللؤلؤ . هكذا جاء في كتاب البخاري ، والمعروف جنابذ اللؤلؤ . قال : فإذا صحت الرواية فيكون أراد به مواضع مرتفعة كحبال الرمل كأنه جمع حبالة ، وحبالة : جمع حبل ، وهو جمع على غير قياس) .
وانظر الفتح الكبير (٢ : ١١٠) .

(٤٢) المثل في فصل المقال : ٤٤٩ في باب تخويف الجبان وإجابته عند إيعاده . قال : إذا أرادوا أن يأمروا بالتبريق (التخويف) قيل : خشّ ... إلخ . ونقل الميداني في توجيه المعنى رأيين :
١ ـ أن معنى المثل : توعَّدْ غيري فإني أعرفك !
٢ ـ أن المثل يقوله من يأمر بالتبريق والإيعاد .

وهذا النوعُ كثير جداً . وقد وضع فيه الدارقطني(٤٣) رحمه الله[1] كتاباً مشهوراً سمّاه (تصحيف الحُفّاظ)(٤٤) .

ومن ظريف ما وقع منه في كتاب مسلم ومسنده الصحيح : (نحنُ يَوْمَ القِيامَةِ على كذا انظر)(٤٥) وهذا شيء لا يتحصل له معنى وهكذا نجده في أكْثَرِ[2] النُّسخ ، وإنما هو : (نحن يوم القيامة على كوم) والكَوم : جمع كومة ، وهو المكان المُشرف . فَصَحَّفَه بعضُ النَّقَلة ، فكتب : نحن يوم القيامة على كذا ؛ فقرأ مَنْ قرأ فلم يفهم ما هو ، فكتب في طُرّة الكتاب : (انظر) ؛ يأمرُ[3] مَنْ قرأ [الكتاب] بالنَّظرِ فيه [وينبهه عليه][4] ، فوجده ثالثٌ فظنّه أنه من الكتاب ، فألحقه بمتنه !

العِلّةُ الخامسة :

وهي إسقاطُ شيء من الحديث لا يتمّ المعنى إلاّ به وهذا النوع أيضاً قد

---

1. (رحمه الله) زيادة من م ، ط .
2. في ط : في كثير من .
3. في م ، ط : يأمر قارئ الكتاب .
4. ما بين معقوفتين من م ، ط .

---

(٤٣) الدارقطني : علي بن عمر (٣٠٦ ـ ٣٨٥ هـ) إمام أهل عصره في علم الحديث . وله كتب في الحديث والرجال .

(٤٤) وانظر مثلاً ما كتبه محمد بن إسماعيل الصنعاني في توضيح الأفكار (٢ : ٤١٩) في مسألة التصحيف . ونبه إلى كتاب الدارقطني في التصحيف .

(٤٥) هذه قطعة من حديث جابر في مسند الإمام أحمد (٣ : ٣٤٥) وفيه : « ... عن أبي الزبير أنه سأل جابراً عن الورود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فيدعى بالأمم ... إلخ الحديث » .

وانظر مختصر صحيح مسلم (١ : ٣٢) . وفي النهاية في غريب الحديث (٤ : ٢١١) : « يجيء (وفي نسخة) : نجيء يوم القيامة على كوم فوق الناس » .

وردت منه أشياء كثيرة في الحديث كنحو ما رواه قومٌ عن ابن مسعود رضي الله عنه[1] : أنه سئل عن ليلة الجن فقال : (ما شَهِدَها منّا أحَدٌ)(٤٦) . ورُوي عنه من طريق آخر : (أنه رأى قوماً من الزُّطِّ(٤٧) فقال : هؤلاء أشبه مَنْ رأيتُ بالجنّ ليلة الجن) ، فهذا الحديثُ يدل على أنَّهُ شَهِدها ، والأول يدلُّ على أنه لم يشهدها ، فالحديثان كما ترى مُتعارضان . وإنما أوجب التَّعارض بينهما أنّ الذي رَوى الحديث الأول أسقط منه كلمةً رواها غيره ، وإنّما الحديثُ : (ما شهدها مِنّا أحد غيري) .

العِلَّة السادسة :

وهي[2] أن ينقل المحدّثُ الحديثَ ، ويَغْفل عن نقل [٢٧أ] السَّبب الموجب له ، فيعرض من ذلك إشكالٌ في الحديث ، أو معارضة لحديثٍ آخر ، كنحو ما رواه قوم من : « أنَّ النبيَّ ﷺ أتي بالعُرَنِيّيْنِ(٤٨) الذين ارتَدُّوا عن الإسلام وأغاروا على لَقاح النبيّ فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسَمْلِ[3] عيونهم وتركوا بالحَرَّة يستسقون فلا يُسقون ، حتى ماتوا » .

1. رضي الله عنه ، من م ، ط .
2. في ن : وهو .
3. في م : وسمر .

(٤٦) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٤ : ١٦٨ وتحقيق عبد الباقي : ٣٣٢ . وفي (مسلم) : (أن علقمة سأل ابن مسعود هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجنّ ؟ قال : لا ... الحديث) .
وفي الترمذي : (عن علقمة بن مسعود أنه كان مع النبي ﷺ ليلة الجن ... الحديث) .

(٤٧) في القاموس (زط) الزُّط : جيلٌ من الهند ، معرّب جتّ .

(٤٨) في السيرة ٤ (ط عبد الحميد) : ٣١٨ ـ ٣١٩ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً . وانظر القرطبي ٦ : ١٤٧ ـ ١٤٨ ففيه تفصيل واف .

وقـد وردت عنـه الروايـات من طرقٍ شتّى : « أنـه نهى عن المُثلة »(٤٩) . وإنما عرض هـذا التعـارض من أجلِ أنّ الـذي روى الحـديثَ الأوّل أغفلَ نَقْلَ سببه الذي أوجبه . ورواه غيرُه فقال : إنّما فعل بهم ذلـك لأنهم مَثّلُوا براعيه فجزاهم[1] بمثل فعلهم . ومن الفقهاء مَنْ يرى أن هـذا كان في أول الإسلام قبل أن تنزل الحدود ثم نسخ .

وقـد ذهب بعض العلمـاء في قـولـه ﷺ : « إنّ الله خلـق آدم على صورته »(٥٠) إلى أنّهُ مما أغفل الناقل ذكر السبب الذي قاله من أجله .

ورَوَوْا : أن النبي ﷺ مَرَّ برجـلٍ[2] يلطمُ وجـهَ عبـده وهـو يقـول : (قَبَّـح الله وجهـك ووجـه مَنْ أشبهـك). فقـال النبي ﷺ : « إذا ضَرَبَ أحَدُكُمْ عَبْدَهُ فليتّقِ الوجْهَ ؛ فإنّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ »(٥١) .

قالوا : فالهاءُ إنّما تعودُ على العَبـد . فلما رَوَى الرّاوي الحـديثَ وأغفل رِوايةَ السَّبب أوْهَم ظاهِرُه أنّها تعودُ على اللهِ سُبحانـه وتعـالى ؛ تَعـالى اللهُ عن ذلكَ عُلوّاً كبيراً[3] .

---

1. في م : برعائه فجازاهم .
2. في ط : برجل وهو .
3. العبارة الأخيرة من م ، ط .

---

(٤٩) عن عمران بن الحصين قال : « ما خطبنا رسول الله ﷺ إلاّ أمَرَنا فيهـا بـالصَّدَقَـةِ ونهـانـا عن المُثْلَـةِ » الـدارمي ١ : ٣٩٠ . وعن أبي سعيـد الخـدري قـال : « نهى رسـول الله ﷺ أن يمثـل بـالبهـائم » ابن مـاجـه : ١٠٦٣ . وعن أنس بن مـالـك قـال : « نهى رسول الله ﷺ عن صبر البهائم » ابن ماجه : ١٠٦٣ .

(٥٠،٥١) في الحـديث : أخرج الـدارمي من حـديث عبـد الرحمن بن عـائش : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « رأيت ربي في أحسن صورة ... » الدارمي ٢ : ١٢٦ .

قولِهِمْ ، وأعلَمَنا أنَّ الله تعالى خلقَهُ وخلقَ جميعَ أفعالِهِ . فهذا ما في الهاء من القولِ إذا كانت عائدةً[1] على آدمَ ﷺ .

وإذا كانت عائدةً على الله تعالى كانت إضافة صورة آدم إليه على وجه التشريف والتّنويه والتخصيص ، لا على معنى آخر مما يسبق إلى الوهم من معاني الإضافة[2] ، فيكون كقولهم في الكعبة إنها بيت الله وقد علمنا أن البيوت كلها لله عَزّ وجَلّ ، وكقوله[3] : ﴿ وعبادُ الرّحمنِ الذينَ يَمْشُونَ على الأرضِ هَوْناً ﴾(٥٣) وقد علمنا أن جميع البشر من مؤمن وكافر عباده . وإنّما خصصه بالإضافة إلى الله تعالى دون غيره ؛ لأن الله تعالى شرفه بما لم يشرّف به غيره . وذلك أنه عز وجلّ شرّف الحَيوان على الجماد ، وشرّف الإنسان على جَميع[4] الحَيوان . وشرّف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على جميع نَوع الإنسان ، وشرّف آدم على جميع بَنيه بأنْ خلَقه دفعة من غير ذكر ولا أُنثى[5] ، ودون أن ينتقل من النُّطفة إلى العلَقة ، ومن العَلقة إلى المُضغة وسائرِ أحوالِ الإنسان التي يتصرّف فيها إلى حين كماله . ونسبَ خلقه إلى نفسِه دون سائر البشر فقال : ﴿ لما خَلَقْتُ بِيَدي ﴾(٥٤) ، ﴿ ونفخْتُ فيهِ

---

1. في م ، ط : راجعة .
2. في م ، ط : الإضافات .
3. في ط : وكقوله تعالى .
4. في ط : سائر الحيوانات .
5. في ط : ذكر وأنثى .

---

(٥٣) سورة الفرقان ٢٥ : ٦٣ . والآية : ﴿ وَعِبادُ الرّحمن الذين يَمْشون على الأرضِ هَوْناً وَإذا خاطَبَهم الجاهِلون قالوا سَلاماً ﴾ .

(٥٤) سورة ص ٣٨ : ٧٥ . الآية : ﴿ قالَ يا إبْليسُ ما مَنعَك أنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ، أَسْتَكْبَرْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ العالِين ﴾ .

مِنْ رُوحي ﴾(٥٥) . وأسجدَ لـه ملائكتـه ، ولم يـأمرهم بـالسُّجـودِ لغيره . فَنَبَّهَنا عليه السلام بإضافة صورته إلى الله تعالى على هـذهِ المنزلـةِ التي تَفرَّد بها دون غيره . ويدلُّ[1] على صحّـة هـذا التـأويل قولـه[2] : ﴿ ونفختُ فيـه من رُوحي ﴾ ، وقـولــه : ﴿ ولا أعلَمُ مــا في نَفْســكَ ﴾(٥٦) ، [٢٨أ] وقوله : ﴿ لما خلقْتُ بيَدي ﴾ فكما لا تدلّ إضافة هذه الأشياء إليـه[3] على أنّ له نَفْساً وروحاً ويدين فكذلك إضافةُ الصُّورة إليه لا تـدلُّ على أنّ لـه صورة . وقـد يجـوز في إضـافـة الصـورة إلى الله تعـالى وجـهٌ فيـه غُمـوض ودقّة ، وذلك أن العرَب تَستعمل الصورةَ على وجهين :

أحدهما : الصورة التي هي شكل مخطـط محـدود بـالجهـاتِ الستّ[4] ، كقولك : صورةُ زيدٍ وصورةُ عمرو .

والثـاني : يريـدون بـه صفـة الشيء الـذي لا شكل لـه[5] يحس ولا تخطيط ولا جهات محدودة كقولك : مـا صورة أمرك وكيف كانت صورة قصتك ؟ يريدون بذلك الصّفة . فقد يجوز أن يكون معنى خلق آدم على صورته أي على صفته فيكون مصروفاً إلى المعنى الثاني الذي لا تحديـد فيـه

---

1. في ط : ويدلك .
2. في ط : قوله تعالى .
3. (إليه) نقصت من م .
4. كلمة (الست) لم ترد في م ، ط .
5. في ط : فيه .

---

(٥٥) سورة ص ٣٨ : ٧٢ . الآية : ﴿ فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعوا لَهُ ساجدينَ ﴾ .

(٥٦) سورة المائدة ٥ : ١١٦ . الآية : ﴿ وَإِذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتّخِذُوني وَأُمّيَ إلهَيْنِ مِنْ دونِ اللهِ ، قالَ سُبْحانَـكَ مـا يَكونُ لي أنْ أقولَ مـا لَيْسَ لي بِحَقٍّ ، إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ ما في نفسي وَلا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ ، إنَّكَ أنت عَلاّمُ الغُيوبِ ﴾ .

فإن قلت : ما مَعنى[1] هذه الصفة ؟ وكيف تلخيصُ القولِ فيها ؟ فالجواب أن معنى ذلك أن الله تعالى جعله خليفةً في أرضه ، وجعلَ له عقلاً يعلم به ويفكّر ويسوس ويدبّر ويأمر وينهي ، وسُلِّطَ[2] على جميع ما في البر والبحر وسخّر له ما في السموات والأرض .

وقد قال في نحو هذا بعض المُحْدَثين يمدح بعض خلفاء بني أمية(٥٧) :

أمره من أمر من ملكه فإذا ما شاء عافى وابتلى

فيكون معنى قولنا في آدم ﷺ : أنّه خُلق على صورة الله تعالى[3] كمعنى قولنا فيه : إنه خليفة الله تعالى ، وهذه التأويلات كلها لا تقتضي تشبيهاً ولا تحديداً .

فإن قلت : كيف تصنع بالحديث المرويّ عنه ﷺ : « رأيتُ ربّي في أحسنِ صورة » وهذا لا يُمكنك فيه شيءٍ من التأويل المتقدّم ، ولا يصحُّ لك حملُه عليه ؟! **فالجوابُ** : أنّ هذا الحديث ورَد بلفظٍ مشتركٍ يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون قوله في أحسن صورة راجعاً إلى الرّائي لا إلى المرئي فيكون معناه : رأيت ربّي وأنا في أحسن صورة .

والثاني : أن يكون قوله : « في أحسن صورة » راجعاً إلى المرئيّ ،

1. في م : فما .
2. في ن : (وسُلط) بالبناء لغير الفاعل . وفي م ، ط : وسلطه .
3. (تعالى كمعنى) لم ترد في ن .

(٥٧) لم أقف عليه .

وهو الله تعالى[1] ، فيكون معناه : رأيتُ ربّي على أحسنِ صفةٍ . فتكون الصورةُ بمعنى الصّفة التي لا توجبُ تحديداً كما ذكرنا . وهذا في العربية كقولك : (رأيتُ زيداً في الدار) فيجوز أن يكون قولك : (في الدار) لك : [٢٨ ب] كأنّك قلت : (رأيت زيداً وأنا في الدار) . ويجوزُ أن يكون المعنى : (رأيت زيداً وهو في الدار) وعلى هذا تقول : (رأيت زيداً قاعداً قائماً) ، (ولقيت زيداً راكبين) . قال الشاعر[٥٨] :

فإذا[2] لقيتك خاليين لَتعلمن أيّي وأيُّك فارس الأحزاب

فإذا كانَ التّقدير : « رأيتُ ربّي وأنا في أحسنِ صورةٍ » كان معناه : أنّ الله تعالى حَسّن صورته ونقله إلى هيئةٍ[3] يمكنه معها رؤيته إذْ كان البشرُ لا تُمكنهم[4] رؤية الله تعالى على الصُّورة التي هُمْ عليها ، حتّى يُنقلوا إلى صُورَةٍ[5] أخرى غير صورهم . ألا تَرى أنّ المؤمنينَ يرون الله تعالى على الصُّورةِ التي هم عليها[6] في الآخرة ، ولا يرونَهُ في الدُّنيا لأن الله

---

1. في ط : عز وجل .
2. في م ، ط : فلئن .
3. في م ، ط : صفة .
4. في م ، ط : لا يُمكنهم .
5. في ط : صور .
6. زاد من ن : « على الصورة التي هم عليها » .

---

(٥٨) البيت مجهول القائل . ويرد في بعض كتب النحو شاهداً في باب الحال . وهو مثال على الحال حين تكون من الفاعل ومن المفعول معاً . والشاهد في قوله : (خاليين) . وهو من شواهد باب الإضافة أيضاً (أيي وأيك) .
وهو في العيني على هامش الخزانة ٣ : ٤٢٢ ، والدرر اللوامع ٢ : ٦٢ ، والأشموني ٢ : ٢١٧ .
وعجز البيت في همع الهوامع ٢ : ٥١ .

تعالى ؛ ينقلهم عن صفاتهم إلى صفات أخرى أعلى وأشرف . فعجّل الله تعالى لنبيّه ﷺ هذه الكرامةَ قبل يوم القيامة خصوصاً دون البشر ، حتى رآه وشاهده . والله يُؤتي فضله مَن يشاء ، ويختصُّ بكرامته مَنْ يُريد لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون[1] .

وإذا كان ذلك راجعاً إلى الله تعالى كان معناه : أنّهُ رأى ربَّهُ على أحسنِ ما عوَّده من إنعامِه وإحسانِه وإكرامِه وامتنانه . كما تقول للرجل[2] : كيف كانتْ صورةُ أمرِكَ عند لقاء الملك ؟ فيقول : خير صورة ! أعطاني ، وأنعم عليَّ ، وأدناني من محل كرامته ، وأحسن إليَّ .

فهذان تأويلانِ صحيحانِ خارجان على أساليبِ كلام العَرب دون تكلُّف ولا خروجٍ من مُستعمل إلى تعسّف[3] .

وقد جاء في بعض الحديثِ[4] : أنها كانت رؤية في المنام[5] . فإذا كان الأمر كذلك كان التأويلُ واضحاً لأنه لا يُنكر[6] رؤية الله تعالى في المنام[7] .

ورواه بعضهم : « رأيتُ رِبّي » بكسر الباء ، وقالوا : هو غلام كان لعثمان رآه في النوم . ورواه آخرون : « رأيتُ رئيي » . والرّئيُ ما يتراءى

---

1. في ن : من يشاء . ونقصت بقيّة العبارة .
2. (للرجل) ناقصة من ط .
3. في ط : متعسف .
4. في ط : الأحاديث .
5. في م ، ط : النوم .
6. في م : لا تنكر .
7. زاد هنا في م ، ط : وبالله التوفيق .

للإنسان من مَلَكٍ أو شيطان . أراد بذلك أنه رأى جبريل عليهما السلام .

وبالله التوفيق ، لا ربَّ غيره[1] .

العلّة السابعة :

وهي أن يسمع المحدّثُ بعض الحديث ويفوتَهُ سماعُ بعضِه كنحو ما رُوي من : أنَّ عائشة رضي الله عنها أخبرتْ أنَّ أبا هريرة حدّث أن رسول الله ﷺ قال(٥٩) : « إن يكن الشؤم ففي ثلاثٍ : الدار والمرأة والفرس » . وهذا الحديث معارضٌ لقوله [٢٩ أ] ﷺ : « لا عَدْوى ولا هامةَ ولا صَفَر ولا غُول »(٦٠) وقد رُويت عنهُ في أحاديثَ[2] كثيرة : « أنه ﷺ نهى عن التطيُّر ، فغضبت عائشة رضي الله عنها وقالت : والله ما قالَ هذا رسولُ الله ﷺ قطُّ ، وإنّما قال : كان أهل الجاهليّة يقولون : إن يكن الشّؤم ففي ثلاث : الدار والمرأة والفرس . فدخل أبو هريرة فسمعَ آخر[3] الحديث

1. العبارة جميعاً من (ن) فقط .
2. في ط : في أحاديث عنه كثيرة .
3. (آخر) نقصت من ط .

(٥٩) في سنن الترمذي ٤ : ٢٠٨ باب ما جاء في الشؤم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : « الشؤم في ثلاثة : المرأة والمسكن والدّابة » . وفي الباب عن سهل بن سعد وعائشة وأنس رضي الله عنهم : « إن كان الشؤم في شيء ففي المرأة والدابة والمسكن » .
وقد روى حكيم بن معاوية ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا شؤم . وقد يكون اليُمن في الدار والمرأة والفَرس » .
وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : « إن الشؤم في ثلاثة : في الفرس والمرأة والدار » .
وفي مختصر صحيح مسلم عن ابن عمر : « إن يك من الشؤم شيء حق ففي الفرس والمرأة والدار » . وانظر كشف الخفاء ٢ : ١٢ .

(٦٠) في صحيح مسلم : ١٧٤٢ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » . وفي حديث جابر (١٧٤٤) : « لا عدوى ولا طيرة ولا غول » . وانظر مختصر صحيح مسلم ٢ : ١٥١ - ١٥٢ .

ولم يسمع أوله » . وهذا غير مُنكر أن يعرضَ لأن النبيَّ ﷺ كان يـذكر في مَجالسِه[1] الأخبارَ حكايـةً ويتكلّم بمـا لا يريـد بـه نهيـاً ولا أمراً[2] ، ولا أن يجعله أَصلاً في دِينه وشيئـاً يُسْتَنُّ بـه . وذلـك معلومٌ من فِعلـه ، ومشهورٌ من قوله .

العلة الثامنة :

وهي نقـل الحـديث من الصُّحف[3] دون لقـاء الشّيـوخِ والسَّماع من الأئمّة . وهذا بابٌ أيضـاً[4] عظيم البليّـة والضرر في الـدين ، فـإن كثيراً من الناس يتسامحون فيـه جِـدّاً وأكثرهم إنّما[5] يعوّلُ على إجـازة الشيخ لـه دون لقائه والضبط عليه . ثم يأخذ بعد ذلك علمه من الصُّحف المُسَوّدة والكُتب التي لا يعلم صحيحهـا من سقيمهـا[6] ، وربّما كانت مخـالفـةً لروايـةِ شيخـهِ ؛ فيصحّف الحروف ويبدّل الألفاظ ، وينسب جميع ذلك إلى شيخـه ظـالمـاً لـه . وقـد صـار علمُ أكثرِ النّـاس في زَمننـا[7] هـذا على هـذه الصفـة : ليس بأيديهم من العلم إلاّ أسماء الكتب[8] !!

وإنما ذكرتُ لـك هـذه العِلل العـارضـة للحـديث لأنّهـا أصول لنقّـاد الحديث المهتبلين بمعرفة صحيحِه من سقيمه . فإذا ورد عليهم حـديثٌ بشع المسمـوع أو مخـالفٌ للمشهـور نظروا أوّلاً في سنـده فـإن وجـدوا في نقَلتـه

1. في ط : مجلسه .
2. في م ، ط : أمراً ولا نهياً .
3. في ط : المصحف . [قلت : ومن معاني المصحف الكتاب مطلقاً] .
4. (أيضاً) لم ترد في ط .
5. في ن : أيضاً بدلاً من إنّما .
6. في م : صحتها من سقمها .
7. في ط : زماننا هذا .
8. في م ، ط : غير أسماء الكتب .

[ورُواته] رجلاً مُتّهماً ببعض تلك الوجوه التي ذكرتها لك[1] استرابوا بـه ولم يجعلوه أصلاً يعوّل عليه وإن وجدوا رجاله النـاقلين لـه ثقـات مشهورين بالعدالة ، معروفين بالفقه والأمـانـة ، رجعوا إلى التـأويل والنّظر ؛ فـإن وجدوا له تأويلاً يحمل عليه قَبِلُوه ولم يُنكروه ، وإن لم يجـدوا لـه تـأويلاً إلاّ على استكراهٍ شديـدٍ نسبوه إلى غَلَـطٍ وقع فيـه من بعض[2] تلـك الوجوه المتقدّمة الذكر .

فهذه[3] جملة القول في هذا الباب . وبالله التوفيق[4] . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

1. في ط : ذكرناها .
2. (بعض) لم ترد في م .
3. في م : فهذا .
4. لم ترد هذه العبارة في ط .

البَابُ السّادسُ

في الخلاف العارض من قِبل الاجتهَاد وَالقياس

[٢٩ ب] هـذا النوعُ إنّما يكون فيما يعـدم فيـه وجـود نصٍّ من قرآن أو حديث ، فيفرغُ الفقيـه عنـد ذلـك إلى استعمال القيـاس والنظر ، كما قـال الشاعر(١) :

إذا أعيي الفقيـــة وجـــود نصٍّ   تعلّـقَ لا محـالـةَ بـالقيـــاسِ !

والخلاف العارض من هذا البابِ[1] نوعان :

أحـدهما : الخـلاف الـواقـع بين المنكرين لـلاجتهـاد[2] والقيـاس(٢) ، والمثبتين له[3] .

والنـوع الثـاني : خـلاف يعرض بين أصحـاب القيـاس في قيـاسهم كاختـلاف المـالكيّين والشـافعيّين والحنفيّين[4] فتعرض من ذلـك أنـواع من الخلاف عظيمة وهذا الباب أشهر من أن نطيل .

☆ ☆ ☆

---

1. في م : من هذا الموضع . وفي ط : من هذا النوع .
2. في ن : من الاجتهاد .
3. في ط : لهما .
4. في م ، ط : المالكية ، والشافعية ، والحنفية .

---

(١) لم أقف على قائله .

(٢) أشهر الذين أنكروا القياس أصحاب المذهب الظاهري ، وأتبـاعـه ، وفي رأس المؤلفين على هـذا المذهب الإمام ابن حزم الظاهري .
انظر رسـالتـه : (ملخص إبطـال القيـاس والرأي والاستحسـان والتقليـد والتعليل) ومقـدمـة أستاذنا سعيد الأفغاني له .

البَابُ السَّابِع

في الخلاف العارض مِن قبَل النسخ

الخلاف العارض من هذا النوع يتنوّع أولاً نوعين :

أحدهما : خلاف عارضٌ[1] بين مَنْ أنكر النسخ وبين مَنْ أثبته(١) . وإثباتُه هو الصحيح ، وجميع أهل السنّة مُثبتون له . وإنما خالف في ذلك مَنْ لا يُلتفت إلى خلافه لأنه بمنزلة دفع الضرورات وإنكار العَيان .

والنوع الثاني : خلاف عارض بين القائلين بالنَّسخ . وهذا النوع الثاني ينقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : اختلافهم في الأخبار هل يجوز فيها النَّسخ كما يجوز في الأمر والنهي أم لا .

والثاني : اختلافهم[2] : هل يجوز أن تنسخ السنّة القرآن أم لا ؟

والثالث : اختلافهم في أشياء من القرآن والحديث . فذهب[3] بعضهم إلى أنها نُسخت ، وبعضهم إلى أنها لَمْ تُنسخ .

☆ ☆ ☆

---

1. في م ، ط : يعرض .
2. في ط : في هل .
3. في م ، ط : فذهب .

---

(١) انظر مثلاً كتاب الدكتور أبو زيد عن (النسخ في القرآن الكريم) جزآن .

البَابُ الثَّامِنُ

في الخِلافِ العَارض مِن قبَل الإباحَةِ

هذا النوع من الخلاف يعرض من قِبل أشياء وَسَّعَ[1] الله تعالى فيها على عباده وأباحها لهم على لسان نبيّه ﷺ كاختلاف الناس في الأذان والتكبير على الجنائز ، وتكبير التشريق ، ووجوه القراءات السّبع ونحو ذلك .

فهذه أسباب الخلاف الواقع بين الأمّة قد نبّهتُ عليها وأرشدتُ قارئي كتابي هذا إليها .

وهذا الكتاب وإن كان صغير الجرم يسير الحجم فإن فيه تنبيهاً[2] على [٣٠أ] أشياء جليلة يحسن مسمعها[3] ، ويحلو من نفس الذكي موقعها[4] ، وأنا أستغفر الله من زلل إن كان عَرض ، وأسأله عوناً على ما به تُعبّدَ[5] وفرض .

وصلّى الله على محمّدٍ وعلى آله وسلّم أفضلَ التّسليم .

كمل بحمد الله وحسن عونه(١)

1. في ط : أوسع .
2. في م ، ط : تنبيهات .
3. في ط : سمعها .
4. في ط : مراقبتها .
5. في م ، ط : ما تعبّد به .

(١) عبارة الختام في م : (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله [وصحبه] وسلم تسليماً إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين) .
وكلمة [صحبه] من : ط .

١ ـ مسرد الآيات

سورة البقرة (٢)

٢ - مسرد الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
« ع »	
عجبت لقوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل .	٧٢
« ق »	
قال : رجل لم يعمل خيراً قط فإذا مات فحرقوه ـ وفي رواية : قال لأهله : إذا أنا مت فأحرقوني ـ واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه الله عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البحر فجمع مافيه... الحديث.	١٠١
.... قالت: قلت كيف أقول لهم يارسول الله ؟ قال: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المتقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.	١٠٣
قرأ رسول الله ﷺ ﴿ بلى قد جاءتكِ.... فكذبتِ.... واستكبرتِ.... وكنتِ.... ﴾ في كلٍ .	٤١ح
قصوا الشوارب وأعفوا اللحى.	٤٦ـ١٦٥
قيل لعمر رضي الله عنه الفرعان أفضل أم الصلعان ؟ فقال: الفرعان. قيل: فأنت أصلع. قال: كان رسول الله ﷺ أفرع.	١٧٤ح
« ك »	
كان رسول الله ﷺ أفرع.	١٧٤
كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.	١٣٢
« ل »	
لاعدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول.	١٨٧
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: بكفر بعد إيمان، أو بزنا بعد إحصان، أو يقتل نفساً بغير نفس فيقتل.	٤٩ح

٣ ـ مسرد الشعر والرجز

« أ »

تحمل أهلها منها فبانوا ... على آثار من ذهب العفاءُ ٤٧
زهير

عفا من آل فاطمة الجواء ... فيمن فالقوادم فالحساءُ ١٦٦
زهير

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء ١٢٤
إنما الميت من يعيش كئيباً ... كاسفاً باله قليل الرجاء
عدي بن رعلاء الغساني

« ب »

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا ٨١
معاوية بن مالك ـ معود الحكماء

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يرد الليل حين يؤوبُ ١٠٥
كعب بن سعد الغنوي

وداعٍ دعا يامن يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ ١٠٠
فقلت: ادع أخرى وارفع الصوت دعوة ... لعل أبا المغوار منك قريبُ
يجبك كما قد كان يفعل إنه ... نجيب لأبواب العلاء طلوبُ
كعب بن سعد الغنوي

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزّال منهم وابن بابِ ١٧٠
ومن قوم إذا ذكروا علياً ... يردون السلام على السحابِ
ولكني أحب بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصوابِ

فقلت لــه ارفعهــا إليــك وأحيهــا   بروحــك واقتتــه لهــا قيتــةً قــدرا   ١٢٨
ذو الرمة

هـو المنزل الألاف من جـو نــاعــط   بني أســد حــزنــاً من الأرض أوعرا   ٨٤
امرؤ القيس

إن التلب لـــه عرس يـــانيـــة   كأن فســوتهــا في البيت إعصــارُ   ١٧٦
غير معروف

يـــاجعفر يـــاجعفر يـــاجعفر   إن أك دحـــداحـــاً فـــأنت أقصرُ   ٤٢
أو أك ذا شيب فــــــأنت أكبر   غرك سربـــــال عليـــــك أحمر
ومقنـــــــع من الحرير أصفر   وتحت ذاك ســوأة لـــو تــــذكر
أعرابي

وكان أبــو عمرو معــاراً حيــاتــه   بعمرو فلمـا مـات مـات أبـو عمروِ   ١٢٤
غير معروف

لأعرفن ربربــاً حــوراً مــدامعهــا   كأن أبكارهــــا نعــــاج دوارِ   ١١٠
النابغة

بين حفـــافي جـــدول مسحــور   كالسيف أو كالحيــــة المــــذعــورِ   ١٢٧
ابن الرومي

من تلـق منهم تقـل لاقيت سيــدهم   مثل النجوم التي يسري بها الســاري   ٨٩
العرندس

« س »

وبدلت قرحـاً داميـاً بعــد صحــة   لعــل منــايــانــا تحــولن أبــوســا   ٩٩-١٠١
امرؤ القيس

أنـــزلـــوهــــا بحيث أنــزلهـــا الله بـــــدار الهـــوان والإتعــــاسِ   ٨٦
سديف بن ميمون

إذا أعيـــا الفقيـــه وجـــود نص   تعلــق لامحــالـــة بـــالقيـــاسِ   ١٩٣
لم يوقف على قائله

« ض »

يـــارب ذي ضغن علي فـــارض لـــــه قروء كقروء الحـــــائضِ ٣٩

يـارب مـولى حـاسـد مبـاغض علي ذي ضغن وضب فـــــارضِ ٣٩ح

له قروء كقروء الحائض

مجهول

أنــزلني الـــدهر على حكمـــــه من شـــاهـق عـــالٍ إلى خفضِ ٨٥، ٨٧

خطاب بن المعلى

« ع »

ولم يـــك أكثر الفتيـــان مـــالاً ولكن كان أطـــولهم ذراعـــــا ٥٢

أبو زياد الأعرابي

أخـادع نفسي بـــالأمـــاني تعلـلاً على العلم مني أنهـــا ليس تنفــعُ ١٠١

غير معروف

ظننتم بـأن يخفى الـذي قـد صنعتم وفينـا نبي عنـده الـوحي واضعُـهْ ٦٠

حسان بن ثابت

فلمـا رأين الليـل والشمس حيـة حياة الـذي يقضي حشاشـة نـازعِ ١٢٣

ذو الرمة

« ق »

وقلت لسيـــدنـــا يـــاحليـ ـم إنـــك لم تـــأس أســوأ رفيقـــا ١٠٥

غير معروف

ولـــو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيــه ميٌّ ، حـــاسراً كاد يبرقُ ٤٣

ذو الرمة

وأنت لمـــا ظهرت أشرقت الأر ض وضـــاءت بنـورك الأفــقُ ٨٨

العباس بن عبد المطلب

« ك »

« ل »

رسا أصلـه تحت الثرى وسحـابـه   إلى النجم فرع لا ينـال طـويـلُ
السموءل بن عادياء

مطـويـة الأقراب أمـا نهـارهـا   فسبت وأمـا ليلهـا فـذميـلُ ٩٣
حميد بن ثور الهلالي

وزهراء إن كفنتهـا فهـو عيشهـا   وإن لم أكفنهـا فـموت معجـلُ ١٢٨
غير منسوب

وأهـل خبـاء صـالـح ذات بينهم   قـد احتربوا في عـاجـل أنا آجلُـهُ ٥٣
خوات بن جبير الأنصاري

بكرت عليـه غـدوة فرأيتـه   قعوداً لـديـه بـالصريم عـواذلُـهُ ٤٤
زهير

نظرت إليـه نظرة فرأيتـه   على كل حـال مرة هـو حـاملُـهُ ٥٩
زهير

حـذيفـة ينميـه وبـدر كـلاهمـا   إلى بـاذخ يعلـو على من يطـاولُـهُ ٧٨
زهير

فلـو أن مـا أسعى لأدنى معيشـة   كفـاني ولم أطلب قليـل من المـالِ ٩٨
ولكنمـا أسعى لمجـد مـؤثـل   وقـد يـدرك المجـد المؤثـل أمثـالي
امرؤ القيس

قبيلـة لا يغـدرون بـذمـة   ولا يظلمـون النـاس حبـة خردلِ ٦٥
النجاشي الحارثي

لأدمـانـةٍ من وحش بين سـويقـةٍ   وبين الجبـال العفرذات السلاسـلِ ٧٥
ذو الرمة

أزهير إن يشب القـذال فـإنني   رب هيضـل مرس لففت بهيضـلِ ١٠٧
أبو كبير الهذلي

شربت الإثم حتى زال عقلي   كـذاك الإثم يـذهب بـالعقـولِ ١١٦
غير معروف

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى وغت وما ليل المطي بنائم ٩٢

جرير

« م »

إيت الطريق واجتب أرماما إن بها أكتل أورزاما ٦٤ح
خويربين ينقفان الهاما لم يتركا لمسلم طعاما

غير معروف

إن بها أكتل أورزاما خويربين ينقفان الهاما ٦٤

غير معروف

لعلي إن مالت بي الريح ميلة على ابن أبي زبان أن يتندما ٩٩

غير معروف

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما ٧٧

عبدة بن الطيب

حياك ربي فإن لايحل لنا لهو النساء وإن الدين قد عزما ٩١

النابغة

حتى غدا في بياض الصبح منصلتاً يقرو الأماعز من لبنان والأكما ٤٤

النابغة

فإن ترفقي ياهند فالرفق أيمن وإن تخرقي ياهند فالخرق أشأمُ ١٧٣
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعق وأظلمُ
فبيني بها أن كنت غير رفيقة وما لامرئ بعد الثلاث مقدمُ

غير معروف

كأنا والرحال على صوار برمل خزاق أسلمه الصريمُ ٤٤

برج بن مسهر الطائي

سحائب لامن صيف ذي صواعق ولا مخرفات ماؤهن حميمُ ١٢٩
إذا ماهبطن الأرض قد مات عودها بكين بها حتى يعيش هشيمُ

ابن ميادة

كأن قلوب الطير رطباً ويـابسـاً لدى وكرها العناب والحشف البـالي ٥٠
امرؤ القيس

أبلـغ أبـا مـالـك عني مغلغلـة وفي العتـاب حيـاة بين أقـوام ١٢٨
غير منسوب

أقرّ حشـاً امرئ القيس بن حجرٍ بنـو تيمٍ مصـابيـح الظـلامِ ٨٩
امرؤ القيس

ويرغب أن يبني المعـالي خـالـد ويرغب أن يرضى صنيـع الألائمِ ٥٦
غير معروف

أمن عمـل الجراف أمسى وظلمـه وعـدوانـه أعتبتمـونـا براسمِ ٦٤
أميري عـداء إن حبسنـا عليهما بهـائم مـال أوديـا بـالبهـائمِ
غير معروف

وكم من عـائب قـولاً صحيحـاً وآفتـه من الفهم السقيمِ ١٠٨
ولكن تـأخـذ الأذان منـه على قـدر القرائـح والعلـومِ
أبو الطيب المتنبي

لا يبعـد الله جيرانـاً تركتهم مثـل المصـابيـح تجلـو ليلـة الظلمِ ٨٩
النابغة الذبياني

ولكنـا نعض السيف منهـا بـأسـؤقٍ عـافيـات اللحم كـومِ ٤٧-١٦٦
جرير أو لبيد

رأتني قـد شحبت وسـل جسمي طـلاب النـازحـات من الهمـومِ ٤٧ح
لبيد

تهوي هوي أنجم الصريمِ ٤٤
راجز

فـإن أك قـد فـارقت نجـداً وأهلـه فـمـا عهـد نجـد عنـدنـا بـذميمِ ١٠٤
غير معروف

« ن »

الحمــــد لله العــزيــز المنـــانْ	صـار الثريـد في رؤوس العيـدانْ	٨١
	صعصعة بن بجير الهلالي	
يجـزون من ظلم أهـل الظلم مغفرة	ومن إساءة أهل السوء إحسـانـا	٦٥
	بعض شعراء بلعنبر	
أنت الإمام الذي نرجو بطاعته	يوم القيامة من ذي العرش رضوانا	١٣٦
أوضحت من ديننا ماكان ملتبساً	جزاك ربك عنا فيه إحسانا	
	شيخ في صفين	
إذا سيــل عنـــه حـــدا شبهـــة	وعمى الجـواب على الســائلينـــا	٥٧
فليس براضٍ ولا ســـــاخـــــط	ولا في النهـــاة ولا الآمرينـــــا	
ولا هــــو ســـــــاه ولا سره	ولابــد من بعض ذا أن يكـونــا	
	كعب بن جعيل	
رأتني بــأشـلاء اللجـام وبعلهــا	من القـوم أبـزى بـادن متبـاطنُ	٧٢
فـإن أك معروق العظــام فــإنني	إذا مـاوزنت القوم بـالقـوم وازنُ	
	كثير عزة	
قـد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا	بـدير سمعـان قسطـاس الموازينِ	٧٢
	مجهول	
فلما رأى سفيـان أن قـد عـزلتـه	عن المـاء مرمى الحـائم الـوحـداني	٧٨
	عبدة بن الطيب	
رماني بـأمر كنت منـه ووالـدي	بريـاً ومن جـال الطـوي رمـاني .	٧٧
	ابن أحمر	
تقـــول إذا ذرأت لهـــــا وضيني	أهـــذا دينـــه أبـــداً وديني	١٦١
	المثقب العبدي	
فـإلا يكنهـا أو تكنـه فـإنـه	أخـوهـا غـذتـه أمـه بلبـانهـا	٢٩
	أبو الأسؤد الدؤلي	

« ي »

نموت ونحيا كل يوم وليلة ... ولابد يوماً أن نموت ولانحيا ١٢٧

غير منسوب

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً ... وحسبك من غنىً شبعٌ وريُ ٩٤

امرؤ القيس

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا ٥١

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

بعض المسجونين

« الألف اللينة »

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى ... وفي يده كشف المضرة والبلوى ٥١ح

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولاالموتى

إذا دخل السجان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ولد صالح بن عبد القدوس

أمره من أمر من ملكه ... فإذا ما شاء عافى وابتلى ١٨٤

لم نقف على قائله

٤ ـ مسرد الأمثال والأقوال

النص	الصفحة
ـتعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن.	١٧٢
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	

« ط »

ـطوبى لمن مات في النأناة.	٤٥ح
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	

« م »

ـماشهدها منا أحد غيري .	١٧٨
ابن مسعود رضي الله عنه عندما سئل عن ليلة الجن	

« هـ »

ـهؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن.	١٧٨
ابن مسعود عند رؤيته قوماً من الزط	

« و »

ـوالله ماأمرت ولانهيت، ولارضيت ولاسخطت، ولاساءني ولاسرني	٥٧
علي إذا ذكر لـه قتل عثمان رضي الله عنهما	
ـوالله ماعلونا جبلاً، ولاهبطنا وادياً، ولاخطونـا خطوة، إلا بقضـاء وقـدر. فقال الشيخ: فعند الله أحتسب عنائي إذن مالي من أجر. فقال لـه علي رضي الله عنه: مه ياشيخ. فإن هـذا قول أوليـاء الشيطـان وخصماء الرحمن قـدريـة هـذه الأمـة. إن الله أمر تخييراً ونهى تحـذيراً. لم يعص مغلـوبـاً، ولم يطـع	١٣٦

النص	الصفحة

مكرهاً. فضحك الشيخ ونهض مسروراً، ثم قال:

أنت الإمـام الـذي نرجـو بطـاعتـه   يوم القيامة من ذي العرش رضوانـا
أوضحت من ديننـا مـاكان ملتبسـاً   جـزاك ربـك عنـا فيــه إحســانــا

روي عن علي بن أبي طـالـب رضي الله عنـه لمـا انصرف من صفين وقـام إليــه شيخ فقال: ياأمير المؤمنين أرأيت مسيرنا إلى صفين أبقضاء وقدر؟

٣ ـ أقوال : أنبياء وعظماء وعلماء وأئمة .

« أ »

ـإذا أنـا مت فـأحرقوني، ثم اذروا رمـادي في اليم، فلعلي أضل الله، فـوالله لئن قدر الله علي ليعذّبني عذاباً شديداً. ١٠١

الرجل المحرق لبنيه

ـإن أمير المؤمنين كتب إلي أن ألعن علياً، فالعنوه، لعنه الله. ٥٧، ٥٨

خالدبن عبد الله القسري على المنبر

ـأن موسى عليه السلام شكا إلى الله تعالى بعدوٍ لـه، فـأوحى الله تعـالى إليـه: أني سأميته فلما كان بعد زمن رآه فقيراً ينسج الحصير. فقال: يارب ألم تعـدني أن تميته؟ فقال: أوليس قد أفقرته. ١٢٢

جاء في بعض الحديث

ـعلمني ديناً وسوطاً لاساقطاً سقوطـاً ولاذاهبـاً فروطـاً. فقـال: أحسنت خير الأمور أوساطها. ١٣١

رجل للحسن البصري رحمه الله

« ق »

ـقدمت مكة فألفيت فيها أبو حنيفـة فقلت لـه: مـاتقول في رجل بـاع بيعـاً وشرط شرطاً فقال: البيع باطل والشرط باطل. فـأتيت ابن أبي ليلى فسـألتـه ١١٧ـ١١٨

النص	الصفحة

عن ذلك فقال: البيع جائز والشرط باطل. فأتيت ابن شبرمة فسألته عن ذلك فقال: البيع جائز والشرط جائز، فقلت في نفسي: ياسبحان الله! ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون على مسألة، فعدت إلى أبي حنيفة فأخبرته بما قال صاحباه فقال: ماأدري ماقالا لك، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع وشرط» فالبيع باطل والشرط باطل. فعدت إلى ابن أبي ليلى فأخبرته بما قال صاحباه. فقال: ماأدري ماقالا لك حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بريرة فأعتقها» البيع جائز والشرط باطل. قال: فعدت إلى ابن شبرمة، فأخبرته بما قال صاحباه، فقال: ماأدري ماقالا لك. حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن وثار عن جابر قال: «بعت النبي ﷺ بعيراً وشرط لي حملانه إلى المدينة» البيع جائز والشرط جائز.

عبد الوارث بن سعيد

« هـ »

ـ هل العباد مجبرون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبده على معصيته ثم يعذبه عليها فقال له السائل: فهل أمرهم مفوض إليهم؟ فقال: الله أعز من أن يجوز في ملكه مالا يريد. فقال له السائل: فكيف ذلك إذاً؟ قال: أمر بين الأمرين لا جبر ولا تفويض. ١٣٥

روي أن رجلاً قاله لجعفر الصادق

« ي »

ـ يابني جالس العلماء وازحمهم بركبتيك، فإن الله يحي القلب الميت بالكلمة من الحكمة يسمعها كما يحيي الأرض بالمطر. ١٢٥

لقمان

النص	الصفحة
ـ يفعل الله ما يشاء، وهذا تلويح يحتاج إلى تصريح، وخفي إشارة يحتاج إلى تبيين عبارة.	٨٢

الأوزاعي

ـ ينزل أمره كل سحر، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل، سبحانه لا إله إلا هو.	٨٢

مالك

☆ ☆ ☆

٥ ـ مسرد الأعلام والأمكنة

« ص »

« ض »

« ط »

« ظ »

« ع »

« غ »

« ف »

☆ ☆ ☆

٦ ـ مسرد الكتب المذكورة في متن الكتاب

ت

تصحيف الحفاظ ـ للدارقطني .

مسند وكتاب الإمام مسلم بن الحجاج .

٧ ـ مسرد مراجع التحقيق

«أ»

أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء للدكتور مصطفى الخن .
إرشاد الساري .
أزهار الرياض للمقري .
أسرار البلاغة .
الاسم والمسمى ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
الاشتقاق لابن دريد .
الأشموني .
إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل .
الأصمعيات .
الأضداد لابن الأنباري .
الأضداد للأصمعي .
الأضداد لقطرب .
الأعتصام للشاطبي .
الأعلام للزركلي .
الأغاني دار الثقافة .
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة طبعة مصر .
الأمالي لأبي علي .
أمالي المرتضى .
إنباه الرواة .
الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ـ طبعة القاهرة .

الإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية ، تأليف شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم . الفاروقي الدهلوي .
الأوسط للطبراني .
الإيضاح .

« ب »

البحر المحيط لابن حيان الأندلسي .
البداية والنهاية لابن كثير .
بغية الملتمس للضبي .
البيان والتبيين .

« ت »

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .
تاريخ بغداد للسمعاني .
تاريخ الفكر الأندلسي .
تاريخ النقد الأدبي في الأندلس .
التبصير في الدين للاسفراييني .
التبصير في الدين للملطي .
تحرير التحبير .
تشبيهات القرآن ـ طبعة الكويت .
تعريفات الجرجاني .
التفسير للبخاري .
تفسير الطبري ـ تحقيق أحمد شاكر .
تفسير القرطبي .
التنبيه للبكري .
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي .
تهذيب التهذيب .

توضيح الأفكار لمحمد بن إسماعيل الصنعاني .

« ج »

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
الجامع الصحيح .
الجرح والتعديل .
جمهرة أشعار العرب .

« ح »

الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة . نشره وقدم له الشيخ زاهد الكوثري ، مصر ١٩٤٦ ، مطبوعات عزة العطار .
حسن التوسل إلى صناعة الترسل .
الحلل في شرح أبيات الجمل ـ طبع القاهرة .
حلية الأولياء .
الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي .
الحيوان .

« خ »

الخزانة ـ ط بولاق .
الخصائص لابن جني .

« د »

الدرر اللوامع .
الديباج المذهب لابن فرحون ـ مصر .
ديوان ابن خفاجة .
ديوان ابن الرومي .
ديوان أبي الأسود الدؤلي .

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري .
ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي .
ديوان امرئ القيس بشرح الأعلم الشنتمري ـ تحقيق محمد بدر الدين النعساني ـ المكتبة التجارية بمصر .
ديوان أوس بن حجر .
ديوان تميم .
ديوان جميل .
ديوان حسان .
ديوان ذي الرمة .
ديوان الفرزدق .
ديوان كثير عزة ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس .
ديوان لبيد ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبعة الكويت .
ديوان المعاني .
ديوان النابغة ـ ط السعادة بمصر .
ديوان النابغة تحقيق الدكتور شكري فيصل .
ديوان النابغة بشرح الأعلم الشنتمري .
ديوان النابغة بشرح عاصم بن أيوب البطليوسي .
ديوان الهذليين .

« ر »

الرسالة للإمام الشافعي ـ تحقيق الدكتور أحمد شاكر ـ طبعة البابي الحلبي ١٩٤٠ .
رسالة الغفران .
رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية .

« ز »

زاد المعاد لابن القيم .
زهر الآداب .

« س »

سبل السلام .
سمط اللآلي للبكري .
سنن ابن ماجة .
سنن أبي داود .
سنن البيهقي .
سنن الترمذي .
سنن الدارمي .
سنن النسائي بشرح السيوطي ـ طبعة مصطفى محمد .
السيرة لابن كثير .
السيرة ـ طبعة عبد الحميد .

« ش »

شرح الأعلم الشنتمري على ديوان زهير ـ طبعة دار المعارف .
شرح التبريزي للمفضليات .
شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٩٦٩م
شرح الحماسة للمرزوقي .
شرح ديوان الأعشى للدكتور م . محمد حسين .
شرح ديوان زهير لثعلب .
شرح سقط الزند للمعري وشيء من اللزوميات ـ طبع في القاهرة في جزأين من شرحي التبريزي والخوارزمي .
شرح شواهد أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي .
شرح شواهد كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري .
شرح شواهد المغني .
شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري .
شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ـ طبع القسم الأول منه في القاهرة .

شرح الموطأ .
شعر ابن أحمر ـ جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان .
شعر النابغة الجعدي .
الشعر والشعراء .

« ص »

الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس .
صحيح البخاري ـ طبعة استانبول .
صحيح مسلم بشرح النووي وتحقيق عبد الباقي .
الصلة لابن بشكوال ـ مصر ١٩٥٥

« ط »

الطبراني .
طبقات الحفاظ .
طبقات الحنابلة لابن معين .
طبقات فحول الشعراء .

« ظ »

ظهر الإسلام لأحمد أمين ـ طبعة ١٩٦٢م .

« ع »

العقد الفريد لابن عبد ربه .
العمدة .
العيني على هامش الخزانة .
عيون الأخبار .

« ف »

الفائق في غريب الحديث للزمخشري .

فتح الباري .
الفتح الكبير للجلال السيوطي .
الفرق بين الحروف الخمسة ـ مخطوط .
الفَرْق بين الفِرقَ للبغدادي .
الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
فصل المقال للأصمعي .
فضائح الباطنية .
فهرس الفهارس للكتاني .
فهرسة ابن خير الإشبيلي ـ طبعة بيروت .

« ق »

قلائد العيان لابن خاقان : مصر ١٢٨٤ .

« ك »

الكامل للمبرد .
كتاب سيبويه .
كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي .
الكشاف للزمخشري .
كشف الخفاء .
كليات أبي البقاء .
الكنايات للثعالبي .
كنايات الجرجاني .

« ل »

اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ـ ط١

« م »

متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار .

المثلث في اللغة . تحقيق الداية وحمودي في جامعة وهران ـ وطبع أيضاً ببغداد .
مجاز القرآن .
المجازات النوبية ـ ط الزيني ـ مؤسسة الحلبي .
مجالس ثعلب .
مجمع الزوائد .
المحاسن والأضداد للجاحظ .
محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء للأستاذ الشيخ علي الخفيف .
المحتسب لابن جني .
مختارات ابن الشجري .
مختصر صحيح مسلم .
المزهر .
مسائل في العربية .
المسائل والأجوبة ـ طبع جزء منه ببغداد نشره الدكتور إبراهيم السامرائي .
مسند الإمام أحمد ابن حنبل .
مشكل الحديث وغريبه .
المصنف في الحديث .
المطرب لابن دحية ـ مصر ١٩٥٤م .
مطلع الفوائد ومجمع الفرائد لابن نباتة .
المعاني الكبير .
معاهد التنصيص .
معجم الأدباء .
معجم البلدان .
معجم ماستعجم .
المغرب لابن سعيد ـ الطبعة الأولى .
المغني لابن هشام .
مقالات الإسلاميين للأشعري .

المقتضب للمبرد .
ملخص إبطال القيـاس والرأي والاستحسـان والتقليـد والتعليل للإمـام ابن حزم الظـاهري ومقدمة سعيد الأفغاني له .
الملل والنحل للشهرستاني .
الموافقات للشاطبي الأندلسي .
المؤتلف والمختلف .

« ن »

نفح الطيب للمقري ـ مصر .
النقد الأدبي في الأندلس .
النهاية لابن الأثير .
النهاية في غريب الحديث .

« هـ »

همع الهوامع .

« و »

وفيات الأعيان لابن خلكان ـ مصر ١٩٤٨ م .

٨ ـ مسرد الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الحياة والموت المراد بها الوجود والعدم	١٢٣
الحياة والموت المراد بها العز والذل والغنى والفقر	١٢٣
الحياة والموت المراد بها الهدى والضلال والعلم والجهل	١٢٥
الحياو الموت المراد بها الحركة والسكون	١٢٥
الحياة والموت المراد بها الخصب والجدب	١٢٦
الحياة الموت يراد بها اليقظة والنوم	١٢٧
الحياة الموت يراد بها اشتعال النار وخمودها	١٢٨
الحياة والموت المراد بها المحبة والبغضاء	١٢٨
الحياة والموت المراد بها الرطوبة واليبس	١٢٩
الحياة والموت المراد بها الرجاء والخوف	١٢٩
قد تتولد مقالتان متضادتان كلاهما غلط وخطأ ويكون الصواب والحق في مقالة ثالثة متوسطة بينهما	١٣٠
إذا تأملت المقالات التي شجرت بين أهل ملتنا في الاعتقادات رأيت أكثرها على هذه الصفة	١٣٠
ذكر شيء يستدل به على غيره من هذا النوع	١٣١
أمر القدر والقضاء	١٣١
وكنحو ماروي عن علي رضي الله عنه لما انصرف من صفين	١٣٦
الباب الرابع : في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص	١٤٣
هذا الباب نوعان . أحدهما يعرض في موضوع اللفظة المفردة والثاني يعرض في التركيب	١٤٥
الذي يعرض في موضوع اللفظة المفردة نحو (الإنسان) يستعمل عموماً وخصوصاً وأمثلة ذلك	١٤٥
قد يأتي من هذا الباب أشياء يتفق الجميع على عمومها أو على خصوصها وأشياء يقع فيها الخلاف	١٤٦
الأمثلة على ذلك	١٤٦

الموضوع	الصفحة
قد يأتي من هذا الباب ماموضوعه في اللغة على العموم ثم تخصصه الشريعة كالمتعة .	١٥٢
الباب الخامس : في الخلاف العارض من جهة الرواية	١٥٥
ذكر العلل التي تعرض للحديث فتحيل معناه ؛ فربما أوهمت فيه معارضة بعضه لبعض ، وربما ولدت فيه إشكالاً يحوج العلماء إلى طلب التأويل البعيد	١٥٧
الحديث المأثور تعرض له ثماني علل	١٥٧
العلة الأولى : فساد الإسناد	١٥٨
الإسناد يعرض له الفساد من أوجه	١٥٨
منها الإرسال وعدم الاتصال	١٥٨
ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أومتهماً بكذب ... إلخ	١٥٨
للبخاري رحمه الله في هذا الباب غناء مشكور وسعي مبرور وكذا لمسلم وابن معين	١٦٣
العلة الثانية : نقل الحديث على المعنى دون لفظه بعينه	١٦٤
ذكر الأمثلة	١٦٥
من طريف الغلط الواقع في اشتراك الألفاظ	١٦٩
العلة الثالثة : الجهل بالإعراب ومعاني كلام العرب ومجازاتها	١٧٠
ذكر الأمثلة	١٧١
العلة الرابعة : التصحيف	١٧٤
ذكر الأمثلة	١٧٥
العلة الخامسة : إسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به	١٧٧
المثال على ذلك	١٧٨
العلة السادسة : أن ينقل المحدث الحديث ويغفل نقل السبب الموجب له فيعرض من ذلك إشكال في الحديث أو معارضة لحديث آخر	١٧٨
الأمثلة لذلك	١٧٨

المسارد العامة

للمُحقّق

في سلسلة دراسات أندلسية(☆) :

١ ـ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ـ دار الأنوار (بيروت ـ دمشق) ١٩٦٨ . الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة ـ دمشق ١٩٨٠ . (نفد) ـ الإصدار الثالث تحت الطبع .

٢ ـ المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني ـ الطبعة الأولى ـ دار الأنوار (بيروت ـ دمشق) ١٩٦٨ .

الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٧٠ .

الطبعة الثالثة ـ دار الملاح ١٩٨٠ ـ دمشق .

٣ ـ مختارات من الشعر الأندلسي ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٩٦٩ . الطبعة الثانية ١٩٧٢ ـ دمشق .

٤ ـ ديوان ابن خاتمة الأنصاري ـ تحقيق ـ صدر عن وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٢ . الطبعة الثانية ـ دار الحكمة ـ دمشق ـ ١٩٧٩ . نفد ـ الإصدار الثالث تحت الطبع .

٥ ـ الإنصاف بذكر أسباب الخلاف لابن السّيد البطليوسي ـ تحقيق ـ نشر دار الفكر بدمشق ١٩٧٣ . (الطبعة الثالثة) .

٦ ـ شرح مشكل شعر المتنبي ـ لابن سيدة الأندلسي ـ تحقيق ـ نشر دار المأمون بدمشق ١٩٧٥ . الإصدار الثاني معدّ للطباعة .

٧ ـ ديوان أبي إسحاق الإلبيري ـ تحقيق ـ نشر مؤسسة الرسالة (بيروت ـ دمشق) والطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

٨ ـ أعلام المغرب والأندلس ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٧٨ . نفد ـ الإصدار الثاني تحت الطبع .

٩ ـ رائق التحلية في فائق التورية لابن زرقالة ـ دار الحكمة ـ دمشق ١٩٧٩ . نفد ـ الإصدار الثاني تحت الطبع .

١٠ ـ ديوان ابن عبد ربه ـ مؤسسة الرسالة ـ دمشق ١٩٧٨ . الطبعة الثانية دار الفكر ١٩٨٧ .

١١ ـ ديوان يحيى بن حكم الغزّال ـ دمشق ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ .

في سلسلة الذخائر :

١ ـ ابن خفاجة (دراسة) نشر المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٩٧٢ . الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٨٣ .

٢ ـ أبو البقاء الرندي (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (دمشق ـ بيروت) ١٩٧٦ . الطبعة الثانية نشر سعد الدين . دمشق ـ بيروت ١٩٨٦ .

(☆) تصدر كتب هذه السلسلة من الآن بعنوان (المكتبة الأندلسية) .

في المكتبة الأندلسية :

١ ـ إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي ـ (تحقيق) بيروت ـ دار الثقافة ١٩٦٥ . الطبعة الثانية في عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٥ .

٢ ـ نثير فرائد الجمان لابن الأحمر ـ (تحقيق نص أندلسي) دراسة عن المؤلف وأدبه وكتابه ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٦ . الطبعة الثانية في عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٥ .

أعمال أخرى :

١ ـ الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي ـ تحقيق بالاشتراك ـ نشر وزارة الأوقاف الكويت ـ ١٩٦٧ . نفد .

٢ ـ أعلام الأدب العباسي ـ تراجم واختيارات ـ نشر دار الفارابي ـ دمشق ١٩٧١ . والطبعة الثانية في مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ . نفد .

٣ ـ ابن زيدون (محاولة لإعادة النظر في دراسة شخصيته وشعره) بحث قدم إلى مهرجان ابن زيدون في ذكراه الألفية بالرباط (المغرب) ـ منهج جديد لدراسته .

٤ ـ المنصف لابن وكيع التّنيسي (تحقيق) ـ دمشق ـ ١٩٨١ .

٥ ـ تفسير ابن جزي (تحقيق بالاشتراك) بدئ بطباعته .

٦ ـ بحوث في الأدب الأندلسي ـ طبع جامع دمشق ـ ١٩٨٠ . نفد .

٧ ـ فروق اللغات لنور الدين بن نعمة الله الجزائري ـ بيروت ١٩٨٧ .

تحت الطبع :

ـ لسان الدين بن الخطيب : في سلسلة أعلام الفكر .

ـ ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس ـ في سلسلة أعلام الفكر .

ـ ابن زيدون : دراسة في ضوء منهج جديد . في سلسلة أعلام الفكر .

ـ أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي : زاهد الأندلس الثائر . في سلسلة أعلام الفكر .

ـ ابن زمرك شاعر قصر الحمراء (دراسة) في سلسلة أعلام الفكر .

ـ ديوان أبي الحسن بن الجيّاب ـ تحقيق ودراسة .

ـ أمة قد خلت (دراسة) .

ـ ديوان ابن زيدون .

ـ رحلة البلوي .

ـ جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب لابن عبد الملك الشّنتريني (تحقيق ودراسة) .

ـ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي .

ـ ترسل ابن أبي الخصال الغافقي الأندلسي ـ يصدر عن دار الفكر بدمشق ١٩٨٧ .

ـ الحماسة المغربية (مختصر صفوة الأدب) ـ يصدر عن دار الفكر بدمشق ١٩٨٧ .

- إن اختلاف الآراء الفقهيّة ـ كما يقرر الأستاذ محمد أبو زهرة رحمه الله ـ لم يكن في ذات الدين ولا في لُبّ الشريعة ، ولكنه اختلافٌ في فهم بعض نصوصها ، وفي تطبيق كليّاتها على الفروع ... فهو اختلافٌ لا يتناول الأصل ولكنه اختلاف في الفروع حيث لا يكون دليل قطعيّ حاسم .

- ويعد كتاب (الإنصاف) هذا لمؤلّفه العلامة ابن السّيد البطليوسي الأندلسي أول كتاب مستقل معروف خُصص لمعالجة موضوع الاختلاف الفقهيّ .

- وهو أهم المؤلفات التي وضعت في (الخلاف) من حيث عِنايته بالجوانب اللغوية والبلاغية والدّلالية ، ومن حيث الاحتجاج لها والاستشهاد عليها بالأصول العربيّة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأقوال العرب وأشعارهم في دقّة وبراعة وإتقان صنعة .

- وهو كتابٌ نفيس فريد !